

6404

— S / A

فَتَايَا عَسِيَّا

✽ رواية تاريخية عرامية ✽—

✽ نشر حال الاسلام من أوّل ظهوره ✽
✽ الى فتوح الشام والعراق مع سبط عوائد العرب ✽
✽ في آخر حاظيتهم وأوّل اسلامهم ووصف ✽
✽ اخلاقهم وأربائهم وسائر أحوالهم ✽



تأليف

عرجى زيدان

« مسير الملل مصر »



الجزء الثاني

« طبع في مصر (الملل) ماول تارح الحاله مصر سنة ١٩٨٨ م »

الهلال

مجلة علمية شرقية ادبية تاريخية *

لمستها

جرجي زيدان

أنشئت بمصر في اول سبتمبر سنة ١٨٩٢

تحت في كل المواضيع المصرية وفي التواريخ التفرقة وخصوصاً
الاسلامية مع رسوم مشهورة وتواريخهم واستحداث الاختراع ورسوم
مشهورة وتواريخ لحوادث الجارية في كل قطار العالم وروايات تاريخية
اسلامية تبدأ بظهور الاسلام وتندج فيه دولة دولة وعصرًا وعصرًا على
اسلوب حديث كبير المشوق للمطالع تسير مرتبة في شهر في كراس
كبير صفحاته اربعون صفحة حيدة الورق جميلة الحروف منقطة الطبع
مدل اشتهر بها في سنة خمس عشرة داحل انظر المصري واما خارجه
فهو ٣ شلينا او ١٥ فرنكاً و ٢ روية او ٣ ريالات اميركانية او ٣
ريالات مصرية ونصف تدفع سلفاً فمن اراد الاشتراك فيها فليجاء « ادارة
الهلال بمصر » ود اراد الحصول على مثل منها فليطلبه فيرسل
اليه بيجاراً

* هذا الاصدقاء *

افضل هدية تهديها - صديقك اذا كان ممن يحبون -
الاشتراك سنة في مجلة الهلال - فان تيد زهيدة ومطالعة - وروحية

من مصلحة

فَتَايَا حَسَنًا

— * رواية تاريخية غرامية * —

* ندرج حال الاسلام من أوّل ظهوره *
* الى دوح الشام والعراق مع سطع عوائد العرب *
* في آخر حاضرتهم وأوّل اسلامهم ووصف *
* احلاقتهم وأربابهم وسائر أحوالهم *



تأليف

جرجي زيدان

« شمس الهلال » مصر



الجزء الثاني

« طبع في مطبعة ر. لال (ناول سارع حابه ، مصر سنة ١٩١١ م »

مقدمتہ

﴿ الجزء الثاني من وفاة غسان ﴾

هذه هي الرواية السادسة من رواياتنا التاريخية ولكنها تمتاز عنها كلها بأنها الحلقة الأولى من سلسلة روايات متتابعة تضمن تاريخ الإسلام من أول ظهوره إلى الآن سبستها تماعاً في مجلتي «الملال» وهذه الرواية الأولى منها وتضمن الحوادث التي وقعت من ظهور الإسلام إلى فتح الشام والعراق وتليها رواية في فتح مصر وهذه سبق ما اترباها في السلسلة الرابعة من الملال وهي «رماوسة المصرية» ولم يكن في عروما تأليف هذه السلسلة ما وقد عزمنا على راثت مصر رماوسة المصرية «الحلقة الثانية من تلك السلسلة

[illegible]

تجربہ سے ثابت ہوا کہ اگرچہ ان کے پاس ہتھیاروں کی کمی تھی مگر ان کی ہمت و شہادت نے ان کی کمزوری کو مٹا دیا۔ ان کی شہادت نے ان کی کمزوری کو مٹا دیا۔

الفصل التاسع والأربعون

✽ المناجاة ✽

تركنا حماداً وسلمان في مكة وقد عاب عليهما اليأس بعد ان تكدامشاق الاسفار ولم يظفرا بشيء مما أملاه وخصوصاً حماد فإنه أصبح يتساقطتفادفه عوامل الحب من جهة وعوامل التهمة من جهة أخرى وهو بين ذلك لا يرحولقاء والد ولا بأمل الطير يحبته فكان كلما تصوّر ذلك تارت الحمية في رأسه وعظم عليه العود الى اللقاء محدثته نفسه ان يسعد عن الناس ويأوي الى مكان لا يعرفه فيه احد او ان يقيم في دير او نحو لان الحياة اصحبت لديه شراً من الموت

أما سلمان فإنه أدرك حال سيده وعلم ما هو فيه من اليأس فتارت في نفسه عاطفة التهمة وعوّل على ان يبدل نفسه في سبيل تعريبه فخرج من العرفة ذات صباح متظاهراً بجاجة يقتس عنها وترك حماداً وحده فلما حلا حماد سمعه حرج من العرفة وصعد الى سطح الحان وقد صاق صدره وصعرت نفسه والسطح نطللة حجمة من ورق الشجر مجلس على وسادة واحد يظن الى مكة وما يحيط بها فادأ في عبارة عن ارض مسسطة في واد تحف به الحمال فلم تستعله تلك الماطر الآهية ثم عاد الى هوا حسه فتذكر حينئذ والدك وتصوّر مقدار ما تراكم عليه من الهموم ما ألمّ به من الفشل وقد قطع البراري والقفار حتى جاء الكعبة للبحث عن قرطي مارية مهراً لخطبته هدد ومرصاة لعلالديها فعلم من حرب الحراعي ان القرطيين لا يمكن العتور عليهما هاك وبعد ان كان على أمل من لقاء والدك مع أني سنيان في مكة نحقق صباغة ويس من حياته فتصوّر نفسه معلول اليدين مقصوص الحماحين فعظم الامر عليه كثيراً واشدد به اليأس حتى تائرت الدموع من عينيّه ثم تذكر انه في عربة لا يحدر به الاستسلام للعواطف فامسكت نفسه ولكن اليأس غلب عليه فانقضت نفسه واستند به اليأس فاحاد باحي هداً قاملاً

آه ملك يا همد سل آه من هذا القلب الذي عصاني وإطاعتك وبعث ما فعل

فانك والله حديق محبو ولكن والدك آه من والدك فانه اما اراد مستجيلاً فطلب مي
 مهرًا العطاء اقرب مثلاً منه وكأني به لا يرصاني له صهرًا وعدره مقبول طالما كان
 نسي مجهولاً . فانظر طار لم يوجد فهد بعينه المسال مي آه ما هداً أعود اليك
 نصفه المعصور وإذا عدت كذلك ما يكون رأيك لا ريب عدي ان
 ديك القرطين لا يهتك امرها ولا رصيت ان انتهي في سبيل السيش عهما الأبحارة
 لو اليك . . ولكن ما هداً يا حماد كيف تعود الي هدا صر اليدين وكيف تقابل
 حلة وماذا تقول له لا لا لا لا لعود الي اللقاء على هن الحال وقد فقدت والذي
 في بلاد لا اعرف فيها اليما ومن يدر بي اس هو ليس الدر ووفاء الدر ما لينة قص
 شعري قبل صياحه فقد كنت عى موعد منه انه متى وفي الدر وقص الشعر بطلعي
 على امورهم وقد يكون لها علاقة ما مر رواجي فاس والذي الآن آه يا ابتاه ابن
 انت ألعك لا تران في قيد الحياة من يعلمي ابن مفرك فاطير اليك مسرعاً أما اذا
 يست ملك ومن هدا فلا يعود لي في الحياة ما رب فاما ان الحما الى دير او صومعة
 افقي بقية الحياة مسرداً لا اري ايساً او ان ألي سبي في هلكة . ولكن لا لا
 ان قل الناس ضعف ومدنه وكيف افعل ذلك ونسي رهينة امرهد وهدا لا
 تريد قبها ان لا تصر صر الرجال واءد الكرة في تحت عن القرطين فادا
 سمعت فداها عمت لي هدا وسعت لها امري وأطلعها على كه صبري فادا
 رأيها توتر رصاة وانهم وحط ثاليد عاتنها على رصاي قلت على الدنيا ومن
 فيها السلام لا ي رصى من الدنيا رصاها فمعاقد وترصى على امر تكون لما فيه
 نواة من وانهم وأما والذي آ ابن انت ما ابتاه ان صياحك عرقل مساعي
 وعل يدي وذا رب انت وتاركسي في هذا الامر لسهلت كل صعب وهديتي
 صراص مسقي . ونكر الا قد رانت الآ معاندي قصراً حبيلاً . . «
 مررت كل هن الحيات في دمن حماد وهو متكى على الوسادة نارة يكي
 وضورا بجوت نسائه وآوة صدره وسه وكن لم في الليل الماضي الأ قليلاً فطلب
 عنه العبد ونس والصور فعمت حمار

الفصل الخمسون

❖ حسان بن ثابت الانصاري ❖

مضى نعص ذلك المهار وحماد بين مايم وهاحس فوق السطح لم يدق طعاماً حتى
اذا كان العصر أفاق من صوت سلمان حادمة ففتح عينيه فرآه واقفاً فوق رأسه يناديه
وعلى وجهه امارات الشر كآلة اتى امرأ حديدًا فاستطبت نس حماد فهب من رقاده
وحلس وصاح ما وراءك ما سلمان

قال ما ورأى الا الحير بادس الله

قال ارى على وجهك امارات الشرف هل اهديت الى طريق حديد بوصلنا
الى ساحة الفرح

قال نعم يا سيدي اظبي توقفت الى شيء من هذا القليل

قال قل ما هو

قال حرحت في هذا الصباح على بركة الله وقد عولت في باطن سري ان لا اعود
اليك الا ستري حير فسررت في اسواق مكة واما اتوسل الى الله ان يلهمني رتداً وسداداً
او يهديني سبيلاً احب اليأس عن مولاي فمررت بعص السيوف فرأيت عمداً يابو
بعلة عليها بردعة تيمية والى حاسها علام فمددني نسي ان اسأله عن صاحب البعلة فقال
هو حماد بن ثابت شاعر الانصار فتذكرت اني اعرف هذا الاسم فأخذت في التفكير
لعلني اذكر الرجل فعلمت اني كنت اسمع اسمه مدكمت في العراق وانه كثيراً ما كان
يأثم الحيرة فيسظم الفصائد في مدح الملك العباس رحمه الله وكثيراً ما كان يمد على
ملوك بني عسان فيمتدح حلة والحارث بن ابي شمر " " وعيبرهم فقلت في نفسي اظي
اصت صالحي ان الرجل يجالس اعظم ملوك العرب فربما كان له المام بامر القريظين
فسألت العلامة عن حماد فقال انه في البيت فاستأذنت في الدخول عليه فادس
ودخلت عليه حتى اقبلت على الرجل واذا هو جالس على وسادة في بعض رواق العرفة
وبأمله فادس به قد تبدلت حاله عما كنت اعرفه فاحياء لكار وصعب نصره وشاب

شعره واسترسلت لحية^(١) فادرت الى يده فقلبتها وحببته فرد الفحية ورحب بي واحلطني الى حابه وسألتني عن امري فارتادحل معي في حدث واحرح من آخر حتى توصلت الى القرطين فسألته عما يعرفه من امرها ففكر قليلاً ثم قال اطبي سمعت ذكرها في بعض محاليس العمان بن المدر في الحيرة فقلت وكيف كان ذلك فقال يغلب على ظني ان بعض تجار الفرس الذين يجملون الاقمشة الفارسية الى مكة عاد منها ذات عام ومعه قرطاً مارية فعرضها على العمان واطلعه اشتراها منه فاذا صدق ظني كان القرطان الآن في حربة الملك العمان في الحيرة

فلما سمعت ذلك هرولت اليك مسرعاً لسيرواليه فهل تسير معي قال نعم ولا بد من المسير اري في كلام الشاعر نأماً للفرح هلم سا فمنهم حماد وقد استطعت نفسه وعادت اليه بعض الآمال وان لم يكن في الخبر ما يدعو الى الامل ولكن المرء اذا كان في صبيح كان سريع العلق بالامل ولو كان اوهى من حط العكبوت واحسن حماد نراع معديه فساوول شيئاً من التمر يسدها جوعه وحرص مع سلمان ماتيسر حتى اتنا بنت حسان فاستأدنا ودحلاً فتقدم اولاً سلمان وسلم ودكر اسم حماد امام حسان وقال انه سيدك وانه من امراء العراق ولما سمع بوجود حسان هناك ارد المتبول بين يديه فتقدم حماد وهم تقبل بيدي التبع مبعه ولكنه رفع يده اليه وتبريس فيه كانه يراجع في ذكره صور امراء الحيرة لعله يعرف حماداً فتشابه عليه امره فسألته عن اسمه واسم عائلته فقال حماد ابي حماد بن الأمير عبد الله

فتنازل حسان لا ذكر رجلاً منهم الاسم في بلاط العمان اولعلي سبيته فقد قتل العمان رحمه به فتنبوه عذراً مدح وعشرين عاماً وتفرقت اصداؤه على ابي انقطع عن الحيرة قبل ذلك المدة فلم اعد تقدمها ولا رأيت احداً من امرائها ولكن بقيت في تلك المروء وعاد سببه اذرة فقد كانوا ربه الدولة الفارسية وبيت قصيد وحده وصلاً للبحر في سدر حنة له وحاري الباعين عليه شراً فقال حماد وهل كنت به عليه كبيراً

وهو يجر اعمام قد ان روية مرار فاركك باقتي من المدينة حتى آتي اللقاء ودخل على حمة بن الحكم بن حنات بن ابي سر العسايس ثم أقصد العراق فادخل

جلس العمان بن المنذر فيجمع علي الخلع وبأمر لي بالعطايا وهكذا كان يفعل الغسانيون
ايضاً ثم كان ما كان من امر قتله فانقطعت عن العراق الى اللقاء حتى ظهر الاسلام
واسلم اهل المدينة فكنت في حملة من تشرف بالاسلام ولا رمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسير معه او الحق به حينما اقام وقد عاد الآن بحيشه الى المدينة ولا الس
ان اشعه عاجلاً

فقال سلمان ذكرت بامولاي ان القرطين يبعوا للملك العمان فاذا تم لها بعد موته
قال لا ادري وربما كانا في حملة ما استولى عليه قاتلوه من الخف فاداهم هذا
الطن كان القرطان في خربة ملوك الحيرة الآن

وكان حسان يحاطب سلمان وعيابه لم تحولا عن وجه حماد وهو بترسه ويلاحظ
حركاته كانه يعرف له سباً وحماد عاقل عن ذلك بما كان عارفاً فيه من الهوا حس
بعد ان سمع ما سمعه من امر القرطين وصعوبة الحصول عليها بعد وصولها الى خربة
ملوك الحيرة ولكنه عول على الحت عمها ما استطاع الى الحت سبيلاً
وبعد قليل تم حماد بالخروج فسأله حسان ابن تقصودون

قال سلمان اما مقصد مرلنا لتنبأ للخروج في العد

قال هل تريدون الذهاب الى المدسة

قال ربما مررنا بها في طريقنا الى اللقاء

قال اري انكما عريان فرما عسر عليكما المسير مفردين وقد آتست فيكما عصراً
حيداً فهل ثقلان مراقتي الى المدينة نقيان فيها ريتما تعرمان على اللقاء وربما ارفنتكما
من بوصلكما اليها

فهمس سلمان بهوص الاحترام واتى على حسان نساء طيباً وقال اما تشكر لرصل
الشاعر شكرأ حريلاً ولا بعد ذلك منه الأكرماً ومسة عرف بها عرب التحار مد القدم
نال عنواً يا اخا تحم الى لا احوذ الأمال المادرة ولا ارتع الأتي بحوكة حيرهم
فاني لا انكر فصل العراق علي وعلى كل من برل ديارهم من العرباء وذلك امر
مشهور لاجميلة احد نكيب ناهله فادا شئنا المسير الى مرلهم الليلة فاعدوا حوائثكم
وها ابي مرسل معكم من يحملها اليها فسيبت الليلة هها وصبح سائرين ان شاء الله



الفصل الحادي والخمسون

* اللقاء *

فما لبثت تلك الليلة في منزل حسان واصبحوا جميعاً قاصدين المدينة وحسان يطرفهم في انحاء الطريق نظائف مظلوماته في مدح ملوك الحيرة وملوك عسان وحماة سبريد ما نضته في حلة من الابهم ويطرب كل ست بسمعة ولم يكن ذلك الا ليريد امتحانه ويدكره بحظيته هدم تم تذكر نعلته واباء الحارث من ابي ثمر فقال

وكيف رأيت الحارث من ابي ثمر

قال رأيت كرمًا محملاً للشعراء ولكنه كان حامداً لحلة فكنت اذا مدحت حلة في حصرتك كان الحسد يظهر على وجهه مع ما كان يحاول احشاءه من عواطفه^(١) فتخفى حماد ان نعلته انما ورت ذلك الخلف عن والده وراذ عليه اللوم والحساسة ولما تذكر ذلك علب عليه الانقباض واوحس حية على هدم من عذره انشاء عبايه وخصوصاً اذا عاد حالي الوطاب فاسولى عليه السكوت فادرك سلمان منه ذلك فاراد احشاء الامر عن حسان فقال وكيف رأيت حلة

قال رأيتك تهماً عريبر السس كريم الحبل كثيراً ما عرضت بحسد الحارث امامه وهو لا سالي بل كان يلتبس له عذراً وبغالطي فتعاملاً فكنت لا اراد الا اعطاه به فقال سلمان واي الملكين اتشد نطشاً الآن

قال ان حلة ارفع متاماً واعرجاً حاسماً ولكن نعص المادمين علينا من اللقاء اسأماً سوفاة الحارث

تعت لما نواته حماد من مما حسد به مال سلمان وهل تخفتهم وفاته

قال سموتة شتاً لينا بعض اسرارهم في تحسس احوال الروم بعد واقعة مؤتة فهاست سلمان الى حماد فداً يستهم ولكن النعمة ما زالت ظاهرة على وجهه فيقالها

(١) الاعراب

(٢) لم يرد في تواريخ العرب ذكر سنة التي بوث فيها الحارث واكرمهم ذكروا انه كان في واقعة مؤتة تم اعطى حماد

نقص الانصاف فاستشار اليه ملاح وجهه اشارة مهم حماد منها انه بهيئة بانكسار شوكة
 نعلدة لكنه تحوّل حالاً الى حسان وقال له وما طلك من يرث الامارة بعد
 قال لا اظن احداً من اهله اهلاً هذه الامارة والعالم ان تجمع كلمة قبائل
 عسان تحت لواء حلة من الایم

فانشرح صدر حماد ولكن امر الفرطيين بما رال حاحراً بينه وبين كل سرور
 وساروا حتى اتوا المدينة فوصلوها صاحباً فوجدوا اهلها في فرح وعمر لما اتوا
 من الصرخة مكة المشرفة ورأوا الناس عكوفاً على الصلاة وما رالوا سائرين حتى
 اماخول جماعهم امام مرل حسان فهم الخدم يحمل الامتعة الى المرل واخذوا الحمال
 الى العلف وبل سلمان وحماد وقد انجسوا بما آسوه من عكوف المسلمين على الصلاة
 وما رأوا من حتوتهم وتديهم فصلاً عما شاهدوه من سالتهم في فتحهم مكة
 اما حسان فلم يكذب بل يصل مرلة حتى طلب الراحة من وعاء السمير ليشيخوخه وعجن
 ودعا صبيوه اليه مجلساً متا ديين فقال لهما تذكرت امرأ اظنه بهكما كثيراً وقد فاني
 ذكره لكما قبل الآن

قال سلمان وماذا عسى ان يكون ذلك

قال ذكرت لكم واقعة مؤنة واطمكم لم نهملوا ما هي

قال سلمان كلاً يا سيدي لم مهم المراد حيداً

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل حيداً من المسلمين لحرب العسايب
 في العام الماضي فسار الحيد وحاربهم في مكان فقال له مؤنة ما تقرب من نصري
 وستسمعون خبر هذه الواقعة الآن ولكي اردت ان اوجه التماسكم الى رجل اسره حيداً
 في أثناء تلك الحملة وقد حملوه اليها فلما رأيتهم معهم عرفت انه أسر طليماً ولما سألتني
 عن خبره علمت انه ليس من اهل اللقاء بل هو عراقي ومن اهل الحيرة ذكر انه كان
 يراني أثناء وفودي على الملك العباس سديف وعشرين عاماً وما انكم من اهل
 العراق فرما استأستم بالرجل والوطن احسن جامعة من الناس قال ذلك وادى
 رجلاً واقفاً بالباب محصر فقال له ادع صبيها العراقي

قال ليك وخرج ثم عاد يتبعه رجل كهل ملف بعباءة مقضب الوجه وكان
 حماد وسلمان لا يران مبهرس حمار السن محالماً وقع نظر سلمان على ذلك الرجل

أحس بحقدان قلبه كأنه آس فيه مشابه لسيد عبد الله ولكنه رأى في سمته ملاح
تخالف ما لعبد الله أيهما أن عبد الله كان طويل الشاربين مستدقهما ومسترسل شعر
الحية مع حبة أما هذا فهو قصير الشاربين والحية على أن سلمان ما زال سطر إليه ويتأمله
حتى دأب منه فوقف له وهم بمصاحبه فلم يكذبهم بأول كلمة حتى تخفى سلمان أنه هو
سيد نعيمهم به وقلة وبأداه باسمه

وكان حماد في ساعل من هواحيه في هذ والقرطيس ووالد فلم ينسب إلا وسلمان
بيادي بأعلى صوته سيدي الأمير اهلاً سيدي الأمير فالتفت حماد فادا هو والد
عبد الله فبهض وبهض سلمان فهم عبد الله بحمد وصمة وحمل بقلة ودموع النرج
تساقط على وجهه وسلمان يقل يد عبد الله ويهيمها بعضهما بعض فاستطاعت وجوه
الجميع ورالت منها الغمسة وحسوا وعد الله بحسب حماد فأنصأ على أن ينسب بدو
وحسان حالس إلى حاسب وقد عجب لما رآه وسمعه فسألهم عن أمرهم فاحكى له
عبد الله عما تم من الاتفاق العرب وأن حماداً ووالد وسلمان حاولوا معه ففرح
حسان لما تم على يد من الخير . ثم حاسوا يتحدون

فقال سلمان لقد رأيت في وجه سيدي نعيمراً كأنه يحول بيني وبين معرفته فاني
أعنيته شعر وحيو ضوياً يسترسلاً في أن أراه قصيراً
فصمتك عندنا . وهل ن لهذا النعيمير حديثاً عرماً سأقصه عليك بعد أن اسمع
حديثكم وما كان من مر الأسد وصديق النرس

الفصل الثاني والخمسون

❖ واقعة مؤنة ❖

فحكى من حكمة مع حماد ولأسه وكيف يحق منه تسلي تلك التوبة وما
ثم سمع بعد ذلك من حبيب من أولادنا وأولادها وحامد لما تم ما كان من
مقتضى حماد ونسجه الله حسناً . لأنهم هم أولادنا وما لا فاه حماد في سبيل
ثالث من الأسارى ولا حصار من حاولوا بكه وتهدوا ففهموا وكيف عسوا من وجود
القرطيس هناك حتى يحدد منهم بوجوده في حرمه النعمان والندري الحيرة

وكان عند الله في اناء الحديث مصعياً صامتاً وامارات الاستغراب طاهرة على وجهه كأنه سمع اموراً لم يكن يتوقع حدوثها ولا يرصاها ولكنه سكن عن ذلك واخذ يقص عليهم حديثه فبدأ بوقوعه بالاسر في عسام ثم مسيرهم الى بيت المقدس ومقابلته هرقل امراطور الروم وما سمعه من حديث ابي سفيان ثم سمره معه وما كان من مشاهدته الفرس واستدلاله بها على صياع حماد وكيف رافقه اوسيان في مسعة الرقاء للتهيش عن حماد وما شاهدوه من عظام الفرس الآخر ونص الانارحتى انتهى الى مسيرهم سرّاً الى عمان ووقوعه اسيراً بين يدي النصارى الذين ساروا لمحاربة اهل الشام وما دار به وبين بعضهم عن السب الذي حاءت تلك الحملة من احواله الى ان قال

فلست اسيراً عندهم وانا على مثل المحرلان املي لم يقطع من لقاء ولدي حماد على ابي كنت في بعض الاحايين لا ارتاب من فقد واحياناً اراجع ما شاهدته من الادلة على ذلك فلا ارى ما يقطع بوقوع النقص فكان سخي في معسكر جيش النصارى قيلاً تقيلاً عليّ وخصوصاً اهتم متبعوا القرى عني فقد كنت استأثر به فعدا من قضيت منه بخوار عمان علمت ذات يوم ان الروم قد جدوا جدّاً كبيراً بلغ عدده نحو مئتي الف وفيهم الروم والعرب من بني غسان وبهم وحدام وبهم^(١) فلما بلغ المسلمين ذلك حافوا النسل لان عددهم لا يريد على ثلاثة آلاف فصلاً عما في حد الروم من المعنة والسلاح وناعي ان امراء حد المسلمين احتعلوا في حيلة ان راحة احد امرائهم وتشاوروا في الامر فقال اكثرهم كتب الى رسول الله في المدينة محمد بن الحر فاما ان يدنا بالرجال واما ان يأمرنا بأمرهمصني له فقام فيهم ان راحة وحط خطائهمص همهم فقال « يا قوم والله ان التي تكرهون لي التي حرمت اباها تظلمون الشهادة وما تقابل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما تقابلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فاطلقوا انا هي احدى الحسينيين اما ظهور واما شهادة » فقال الناس « والله صدق ان راحة »^(٢) واشتدت عرائهم وصموا على الحرب وكتب اعلم لسالتهم واقدامهم واتحاد كلمتهم واستهلاكم في سبيل نصرة دينهم فعد ايام يودي بالحد فقاموا وسرت انا فيهم محموراً ارى كل حركاتهم وسكناتهم

(١) السيرة الثانية (٢) السيرة الحلبية

فما رلنا ساعرين حتى دنونا من سلة على رحلتين من بيت المندس يقال لها مؤتة وكان حد الروم قد عسكر هناك فالتفت الى ذلك الحد فادا هو مالى السهل هناك وفيهم الفرسا وابشاة ورأيت في وسط المشاة مشاة عليهم ملاس كثيرة الالوان تهر الطار نلألا في ضوء الشمس فلم أكن اطل الحجارين يطرون الى ذلك الحد حتى يعودوا التفرى وحلا ومهانة ولكن رأيت فيهم تائنا لم أر مثله في اساري كلها وما ذلك الا لوقوفهم رهم وعدم مالانهم مانسهم في سبل نصرة دينهم

وحلاصة القول ان المسلمين تقدموا تحت قيادة ثلاثة من الامراء ساروا امامهم مشاة على قدمهم وما ذلك الا لاسهالهم في الكهاد والطاعة حتى التقى الحيسان وابشاة الحرب وكان اللواء اولاً بيد احدهم ريد من حارثة قتال وهو يعلم ضعف الحد ولكنه ظل مكافح حتى قتل طعاً بالرماح فقدم الامير الثاني وهو جعفر بن ابي طالب فقاتل به وهو على فرس شقرا فأخذه القتال واحاط به فحل عن فرسه وشرها وقتل حتى قتل فأحضر اللواء عداه من راحة وهو على فرسه ثم رل عن فرسه وحارب حتى قتل فوقع الرعب في قلوب المسلمين وكادوا يستولون لولم يتم فيهم رجل لم أر منه اسلاً اسمه خالد بن الوليد وسمعت بعضهم يسميه سيف الله فجمع كلمة الحد وشجع شجوة واحدة ومن الروم من بحجة تدحاضهم فاستولى الخوف على حد الروم وعسوا وء المسور منهم تشد كثيراً ' ' ' ولكنهم لم ينلوا على الحرب فعاد المسلمون يريدون مسنة وكنت انا في تاء هن الواقعة في حيرة شديدة ولو كانت الحياة عسرة على بررت من العسكر ساعة اشتعال المسلمين بالحرب ولكني وددت ان اصاب ستة اشتر بها فلم يبين الله دلت فلما عاد المسلمون الى هنا عدت انا معهم أسيراً فاصبني في انا فخرس فاصبحت وتعرلحي سساقط وكذلك شعر ساري حتى ما مني من اصيل وما وصلت المدينة التيبت ساعرا (واسار الى حداد فتعريف ودة في الزقوة في داره واقمت عنده كما نرون وفي اثناء دهاب فخصد في مكة النبي سبي سبتمو راري الخرت من كاذبة طبيب العرب ' ' ' فوصف بي ده من عتسب ر حد التعريف وارحو ان يعود الى ما كان عليه

الفصل الثالث والخمسون

* يوم الشعابين *

فلما انتمَّ عند الله حديثه هماً وا بعضهم بعضاً بالسلامة ثم قال حماد وابن مرسى الآن
قال هو معي ها فهل تريد ان تراه

قال نعم وجرحو الى سنان بالقرب من الممرل وكان الحواد مشدوداً الى محلة
فلما وقع نظره على صاحبه اخذ في الصهيل كأنه يرحب بقدموه ويقدم حماد اليه فلمس
حيته وقبلة بين عينييه ثم عادوا جميعاً والفرح ملء قلوبهم الا حماد فانه عاد الى هيا حسه
في همد وابها والقرطيس فلما وصلوا الممرل وحلوا نظر عند الله الى حماد وقال له
العلك لا تزال مصمماً على الاقتران همد

قال نعم يا اناه ولا اظني قادراً على العدول عنه بعد ان كان ما كان

قال وهل لسيت تدربا لدير بحيرة

قال واي بدر

قال بدر يوم الشعابين الذي سقص فيه شعرك

قال وما دخله بمساً له الاقتران

قال ان له دحلاً كبيراً لاني سالتو عايل في ذلك اليوم حكاية واطمئت على

امور دات مال لها علاقه كبرى بامر الرواح

فخاف حماد ان يكون هناك ما يحول بينه وبين همد

فقال وهل في ذلك السر ما يعي من همد

قال لا اقدر على التصريح بشيء من ذلك الا ان ولكن احد الشعابين يكسف لك

كل شيء

فقال ان يوم الشعابين بعيد فهل يسوع لما استبداله نسواه

قال كلاً يا ولدي بل يجب علينا ان نأتم الدرع حرقاً فوق حماد في حيرة ووحس

حيمة لئلا يكون في قصة يوم الشعابين ما يحول بينه وبين همد فود ان يطلع على

حقيقة ذلك ليعلم كيف يتصرف وقد كان عارماً على الحيرة للخب على القرطيس وكان

قال فاذا كما داهين الى بصرى فليس ثم حاجة الى المحارح لاني الاقيها هناك
واجتمع بوالديها او بأحدهما وابلو عليها ما وقع وما عليك الا اقناع والدي بالذهاب
سا الى اللقاء

قال حسناً ولكنك اذا اردت مقابلتها هناك فليكن ذلك على غير علم من والدك
قال سطر في ذلك ثم افترقا واحد سلماً في تحرير ص مولاة عبد الله على الخروج
من المدينة والاقامة بنية ذلك العام في اللقاء وخصوصاً لان الحارث قد مات وحرر
العمود من يدي اسو ثعلبة

فوافقه عبد الله على ذلك ففصلوا بضعة ايام في المدينة يشاهدون ما أحدثته
المسلمون فيها من الاسية واحسبها المسجد الجامع على ايامهم كانوا يشاهدون في كل
يوم شيئاً جديداً من الاعدادات الحربية للعرو او عين ما رادهم نهياً لحد المسلمين
وحسبوا لمستقبل دولتهم حسناً كبيراً

ثم أحدوا في الاستعداد للمسير فودعوا حسناً فارقهم بدليل يعرفه وساروا
يقطعون البراري والقفار حتى أبوا بصرى فتناوروا في مكان يقيمون فيه فاتفق رأيهم
على الاقامة في دسر بحيرة فأتحدوا فيه عرفة اقاموا فيها

أما حماد فان عودته الى ذلك الدسر اذكرته اموراً هاجت انتباهه فذكر
احبائه ههناك لأول مرة وما كان من محبي ثعلبة نعمة الى آخر ما حدث في حبه
ثم عزم على المسير الى حبله للسلام عليه ثم الى صرح العدر لللاقاة ههنا ما
في صميمه وما بلغت اليه مهمته وما رحوه من العنور على القرطين في العراق ولكنه
كان كلما تصوّر وقوفه امامها موقف المعتذر او المستهمل انما تأرت نفسه وعسر عليه
ذلك الموقف



عه وأروت في صرح العدير لا ترى أحداً ولا تسمع حبراً مخافة ان يكون في ما تسمعه ما يسوءها ثم سمعت بموت الحارث بن ابي ثمر والد تعلقة فاحست بارتياح لعلها ان موته يقلل من موداسه لدى والدها على ان ذلك لم يرد شيئاً من اسباب سعادتها فالهموم ما زالت تراكم عليها وليس لديها من تشكوها اليه غير والدتها لكنها كانت تخاف مخاطبتها بهذا الشأن لئلا تسمع منها ما يريد لها بأساً ففصلت الكتمان وهي مع ذلك لا ترداد الا بحولاً وانقاصاً وميلاً الى الحلوة

وكانت كلما حلت نفسها بطرت الى الاساور في يدها وجعلت نقابها وتسمم منها رائحة حماد فادا اشتد بها الهمام نكت وتحرقت وغمت على والدتها لانهما أعدا حماداً عنها وجبل لها امها انما ارسله الى تلك الاصفاع للتخلص منه وما زال هذا الفكر يعمك منها حتى اصبح مبرلة الاعتقاد وصارت تنهر من محالسة والدتها وتسيء الظن بها فلم ردها ذلك الا رعه في الحلوة والامطاع عن الناس

وأما والدتها فقد كانت لهايتها وحدة دهمها لا تعمل عن خاطر يثر في دهن استنها وكانت تعذرها على ذلك لانهما شعرت هي ايضاً بارتكابها امرأ قبيحاً بارسال حماد في مهمة خطرة الى هذا الحد وقد راد دمها حبر وفاة الحارث بن ابي ثمر وصعب مود تعلقة مع كره هذله فتحقت عند ذلك ان هذلاً يستحيل عليها الاقتراض به وقد أصبح بعدموت والدك وصيغ المبرلة ولم يعد حيلة يجتني بطشة لو ردت طلبة فاصبحت سعدى سبب ذلك شاعرة بخطأ فطبع ارتكبتها امام اسبابها فأحرمتها تنهاً بحبها وخشع وصارت هي اكبر رعمة من هدى في عود حماد وصممت في باطن سرها على انه اذا عاد ولو حائناً لمساعدته في الحصول عليها ولو أنى والدها على امها لم تكن تستحسن مخاطبة هذله السأر انما لا توطد آمالها ثم ربما لا يعود حماد من الحجار فيكون ذلك سبباً في زيادة احرامها فصررت نفسها لتري ما تأتي به القدر ولكنها ما رحمت بسقم الاحرام بها سميع تنقاً حاد

اما حماد فقد كان في سائر سبله عن مل هذه الامور بما كان من الحبيب في موته فما علم ان رجح المأسلوب حتى وفي لحارت فراد اشعائه وعظم اهتمامه بصمم قبائل العرب في اسام والنبأ الذين العرب المصرة هناك قبائل وبصور اكلها بها راية رامير وكانت في رص - اريت مسسة الى شمس احداها ناسه للحارث

والاخرى لحلة فلما توفي الحارث اشتعل حلة صم بعض قبائل الحارث اليه ان لم يكن كلها ولم يضع بذلك الا لعلهم يصعب تغلة عن القيام بما قام به والدك قلة ولاعتقاده ان امراء القبائل ارسهم بكرهون تغلة لدناءته وتراسة اخلاقه . فوقع نسب ذلك تافه بين حلة وتغلة واحسن هذا تصعبه وحاف العاقبة لكن سوء حلفه لم يهتد الى سبيل يسترعي به عنه فاحد يطعن فيه امام الامراء يريد تخفيفه في اعينهم فلم يخفروا الا تغلة وبلغ ذلك حلة فمحمدها عليه وراد سعيه حتى اخرج كل العرب العساسنة من حورته ولم يترك له منهم الا شردمة قليلة

فارداد تغلة لوثماً وسباهة واحد يطعن في حلة واسره وسائر اهل بيته فدم حلة لما وقع منه في حق حماد واسف لامعاده في تلك الرسالة الخطيرة ولم يرد مع الرمان الا دماً ولكنه كتم دمه سطرماً يحيى به القدر ولكنه صم في باطن سمه ان يكثر عما ارتكبه في حق حماد بان روجه ماسه سواء عاد بالقرطين او بدونها فصلاً عما في ذلك من الكفاية في حماد

الفصل الخامس والخمسون

* همد والقمر *

وما زالت همد حال همد حتى كاد ينقضي العام ولم تسمع عن حماد خبراً فترجح لديها انه ما قتل او قتل وسبق عيه الرجوع حائماً فهاجر الى مكان بعيد او لعلته فتك سمو قراراً من يقال نلسن وتحلص من عذاب الحب فتراكمت عليها المهوم وفي ذات يوم نصب همد بهارده في مثل هذه الموحس والدتها تسارقها للخط وتعتم فرصة يحاضرها وفي الحذل وسعد فيما سدل اسيل مائة دخلت الى عرقها واوصدت الباب وراءها وحسب ان سيدة الضمة على الحدة والقت حبا على وسادة وحملت راسها على كساء وكنت سيدة سيرة وخصايفاً والدتر عداول بروعه من وراء الحائل وبدر راسه عي الودة والحبال فاحدت تتأمل بما احده من الاضلال الهوى من سمون والسباب وبطرت الى حديقته التصرفات اشتارها مستدعة سائح سمح كبر صلا ضول بها كبيراً وقد وقست تلك الاطلال على

ما هالك من اعراس الريحان وعين من انواع العطريات فحجبتها عن البصر
ولكنها لم تحجب رائحتها فصوص النضرمها وقد هدأت الطبيعة واوت الغايور
الى اوكارها وسكنت الريح فلم تسمع الا حريماء العدر في وسط السنان وبطرت
الى صراف ذلك العدير فرأت انتحار الحور مرسة صوفاً كأنها عذارى حش للاستثناء
فهاهن سكوت الطبيعة فمهن ووقفت على صراف العدر صامتات

فما رح القمران اعلى وطهر وجهه واصحاً فاستنائه هذ وحملت ثناء ماله فاحست
مارنياح الى مطبخ فتذكرت ارتياحها الى روضة حبيبها فاحتلج قلبها معادات الى
الانصاف فارسلت بظورها الى القمر لعلمها نسترجع ذلك الارياح فامتدح علمها

ولكنها ما لبثت ان نأملت وجه القمر حتى تفرقت الدموع في عينيها واحدت
نحاطة قائلة « العلك مشرق الآن على مارل مكة وحالها انعل حسي هناك يطر
اليك ويسفلك وجهه ليتة يعمل ذلك فيلتنى طرفاً ما عدك فخنن على بعد الدار »

الى الطائر السري انطري كل ليلة * فاني اليه في العسية باطر

عسى يلتقي طريقي وطرفك عند * فتسكو اليه ما يكن الصائم

« نعم اني ارى على وجهك صورة كلها ظل وجهه فهل يرى هو مل ذلك انصاً »

ثم عادت الى الكاء فاطلقت لنفسها العنان حتى لم يالك عن التهيى وهي تطن
نفسها مفردة لا يسمعها احد ولكنها ما لبثت ان سمعت قارعاً مرع الباب وحملت اليها
والدتها سمعت صوت نكاتها فحجأت لتعريبها فودت اللقاء ي حلولها فضاشرت
بالسوم ولم تنهض لتفتح الباب فمرعت والدتها الباب تاية واحـ علمها ان من فسمعت
عيوبها وبهضت ففتحت الباب ولم يكن في العرفة نور غير ضوء امر الدحل من النافذة
فدخلت سعدى وهمت بهد وصمتها وحملت قماها ونظر الى رجليها الدقى كماها
وهذ صامة مطرقة لاتدي حراكاً فقالت سدي ما نالك يا واده ما اسي يكيك
لماذا لاتسكين الي هلك الست والدك اما انت ولدي ورت من كبرت لاتتايين
اسي احك

فلتت هذ صامة ولكنها نظرت الى والدتها بطرف عيها فوضع نأير و

كلمة فمهمت سعدى امها وبجها لما ارتكبتة نسا حجاد ولكنها ارادت مطاقتها اذ سمها
بيدها الى السرر واحلسنها الى حانها وقالت ما نالك لا يحبيني يا هذ كميني حتى

« آه يا حماد حبيبي أين أنت الآن العلك على الأرض أم في السماء أم أين أنت من بحري
بمالك لكي أطيّر إليك فاما إن أعيش فترك أو إن أدفن تحت قدميك فقد كفاني
ما سينته لك من الشقاء وما حراء عملي هذا غير الموت . الموت الموت ! »

قالت ذلك ورمت نفسها على السرير والدنيا لا تزال ممسكة بيدها تحاول
تلطيف ما بها فلما التفت نفسها حافت سعدى أن يعي عليها فبادرت إلى الماء لترتها
به وإمسكها بيدها، وجعلت يحاطبها وقلها تنقطع ولولا اشتغالها معرتها لكادت هي
المعي عليها لا محالة ولكن اشتغال الأسا من بحمة يسيه نسة . مهمتها وحاطبها
فخفقت أنها لم يغمر عليها فحاولت إحلاسها وجعلت نقلها وهدد مشتعلة بالكاء والتبقي
وبداها على وجهها

فرأت سعدى أن يركبها هيبه رثا مهدأ روعها فلدنت صامنة مطرقة تنكري
امرها حتى إذا آتست منها سكية وهدوا حارب بكاس من الماء وقدمته إليها لشرب
فشرمت وهي مطرقة محملاً لما طهر من عواطها رعباً عنها

فبادرتها والدنيا فائلة حتى علك ما واداه فالك متال التعقل والرامة عدا
فكيف اطلقت له سلك العنان

فطست هداها توحها فقالت كما بي تويجاً فقد علمت إلى أبيت امرأ يعاب
عليه امتالي ولكن الكاس قد طمخ والأمر قد

قالت سعدى لم يمد تبي بعد ما هدا ان حمادا صبيك وقد فالت لك سواء
حاء بالقرطيس أم لا فائمة لك واست له

فتمهدت سعدى وقالت هذا اذا فذر لما ان راه لا اظنه ارا مثل في مهمته
الآ صارناً في نطن الأرض ولا يعود إليها صبر اليدس

قالت تدري الأمر بالصبر والحكمة وانكبي على انه نه قادر على كل شيء وهم
ما يصلي ويطلب اليه بعك ان بعد سأل

فما مات هدا في حديق رادها تترجع عندها انها بول الصدى سار حماد
واقترابه بها سواء حاد انقصرص ام لا سرها دب ولكنها ردت - تستطلع - نكاه

والدها من هدا الفيل ففالت لن - ما
هي امك رصيت بذلك تنس على ساقي مهر برعي ولسي ه

قالت هل هو في خير وعافية

قال نعم بامولاتي انه في خير وقد التقى بواله في المدينة
فخرت هدا الى الارض فلبثها وقالت محمد الله على سلامته قالت ذلك وقد
اسط وحجها وارقت اسرتها

فالت سعدى ابن هو حماد ولما ذالم بأث معك

قال انه في في الدبر خجلا من مقابلتكم
قالت وما الذي ينجلة اسلا لا يريد منه شيئا غير سلامته
قال والفرطان

قالت لا حاجة اليها فقد زال السبب الذي دعا الى طلبها

قال ان امر الفرطين قد عاد عليهما الفضل فطعما الفياقي والنفار حتى انهما
الكهف فلم يبق عليا حبر وقصص عليهما حكاية سهرها من يوم حروجهما من صرح
الغدير الى ان عادا وكيف التقيا عند الله وما عروما عليهما من البحث عنهما في العراق
فالت همد دعنا من الافراط وقد اعلمنا الله عنها

فحسب لذلك المغيرة وراود ان يعلم اذا كان حلة ابصا في مثل رأيها
فقال وهل سيدي الملك حمته في خير

قالت سعدى نعم هو في حر سطر قدوم صهر حماد بنارح الصبر
فلما سمع قولها (صرح) راد اطعنا ما نرصاها عن حماد فقال وهل هو ابصا
معمل امر الفرطين

قالت انه لا يريد شيئا غير سلامة ولدنا حماد فادع البيا لبراه

قال انه يود ذلك من صميم فمعه فادع البيا لبراه
قالت فلبثت ما قرب وقت ولكسا يود حضوره وواند همد حاصر لبراه يعود
وليك ابصا والله معه لهم المرح

فمرح سهران مع الاحمار وليكن خاطرا مرة يدهو فاسكنه بغنة فليست همد شيئا
غيره فالت يا مالك يا سهران ما الذي اسكنك فهل هناك ما يبع حضوره احبر في
قال كلا بامولاتي انه يطر هذا الاحماع انطار الصنجان للماء الرلال وهو اما

تحمل الاخطار ومتاق الاسفار طبعاً بذلك ولكنه ...
 وغنت هدى وسعدى معاً وقالوا ما الذي يدعو الى ترددك قل يا سلمان لقد
 شغلت بالناس

قال لا يخفى عليك ان سيدي حماداً اشرف بحظرة سيدي هدى ووالده لا يعلم
 ولما علم بذلك يوم اجتماعا في المدينة سرّ كثيراً ولكنه استعمل حماداً في انعام هذا
 الامر ريثما يأتي يوم الشعاب
 قالت سعدى وما علاقة يوم الشعاب بذلك

قال لا علاقة له بالأمم حيث الدر فقد لهم ان سيدي حماداً مذور ان ينقص
 شعره في در محبراه من يوم ولادته وان يكون قصة في يوم الشعاب في السنة الحادية
 والعشرين من عمره فلما كان اليوم المعين من عامين حدث ما حدث لما علموا وفروا ولم
 يتمكن من وفاء الدر فلما عاد من هذا السفر قال سيدي هدى الله لولع انه سينقص شعره
 في يوم الشعاب القادم بعد بضعة اشهر ويقدم اليه ان لا ياتشراً علماً بها قل ذلك
 اليوم لانه سيطرعة يوم على امورهم ولكني لا اطل لها علاه بهذا الامر
 فلما سمعت هدى ذلك انكرته تهوت بالله ما هو محملاً في عالم العيب
 وقالت في نفسها اللع امامنا عز وجل اهرى غير التي انصت

فكانت سعدى لا تأس ولكن ذلك لم يزعج سيديك من الحضور ليلتي بوالده هدى
 وخصوصاً لانه عريب هدى متأسس في امرهم على يد في المنعاه اما ذلك الامر
 فما سخن في عقل اليه واما المراد ان نصن قلوبهم ويبدأ بالاربرى بعضاً بعضاً وقد
 تمهدت العقبات موت الحارث وسقوط هدى بعلبة بين القبائل

فقال سلمان بحمد الله على هدى ولا اقدر ان اصف لكم مقدار سرور مولاي حماد
 هذه الاحبار فعملوا المكان والزمان اندس ثريان الاجتماع بها لا خبر سيدي
 قالت هدى وصات حماد اولاً ارأيت ثم تقي يوماً بجمع والوالدان لاسا نخشى
 اذا انتظروا اجتماعهم من رسول الاحرار من حيث في المنعاه وربما لا يستطيع المحي
 الا بعد بضعة اشهر من ابد هدى قلت ان تسمع حماد فبلا على افراد المستوصح امر
 الدر وعلاقته بالافتراس

فكان سلمان ما اى داعب لا دعره واطمأ يكون ما في صايج الفتى ان شاء الله

مخرج وقد بدم على ما ورط منه في حديثه عن عبد الله وعلم انه اخطأ فيما ذكره بشأن الدبر وخاف ان يشق ذلك على حماد فعول على التخلص من هذه النعمة بالحيلة فاسرع حتى اتى الدبر في مساء ذلك اليوم وكان قد سار في هذه المهمة ولم يحضر عند الله لعلوا انه لا يريد ذلك

فلما وصل الدبر كان حماد في انتظاره فاستنقله وهو بيطرالى وجهه لعله يقرأ على ما نصحوه ما يشع فرآه ينتم ووجهه مبسط مرحب بوسألة عن المحر فقال اشريا مولاي ان الله قد محا كل شقاء كتب عليها ورالت كل المراجع التي ك، شخاف وقوعها بيلك وبين همد

قال وكيف همد هل هي مسرورة مرحوعي وهل علمت اسالم بعثر على القربين وماذا قالت

فصيحك سلمان وقال ان القربين لم بعد لما دخل في امر اقتراكما فقد تعب وجه المسألة بموت المحارث من ابي شمر - ونصّ علو المحرالى ان قال وادا شئت الافتراس في صايج العد فهو لك لان والملة الفناء والدعا راصبان بك لا يريدان ملك شيئاً واما همد فاست تعلم قلها قال وهل طلعت مواحيتي

قال كيف لا وقد طلعت اصفا ان يشرف سيدي والدك على ان يكون الملك حلة موحوداً لتتم المعرفة بهما واني واثق باقبال نجم سعدنا لان اقتراك همد فصلا عن انه من أهم اسباب سعادتنا فهو سبل الى اكتسابنا نفوداً لدى ملك غسان فقال ولكك تعلم ان والدي لا يرضى الذهاب معي هذا الشأن

قال أعلم ذلك وقد ذكرته امام سيدي همد

فبعث حماد وقال كيف ذكرته وماذا قالت

قال ذكرته على اسلوب لطيف فقلت ان سيدي عند الله شرّ كثيرًا ممحط فكما واكمه بود وواء الدبر قبل عفة الافتراض

قال حماد احشئ ان تكون همد قد همت شيئاً يجعلها على اساءة الظن

قال لا اطعمها همت شيئاً من ذلك وعلى كل فالك ذاهب اليها في صايج الفد

وقد اجلنا اجتماع والدبكا الى فرصة اخرى فادا احصينا امهنا الحكاية كما تريد

رأت شبحاً أو ظلاً أو سمعت صوت صهيل أو وقع أقدام خفق قلبها ولا يكاد يحدث في الصرح صوت إلا سمعته كلها كلمة آذان لعظم تأثرها
أما سعدى فقد كانت توصي الخدم في أعداد ما يلزم للصياغة من الدائع ونحوها فلما فرغت من ذلك وكبرت في همد وما يكون من حالها عند ملاقاتها حماداً بعد طول عيبته فحافت من شدة تأثرها لئلا يطهر منها ما تعاب عليه أو يؤثر في صحتها فترأت أن تسير إليها وتشاعها لذهب ما بها من قلق الانظار فجاءتها فاداً هي في مثل ما حافته عليها

فلما سمعت همد وقع أقدام والدتها كادت تنفث لولا تعودها سماع ذلك فاستسلمت والدتها ناشة فاستندتها سعدى قائلة ما نالك ممرودة يا همد اظنك تهمس
عدول حماد عن المحبة
فصمكت ولم تنجب

وقالت هياسا إلى الحديفة نسيم رائحة الأزهار لان نفاذك هنا ممل قالت ذلك وامسكت بيدها ومشتا حتى رتلنا إلى البستان وأبعانا بين الأشجار وهمد تدارق النظر من بين الشجر لعلها ترى حبيبها قادمًا ولكن والدتها سارت بها في الحديفة حتى دالت عن الطريق وكانت همد أمامة تشي محاربة لها وقلها بجسنتها بالرجوع إلى النصر لئلا يصل حماد أساء عيابه

وفيما هما في ذلك سمعنا صوت صهيل عرفت همد حلالاً أنه صهيل حماد حماد فحق قلبها فصررت إلى سعدى مخافة فاداً هي قد سمعت وسمت بالرجوع فقالت لها دعينا هنا فإنه لا يلبث أن يأتي براه وقد أرادت سعدى أن يكون المنتقى على أفراد محافة أن يحدث في أثناء ذلك الإجماع ما لا ينبغي صلاح أهل القصر عاء

فصمكت همد ولكلها ما فقت ضر من حلال الانتحار نحو باب الحديفة
معني حماد سارع الصبر وتصبر همد حتى رآه فدهى برأسه كركر
وقد تقلد الحسام تحت عذبة حبيب
حفظان قلبها وأصروحها تم ما لبث أن عابته بحرقه وصوت وقده ما والبتار
حتى التفت بحمد فسلمت عليه وهم يتقبلونها احتفاءً ومعه ربهما لا رأساً

الفرطين جهادًا حسنًا ولا يزال ساعيًا في التنبش عنها في خزان الحيرة ولكننا نحن حولناه عن عرومها ذلك من قبيل الخبيثة لا سمح الله

ثم قالت سعدى ان امر الفرطين يا ولدي لا بهما مطلقًا فمثل هذه الافراط كثير عندما من نعم الله . من ذلك لؤلؤتان معلتان نواج الملك جلة هما مثل لؤلؤتي فرطي مارية تمامًا حتى لقد يمجدها الناس بنس الفرطين^(١)

قال حماد ابي لا أجهل نعم الله على ملوك غسان زادكم الله نعمًا ولكنني وددت ان اجعل لي سبيلًا استغنى به وهذا فان نسي وحنًا ولا حسبي بحولاني هذا الشرف ولكن ذلك أحسن من حملة كرم العساكرين على الغرباء . قال ذلك وتسم والسمت الى هند فاذا هي تنسم ايضًا وتضار الى الارض

فالتفت سعدى اليه وقالت ان السب يا ولدي لا يجعل الانسان انسانًا وان الرجل باصغر ولا يزدريه فان ما شهدناه من شهامتك وكرم خلقتك لجدير ان يرفع مرئيك الى أوج الملوك وكم من ملك نخضه دماءه ثم ما اف الله لبك وشهدنا على ذلك قريب . قالت ذلك وبطرت الى هند كما تها تذكرها دماءه تعدة واما به بيته وبين حماد فادرك حماد ذلك فاطرق حملاً لما سمعه من الاطباء ولكن قد رقص طراً لتخصيه من امر الفرطين وتثل له ملاك المساعدة طوع ارادته ورتبت اسرته ثم تذكر يوم الشعابين وتأخير الافتراق اسره فاقصت سبعة عشر ساعة جهدي في تلك الساعة ساء كل واحد منكم سعدى تلاحها وقتها اي على انرا العمار الا تخمخ الى تديل عسيل وداست دم ما به اصر

قال لا اشعر تعب وان الغسل والدريل امران مستدركان ولكن مجموعهم هذه الحديقة بين الاشجار وبحاري المياه والاسطلال تحت هذه السموم ما يرتجح نفسي . ولا احبي على سيدتي ابي ثم كن ارحم مثل هذا الاحتياج هذا فاستبى المتساق ولا اسي ومما نصبة في مكنة صعب ودرج حركته في ذلك اليوم لا اذ دة في قالت هند وكيف كـ

قال لا تائف من سكر دلتك عذرا فمسي من ...

اني ركت من الاسفار وقضت البراري والقفار للبحث عن قرطي مارية مهراً لمحبيتي
 هدى والدمع عن والدي فزلت ملداً شهدت فيه حرماً وحطراً ثم تحققت فقدان
 الفرح وسرع والدي فلما تركت كل هذه انصائب علي صعدت الى سطح عرقي
 وقد حلق صدري وتذرت هذا والدي وما انا فيه من الأس ماذا تكون حالي
 يا بني بعدى فقد سرنا العور على وارك هل هو في خير وهل ينوي ريارتنا
 يا بني بعدى في ذلك حيا بين سرورنا فقد رالت كل الحواجز فهدت كل
 في سائت يا بني

فصار حماد معانة لدمع وحكاية يوم التباين فقال في نفسه لم تزل اماما
 يا بني بعدى و يا بني بعدى حبيب بعدى فائلاً ان سيدي اواءه يسر كبراً
 يا بني بعدى و يا بني بعدى ما راكنا ان في شاعل وسيعم اول فرصة
 يا بني بعدى حلت ويا كنت

الفتاة الغريبة

بنت جارية

يا بني بعدى حدثت لي في كل انصر حوكة وانما تم حاهم
 يا بني بعدى و يا بني بعدى حارة روح سمعت الجميع اندومو على
 يا بني بعدى و يا بني بعدى في كل انصر حوكة

يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى
 يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى
 يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى
 يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى

يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى
 يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى و يا بني بعدى

المسألة ففعلوا لذلك ولكم صبروا اسمهم ابروا ما يكون بعد ما درك عند الله ضائهم فقال لم لا تروا في حديثي ما كنتم تتوقعونه من الاساءة المهمة فاني اما اقص عليكم اخباراً متناقضة على السنة الناس ولكي اردت ان اسطركم اصل نسب ملوك الحيرة المقيمين في العراق ثم بطرق من ذلك الى كشف السر فاهملوني ولا تغفلوا

الفصل الحادي والستون

* ملوك الحيرة *

قلت لكم ان سي كهلان تشرقوا قبيل سبل العرم ونعم وكما على احياء عديدة مذكر منها ثلاثة في الحلم والازد وطى اما لمهم احداً ما الدين اقاموا في العراق ومهم المماذرة ملوك الحيرة (قال ذلك وتهد) واما الارز فمنهم بنو غسان عرب هذه البلاد اما طي فاقاموا عند وانحار في حبي اجا وسلى (١)

وسر حماداً ان تكون بنو الحيرة بنو العساسين قرابة ولكنه ما زال قلقاً للوصول الى آخر الحديث وكذلك سلمان اما الراهب فكر اقلها قداماً واشتياقاً كأن الشجوخة وكثرة الاختار تلهاه الا تخف بمحادثات الرماح فصلاعى ان ما قصة عند الله عليهم الى ذلك الحين لم يكن ما ينبغي لجهول عمه

اما عند الله فانه اتم الحديث في الاصل فلهذا ان ملوك الحيرة لم يمتص نسبهم كهلان من ساسا من عرب اليمن تحت يد درو ولحم العراق واقاموا فيه مدة على حالهم من الدواعي واول من حكم العراق من العرب قوه من بني يفرل في درس وهو اظن من الارز وهم اقرب نسباً الى العساسين منهم ايضاً ولم تقص مدة حتى تغلب اجدادها عليهم ومكثوا في العراق تحت ردة ملوك الارز على مثال ما هم عليه الآن واتخذوا مدينة الحيرة كرسياً لهم ومكثوا في درج جمع المدرس وهو لقب ملوك العراق كما تعلمون ولا اطلب كلاماً بكم خوف من قول من يحصر انه تعالى على كرسي الحيرة اصعداً عشر ملكاً تهرهم مروا من عمر وروما يرت من فصول ان اللهبين لما قدموا

من اليمن كانوا على عباده الاوثان فلما ملكوا وخالطوا الرهبان واهل الصراية تنصروا
 واول من تنصر من ملوكهم امرؤ القيس هذا ^(١) ثم ملك النعمان بن امرئ القيس ويقال
 له الاعور وهذا الذي بنى النصرين المشهورين (الخوريق والسدير) ومن غرس امر
 انه لما عظم ملكه وامتلاّت عياله من خيرات الارض مال الى الزهد وترك الملك
 وتسلك ^(٢) . وملك بعده المنذر ثم الاسود وهذا حارب اصحابا الفصاييس منذ مئة
 وخمسين عاماً واسرعته من ملوكهم وكان ذلك سبب دداوة مستمرة فيما بيننا
 وبينهم ^(٣) . وتوالى بعد الاسود ملوك كثيرون منهم المنذر بن ماء السماء وكان معاصراً
 لكسرى او شروان ملك الفرس المشهور وله معه وقائع وحوادث يظول شرحها
 فليتركها وينتقل الى آخر ملوك الحيرة النعمان بن المنذر

فلما ذكر اسمه اندره الراهب قائلاً اظنك تعني انا قابوس

قال نعم انه كان يلقب انا قابوس

قال الراهب هذا الذي قتله كسرى روبرو وسبب قتله صارت واقعة دي قار ^(٤)

وقد كنت شاعراً وشهدت هذه الحوادث وكنت اعرف الملك النعمان هذا رحمه الله ولي
 معه حديث طويل

الفصل الثاني والستون

مقتل النعمان بن المنذر ❖

فتمهد الله وهو عندل في مجلسه وبصلح الرداء على كعبه وقال قد وصلنا الى
 المراد من حديثي فارغوني السمع لاقص عليكم غرائب ما اعلمه عن هذا الملك قال
 ذلك وشرق بدموعه حلسه ولولا ضعف النور لصهر الدمع متلاًقاً في عيبيه وكلمة
 تحمد واعاد الحديث فقال

ان الملك النعمان هذا لا احتاج في وصفه الى تطويل ولكنكم يعرفون الاحقاداً
 ويحكمي في وصفه انه شهم شوع صادق وقد اعاد الصراية الى الملك ^(٥) بعد ان فسدت

(١) اس حلدون (٢) ابو الهذاء (٣) بن حلدون (٤) الطبري (٥) او الهذاء

وإندما أسلافة الوثنية^(١) . ولا تصح لكم دخيلة حديثي إلا إذا ذكرت لكم كيفية تولي
العمان الملك . فقد كان أبوه المذمر ملكاً قنلة وكان في بلاط كسرى على عهد رجل
عدياني اسمه عدي بن زيد كان يحسن للعربية والفارسية وكانت له مودة كبرى
وفود لدى كسرى وكان مقام كسرى في المدارس والمذمر في الحيرة كما نعلمون . وكان
المذمر ١٢ ولداً أحدهم العمان الذي نحن في صدره وكان قد ربي في حجر عدي بن
زيد ورصع في أهله^(٢) وكان من أساء المذمر أيضاً فتى اسمه الأسود رماه قوم من
أهل الحيرة يقال لهم هو مربيا ينسون إلى لحم

فلما مات المذمر خاطب كسرى عدياً في من يلي الحيرة بعد وقال له « اني اري ان
أخرج الملك من أيدي هؤلاء واجعله في يدي واحد من خاصتي هل بين أولاد
المذمر من يصلح للملك » قال عديّ انهم بضعة عشر رجلاً كلهم أشداء فإدا امر
مولاي حنة بهم قال اليّ بهم . فبعث يستقدمهم وفي دعوى ان يسهل سبيل الملك إلى
العمان سرّاً لا يري عنه محلاً . وقبل اجتماعهم وأسر البواشياء يقولوا في حصنة كسرى
فنفعل وتولي الملك فتقّ ذلك على اس مربيا لانه كان يرجو ان يكون الملك للأسود
التماساً للفوز على يد واحد يحرص الأسود على الانتقام من عدي بدعوى انه عدياني
(اي من نسل عديان وبين الخطاية والعديانية مطابقة) موافقة وسلم التصرف في
ذلك البواشياء من مرسا يتقرب من العمان بالهدايا والغف وبشي عديّ فيذكره
الحبر وبنوا طاً وبعض الحضور على الطعن فيه فيروون عن لسانه انه يقول بان
العمان نحت امره وأنه هو الذي ولّاه الملك وما رآه كذلك حتى اصغوه عليه . فبعث
العمان إلى عدي بدعوه إلى ريارتو فحاء وفي حال وصوله امر سمحوا في مكان خارج
الحيرة لا يدخل عليه فهو حد فعلم عديّ انها وشاية فجعل يكتب إلى العمان يستعطفه
بصاً ونداءاً فم يجد ذلك . فكتب إلى اح له اسمه أيّ يحرصه على انقاده فقام أيّ إلى
كسرى وأبناه بحبه فكتب إلى العمان في اطلاقه فحاء أعداء عديّ واكثرهم من بني
نقيلة وإصلهم من عرب غسان^(٣) أهل هذه الديار وحرصوا النعمان رحمة الله على
الملك عديّ قبل وصول كتاب كسرى إليه وحسبوا له ذلك محبة بطول شرحها
وكان الرسول قد مرّ قبل وصوله إلى الحيرة سمح . عديّ وأخيه نكتاب كسرى ثم

خرج من عده الى الغمان وفي اثناء ذلك ارسل الغمان الى عدي اناساً قتلوه فلما فُضَّ كتاب كسرى كتب اليه ان عدياً مات - ولكن الغمان ما لبث ان عرف انه اساء عدياً فمدم ومصدق ان لقي ولدًا من اولاده اسمه زيد بن عدي حتى هم ما كرام وورفع شانه تكفيراً عما فرط منه لثان والده واوصى به كسرى فجعله في منزلة والدة عدي^(١) فلم يفعل اهل الوشاية عن اطلاع زيد على كيفية قتل ابيه فحفظوها على الغمان وسعى ضد كسرى بحيلة غريبة - وذلك ان الاكاسرة كانوا يعشون الى ايلاتهم يظلمون نساء فلم على اوصاف محصورة ولكنهم لم يكونوا يلتصقون ذلك من احياء العرب لعلمهم بخلاف بكرائهم - فقال زيد لكسرى مرة ان في الحجرة نساء جمعن كل اوصاف الجمال فاذا بعثت الى الغمان ارسل اليك منهم - وكان زيد يعلم ان الغمان لن يرضى بذلك فوقع النافذ بينه وبين كسرى فانهذ كسرى رسولا ومعه زيد الى الغمان فاخذ يطلب كسرى معظم ذلك عليه فالتفت الى زيد وقال له « اما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ كسرى به حاجته ان الذي طلب كسرى ليس عدي » قال الرسول لزيد بالفارسية ما معنى المها والعين « قال « الفر »

فلما رجعا الى كسرى اخبراه بما قال الغمان وافترعاه انه انما اراد الخط من منزلة كسرى بقوله « اليس في نهر الفرس ما يكفي » فغضب كسرى غضباً شديداً ولكنه كتم ذلك والغمان قد شعر بغضه فاخذ يستعد ويتوقع حتى اتاه كتاب كسرى يستقدمه اليه فعلم انه انما يدعو لمقتله فحمل سلاحه واهله والنس الرار - وكنت انا من لازم الغمان زماناً وكان يستأنس بي ويرتاح الى رفعتي فقال لي كيف انت يا عبدالله قلت ابي بامولاي لاحفك بك ايما توحشت فقال ان في ذلك خطراً عليك قلت ما انا ماهرص على نفسي مي على نفس مولاي الغمان فقال بورك فيك - فصعد من ذلك اليوم وسرنا حتى اتينا قبيلة طي في اعالي نجد وكان الغمان قد تروج منهم فطلب ان يجوه بين الحلبين (احاوسلى) فقالوا « لا يمكن ذلك ولولا صهرك لقتلناك فانه لا حاجة بنا الى معاداة كسرى »

فتركاهم وسرنا الى قنائل اخرى فلم يقتلنا احد منهم خوفاً من كسرى حتى لقينا رجلاً من قبيلة بكر بن وائل اسمه هاني بن مسعود^(٢) وكان سيداً مبيعاً وكان للغمان

(١) الاعاني (٢) الاعاني (والطبري يسميه هاني بن قبيصة بن مسعود)

فضل عليه فقال له « اني مانعك ما اسع نفسي واهلي وولدي منه ما بقي من عذيري
الا ذنين رجل ولكني لا ارى ذلك نافعا لك لانه مهلكي ومهلكك فاذا اذنت لي فاني
مشير عليك ، الذهاب الى كسرى مستعطفا واجل اليه الهدايا فاذا صنف علك عدت
ملكاً والا فالموت خير لك من ان يتلاعب بك صعايلك العرب » فاستحسن مولاي
العمان الرأي ولكنه قال ما افعل بحرمي قال هاتي « هن » في ذنتي لا يخلص اليهن حتى
يخلص الى ساتي « فقبل العمان بذلك وابا خائف من عاقبة الامر وقد حدثني
نسي في صدره عن الذهاب فلم اجسر لاني شاهدت وجهه وكانت ارش احمر كما
تعلون^(١) قد امتنع حتى صار كمن اصابه البرقان ونهض وقد هه الامر كثيرا
وجعل يحظر ذهابا وابا خائف وقصر قامته ظاهر وهو يتنل شاربوه الاشرين كانه خائف
من الذهاب وكان ضميره دليلا

ثم فكر قليلا وقال له اني اري يا اخا نكر ان ارسل الى كسرى هدايا فان قبلها سرت
اليه فقال له اني نعم الرأي رأيت فارسلها اليه فقبلها كسرى حذاعا منه فحج الله . فهم
مولاي العمان بالمسير فقلت اني سائر معك والله لا ارحك لحظة فقال ان تنق
عد لساتي خير من ان تذهب معي قلت اني فاعل ما تريد ولكني ارى النساء آمنات
في حبي هاتي من مسعود فأذن بدعائي بك فأذن وكأن نسي حدثني يحظر
قربا فسرنا حتى اتينا المدائن فلقينا ريد بن عدي فتداعى ريد بن عدي ووثيقه وتحققت سوء
قصرك وكنت متبينا في ذلك لانه لم يكر يلقانا حتى قال العمان « انج نعم ان استطعت
المجة » فقال العمان « فعلتها يا ريد فوالله ان عشت لا تقتلك قتلة لم يقتلها عري قط
ولا تحملك ما يملك » فصحك ريد لعمه الله وتوعد فعلها انها حيلة اعدوا له وتحقق
العمان ان الجماعة قد دنت وان النساء واقع لا مفر منه فلما وصل الى كسرى أمر
بهدايا وبعثوا به الى ساتي في حقيب^(٢) وكنت اتردد اليه في السجن خلسة وابا ارجو
الا فراح عنه اما هو لم يكن يرجو بقاء



الفصل الثالث والستون

السُّرُّ

وسرتُ اليو ذات يوم صباحاً فرأيتُ قد تغير حاله وامتنع لونه كأنه خائف من امر قريب ولا انسى مظهر الرهيب في ذلك اليوم فوقت انتظر امره فقال لي يا عبد الله قلت لبيك يا مولاي

قال ارى ان اسرّ اليك امراً مهلاً تعاهدني على حفظه

قلت كيف لا

مدّ يده واعطاني هذا الرداء المراكشي (قال عبد الله ذلك ورع الرداء عن كنفه ووضع امامه) فاحذته منه ثم استخرج من بينه حاتمًا عليه اسماء وامته وهو هذا (وقد عبد الله بينه واستخرج الحاتم من حبه ووضع على الرداء) وكان الحضور شاخصين بحسب اناسهم اصغاء لما سيقوله عبد الله وتوقعاً للخطر القريب . وكان عبد الله قد تغيرت سمته واخفق صوته وتخلله ارتعاش راد الحضور تهيئاً

ثم قال ولما تناولت الحاتم قال لي العمان اعلم يا عبد الله اني في هذا السجن حتى ينصني اجلي فيخرج ملك الحيرة من ايدي المحسن لان عدياً هذا سيذل جهنم في اذلالهم خوفاً من ينقم لي ولا اعرف من اولادي من يصلح لرفع هذا المار عما ولكن بين اهلي عبد هاني من مسعود روحني سمية وهي حامل وستلد قريباً فادهب اليها بهذا الحاتم وهذا الرداء وقل لها ان هي وصعت علماً ان تعهد اليك تربيتي وتربيته تربية رجال النبال حتي يشبّ شهماً حراً واحذر ان تنص شعري او تحزن عن نسبي قبل الحادية والعشرين من عمره فاذا بلغها قص شعري في دهر بجبراه واخبر عن نسبي والسهة هذا الرداء وهذا الحاتم . . . »

ولم يكذب عبد الله كلامه حتي استولت البغية على الحضور وخصوصاً حماد اذ خيل له انه في حلم وساعده على ذلك الوهم ضعف الدور وهذو المكن وكامل لا يرددون اناسهم الا وهم يجذرون ان اتمتع حدث عبد الله ولما وصل الى هذا الحد تخفقوا ان حماداً هو اس الملك العمان فيعلموا بطورهم الى نظرة الاحترام . اما عبد الله فعلم ان بلغ الى قوله « والسهة هذا الرداء وهذا الحاتم » وقف على قدميه وحمل الرداء على

كنتي حماد والحاتم في اصبعه وامسكه بيده وانهمضه واجلسه على المنعد الحجري وهم يتقبلون
فقبيل حماد وجذب يده منه فقال له عبد الله لا تحجل يا مولاي انك الآن سيدي
ابن الملك العمان وقد انتضي زمن والدية عبد الله . فجلس حماد على المنعد وجلس
عبد الله بين يديه وهم سلمان بيد حماد فبها وتادب في مجلسه وهو يقول « والله كنت
ارى هيئة الملوك على وجهه من يوم عرفته »

١٠١. الراهب فانة على عجزه وقف ورفع يده فوق رأس حماد وباركة ودعا له
بطول البقاء وقبل رأسه . كل ذلك وحماد بحسب نسيه في حلم ولكنه فرح كثيراً
بما علمه من نسيه وودّ لو ان هذا حاضرة فتسمع ذلك فتفرح معه وخيل له ان
سعد قد تمّ لانه ملك وسيقترون بملكه ويرث ملك غسان . وبما هو يبكر في ذلك
نهض عبد الله فقال لم يتمّ حديثي بعد فهل سمعوه الى آخره

قال نعم

مدّ يده الى جيبه واستخرج اسطوانة من النصة ثخن الاصبع وخاطب حماداً قائلاً
وقد اعطاني مولاي العمان هذه الاسطوانة واستغفلي ان اسلمها اليك مخومة بعد اتمام
الحبر فتتقها في هذا الدبر وتقرأ ما فيها وتعمل به

مدّ حماد يده فتناول الاسطوانة وهم لتفحصها فامسكه عبد الله وقال لا تفعل قبل
اتمام الحديث

قال تنصّل

فقال عبد الله فلما أتمّ العمان وصيته نكح ونكيت ولكي كست أحسن الدمع
نتيجةً له . فقال « اعلم يا عبد الله ان الفناء واقع قريباً فاحفظ هذا السر حتى يأتي
وقته اما اذا احرحت من هذا السخن وعنت والفسالة وجه آخر » . وللأسف
يا سيدي انه لم يخرج من ذلك لسخن ففاداه القدر فوفي بداء الطاعون ^(١) قال
ذلك وتهد والدموع مله عيونه وسهد الجميع ثم قال

اما ان فسررت لي هاتين وقيت والدتك سمية وكانت حاملاً فاسررت اليها ما كان
واطاعت وانتظرت رجباً وصعدت واكرمها وأسأه عليها لم تعش بعد الولادة الا قليلاً
فمحمسك الى هلي وارصعك منهم حتى شئت عي ما ترى

الفصل الرابع والستون

وقعة ذي فار

ولعلك تسألني عما تم من امر ودیعة والدك فاخبرك يا مولاي ان كسرى علم بعد وفاة سيدي العمان ان اهله وماله وسلاحه عند هاني وفيه اربعة آلاف شكة والشكة سلاح الفارس كله^(١) فكتب كسرى الى هاني مان يعث الوديعة اليه فاني ذلك محافظة على العهد ورعاية للذمام وكان لكسرى عامل على عين التمر وما والاها الى الحيرة اسمع اياس بن قبيصة الطائي فدعا به اليه فجاءه رجاله فاستشاره في العارة على نكر بن وائل فاستشار عليا بن يعقود كسرى لا يياس بن قبيصة على كتيبي والدك وهما الشهاب والدوسر^(٢) وارسل معه حداً آخر بقيادة رجال من الفرس فكانت حملة ترعرع الجبال وفيها من الحيل والجبال والموتى والعدة ما لا يحصى فلما سمع هاني بن مسعود بها سار رجاله للملاقاة فالتقوا في محل يقال ذو فار وكانت فيه وقعة عرفت بوقعة ذي فار بين الفرس والعرب اشتهر امرها في الاقطار وكانت العلة فيها لهاني ورجاله فانهم هربوا الفرس شر هزيمة وهي اعظم وقعة انتصف فيها العرب من العجم قبل الاسلام^(٣) وفرّ اياس الى كسرى فسأله عن الخبر فقال غلبت نكر بن وائل وجنبا اليك نسائهم ففرح كسرى به وامرته بكسوة ولكن اياساً خاف ان تصاح امره قريباً فاستأذن بالذهاب الى اهله فاذا له فانصرف الى عين التمر ثم جاء رجل من اهل الحيرة الى كسرى وحدثه بهزيمة القوم فعصب منه كسرى فامر فبرعت كتماء ولم يصدق الا اياساً فولى اياساً الحيرة^(٤) كما تعلمون وقد ولي بعد رجل فارسي آخر ثم ولها احد اخوتك المدر العرور وهي الآن في ولاية اياس بن قبيصة^(٥) ولا تزال الوديعة عند هاني بعضها او كلها

وكان حماد قد ملّ الانتظار تشوقاً الى ما في تلك الاسطوانة فلما فرغ عبد الله

(١) ابن خلدون (٢) الاطلي (٣) الاطلي (٤) الاطلي حرم ثاني : ويقول الطبري ان كسرى وليّ اياساً الحيرة عند وفاة العمان (٥) اس خلدون

من حديثه تمض وقد اعياء التعب لشدة تأثره وذكرى مضائوه وقال لحماة الخيال
يا مولاي بالاسطوانة فدفعها اليه فالتبس من الراهب ان يباركها قبل الفتح فباركها فوقها
جميعاً وتناول عبد الله الاسطوانة وعالجها بمديّة حتى انتحمت فدا من مصاح منير بحباب
ايقونة ونظر الى ما في الاسطوانة وكلهم يتناولون من حبيب وورائهم يطربون معه
فاذا فيها لنافقة من جلد فاستقرحها ونشرها بين يديه فرأى عليها كتابة بالاحرف
الاسطرنجية وهي كتابة اهل العراق الى ذلك الحين فتحصت انصارهم الى ما فيها فاخذ
عبد الله يتلوها عليهم وهم يسمعون وهماك نصها :

« من العيان بريل دار اللقاء الى اسو المندر المقيم بين الاحياء اما بعد فهذا
كتاب كتيبه واما في عالم الوجود وانت في دار الخناء وستقرأه بعد رجوعي الى عالم
الغيب وروورك في عالم الاحياء فاذا قرأته وقد وصيت بدرك وعرفت حقيقة نسك
فاعلم ان عظامي تناديك من طلمة القبر وتستخلك بشرف اجدادك المادرة من اكل لحم
ان لا تقرب امرأة ولا تشرب حمراً حتى تنقم لايك من اكاسرة الفرس فاذا فعلت ذلك
فمالك مبارك انت ونسك وان لم تفعل فان رفاتي ترتعش حقاً ونفسي تتألم وهي
نظر اليك من مبادد الآخرة تراقب حركاتك وسجيبي واياك موقف تخاسب فيه
والسلام »

فلم يكده حماد بأني على حائمة الكتاب حتى ارتعدت فرائضه واي ارتعاد وقد رأى
مساعدته كلها دامة ادراج الرياح على ان الحبيبة من الجهة الثانية تارت فيه والحقة
هاجت في رأسه وتعدد دافع يدفعه الى الاحذ ثار والد من اكاسرة الفرس وقد
استعظم المسروع وهالة الاقدام عليه موقف مهوئاً لا يمس ست سنة

فصرعته اليه ينظر ما يدومته فلما رآه صاماً قال له هذا هو السرياسيدي
قد اصمك عليه فانيت عن ثائتي حملاً حملته بينا وعشرون عاماً واما احافان اقضي
بحي قل افشاء فاحر في ماد فعل

فقل حماد لقد اقيت منك حملاً انتفاني به وارحو ان اتوفى للقيام بما عهد
اني واني مدوي وه بري قل ذلك وتحرل لخروج من الصومعة فاقوه عبد الله
وانس من الرهب ان يحتم حديثهم بالصلاة فطلى ونصرع الى الله ان يساعدهم
على كتمان الامر ثم حرقوا وكان على رؤوسهم الضير لملول ما سمعوه ورأوه واكنهم

الفصل الرابع والستون

* وقعة ذي فار *

ولعلك تسألني عما تم من امر ودیعة والدك فاخبرك يا مولاي ان كسرى علم بعد وفاة سيدي العمان ان اهله وماله وسلاحه عد هائي وعيوه اربعة آلاف شكة والشكة سلاح الفارس كله ^(١) فكتب كسرى الى هائي بان يبعث الوديعة اليه فاني ذلك محافظة على العهد ورعاية للدمام وكان لكسرى عامل على عين النمر وما والاها الى الحيرة اسمه اياس بن قبيصة الطائي فدعا به اليه فحماه رجاله فاستشاره في العارة على نكر بن وائل فاستشار عليوان بنعل فعقد كسرى لاياس بن قبيصة على كتيبي والدك وهما التيهاء والدوسر ^(٢) وارسل معه جندا آخر بقيادة رجال من الفرس فكانت حملة ترعرع الحال وفيها من الخيل والجمال والموتة والعنة مالا يحصى فلما سمع هائي بن مسعود بها سار رجاله للملاقاة فالتقوا في محل يقال ذو فار وكانت فيه وقعة عرفت بوقعة ذي فار بين الفرس والعرب اشتهر امرها في الاقطار وكانت العلة فيها لهائي ورجالها فانهم هزموا الفرس شر هزيمة وهي اعظم وقعة انتصف فيها العرب من العم قبل الاسلام ^(٣) وفر اياس الى كسرى فسأله عن الخبر فقال علت نكر بن وائل وجنبا اليك سسائهم ففرح كسرى به وامر له بكسوة ولكن اياسا حاف انصاح امره قريبا فاستأذن بالذهاب الى اهله فادله فانصرف الى عين النمر ثم جاء رجل من اهل الحيرة الى كسرى وحدثه بهزيمة الفوم فعصب منه كسرى فامر فبرعت كتفاه ولم يصدق الا اياسا فولى اياسا الحيرة ^(٤) كما تعلمون وقد ولي بعد رجل فارسي آخر ثم ولها احد اخوتك المدر العرور وهي الآن في ولاية اياس بن قبيصة ^(٥) ولا تزال الوديعة عد هائي بعضها او كلها

وكان حماد قد ملّ الانتظار تشوقا الى ما في تلك الاسطوانة فلما فرغ عبد الله

(١) ابن خلدون (٢) الاعالي (٣) الاعالي (٤) الأعالي حره ثاني : ويقون

الطبري ان كسرى ولي اياسا الحيرة عد وفاة العمان (٥) اس خلدون

من حديثه نهض وقد اعياه التعب لثقة تأنق وذكرى مضائيه وقال لحماذ الي
يا مولاي بالاسطوانة فدفعها اليه فالتبس من الراهب ان يباركها قبل الترخ فباركها فوقوا
جميعاً وتناول عبدالله الاسطوانة وعالجها بمدة حتى انفتحت فدا من مصباح مبرمجاب
ايقونة وبطر الى ما في الاسطوانة وكلهم يتناولون من حديثه وورائهم يطرون معه
فاذا فيها لواقعة من حلد واستخرجها ونشرها بين يديه فرأى عليها كنانة بالاحرف
الاسطورية هي كتابة اهل العراق الى ذلك الحين فتعجبت انصارهم الى ما فيها فاخذ
عند الله يطلوها عليهم وهم يسمعون وهاك نصها

« من النعمان سربل دار النقاء الى اسو المذخر المقيم بين الاحياء اما بعد فهذا
كتاب كتبتة واما في عالم الوجود وانت في دار الحناء وستقرأه بعد رجوعي الى عالم
الغيب وسرورك في عالم الاحياء فاذا قرأته وقد وفيت بذكر وعرفت حقيقة نسك
فاعلم ان عطائي تناديك من ظلمة القدر وتستغليك بنسك احداك المبادرة من آكل لحم
ان لا تقرب امرأة ولا تشرب حمراً حتى تنفك لايك من آكاسرة الهرس فاذا فعلت ذلك
فالك مبارك انت وسنالك . وان لم تفعل فان رفاقي ترعش حقاً ونفسي تنال وهي
تنظر اليك من مفايد الآخرة تراقب حركاتك وسجدي واياك موقف نخاسب فيه
والسلام »

فلم يكده حماد يأتي على حائنة الكتاب حتى ارتعدت فرائضه واي ارتعاد وقد رأى
مساعيه كنهها دامة ادرج الرياح على ار الحمية من الجبهة . النابية نارت فيه والحقوة
هاجت في رأسه وتعدت يدعه الى الاحد ثار والذ من آكاسرة الهرس وقد
استعظم المشروع وهالك الاقدام عليه فوقف مبهوتا لا ينس ست شنة
فطر عذته اليه يتضرما يدومه فلما رآه صاماً قال له هذا هو السرياسيدي
قد اطاعتك عليه فالتفت عن عاني حماداً حزيناً بينا وعشرو عاماً واما احافان اقصي
بحي قال فتناوبوا فاعز في مادا نعل

فقال حماد لند انقيمت عليك حماداً انقلبي به وارحو ان اتوفى للقيام بما عهد
الي والد معدي وصري . قال ذلك ونحز للروح من الصومعة فواقته عند الله
وانتس من الراهب ان يجتهد حديثهم بالصلاة فطلى ونصرع الى الله ان يساعدهم
على كتمان الامر ثم حرجوا وكان على رؤوسهم الطير لول ما سمعوه ورأوه . واكثرهم

بغته واندھالاً حماد لانه أصبح لا يدري ماذا يعمل أيسر الى همد يطالعها على سرع وليس في ذلك السر إلا ما يوجب كدرها لانه حائل بينها وبين الافتتان الى اجل غير معين وان يكن في اطلاعها على حقيقة نسب حماد امر يسرها . ام يحاطب حلة بالامر لعله يشير عليه او ينعذ . ام يأم العراق فينزل المدائن ساعياً في الانقام من كسرى فلما فكر في مسيره الى هناك تهيّب لعلمو بما يحول بينه وبين ذلك المرمى من العقبات فان الاكاسرة دوو بطش ومسرة فسار الى الدبر وقضى ليلة ساهراً لعظم تأثر وهو يكر في طريقة تهو عليه المشاكل

الفصل الخامس والستون

دولة الفرس

ما رحلت الفرس من قديم الزمان تحت سلطة مملكة اشور حتى تولى هذه المملكة الملك سردمول في القرن الثامن قبل الميلاد وساء حكمها واستعل عن سياسة مملكتها بحالسة النساء واللبو على انواعه فاعصته الرعية وودت التخلص منه فاتفق كبيران من قواده على احراج الملك من يده وهما ارباسيس قائد عسكر مادي وبيليريس قائد جد نابل فاتحدا على العصيان وجازبا ملكهم محصره في يسوى فلما أيقن بالهلاك احرق قصصهما فيه من المال والناس وهو في حملتهم سنة ٧٦٠ ق م وهكذا انقضت مملكة اشور الاولى وقامت مملكة مادي وبارس وملكها ارباسيس وتولى الملوك من بعده وفيهم العادلون والمدرورون او الجاهلاء والظالمون ومن اشتهرهم كورش العظيم صاحب العروات المشهورة وافتتح نابل وما بين الهرين وارمينيا وسوريا واسيا الصغرى وجاماً من بلاد العرب وتولى بعده انه كسر فتح مصر على زمن الملك امارسيس من فرعون مصر ثم تولى داريوس ومن جاء بعده ولم يحصل السياسة فتقهرت المملكة واحللت احوالها . فلما طهر اسكندر الاكبر في القرن الرابع قبل الميلاد طمع بلاد فارس فتحها وقهرها واستولى عليها ولكن عمر اسكندر لم يطل فمات واقتسم قواده مملكته فكانت بلاد فارس من نصيب سؤقس ولم يطل حكمه فعرا

الفرتيون بقيادة ارسايس الاول وما رالت في حورنهم حسمية سنة
 فاع الفرس من رضوحهم للبير الاحي فتاروا سنة ٢٢٦ م بقيادة رجل مهم
 اسمه اردشير فطرد الفرتين وأسس دولة اشتهرت في التاريخ الفارسي هي الدولة
 الساسانية ومنهم كسرى اوشروان الملقب بالملك العادل وهو اعظمهم وصار لفظ
 كسرى لفظاً لكل من ملك بعدهم فعرفت دولتهم بالملوك الاكاسرة
 وكان مقام الاكاسرة في المدائن وهي مدينة عظيمة على صاف الفرات فيها قصر
 عظيم طار ذكره في الآفاق يسمى الابوان ويعرف بابوان كسرى

وحكم (اوشروان) ٤٨ سنة وحلقة امة هرمر وكانت امة ملك النتر
 واستاده الحكيم بررحمر وكان ورع فسارت الاحكام في ايام هذا الحكيم على مثال
 ما كانت في زمن اوشروان فلما توفي بررحمر اعلم هرمر في التبهات واهل
 شؤن المملكة معصاة الولاة وعراه ملك النتر فصنع فائدم فواده اسمه بهرام كان
 آية في الدهاء والدكاء فطرد النتر من البلاد ثم تحول الى محاربة الرومانيين فوشى
 به بعض المفترين من البلاط الملوكي فظهر له هرمر بعض الاحتمار فاستشاط
 بهرام عبطاً وحره بعضاين الملك وخلعه وولى بعد امة كسرى روبر وكان صبياً
 صغيراً تساعد على قبل ابيه بعض اقربائه فلما حلص الحكم له طمع بهرام بالملك فعز
 روبر من وحيه واستخار ملك الرومانيين في ذلك العهد واسمه الامراطور موريس
 فاجب ورد الملك اليه مرة بهرام الى بلاد النتر فاحسوا وقادته ولكن الحياة لحنته الى
 هالك مات مسموماً

واسند كسرى روبر بالحكم وقد عقد البية على صداقة الامراطور موريس لانه
 هو الذي رد الملك اليه فباع في اكرام الرومانيين في بلاده فلما مات صديقه المذكور
 عاد الى مسواه الروم فاعلمهم حرماً عواً فعرا بلاد الشام ودخل بيت المقدس
 فعتز هت عى اصبب اندي يال ان السيد المسيح صل على وكان في حنة
 بصدوق من الذهب محملة في اندي وكان روبر مع ذلك ملكاً حاملاً مترفاً معسماً
 دلاله الى ما يوق طور استبدى حتى قيل انه تروح ١٢ الف امرأة واقصى حمسين
 الف حود وهو اندي حاه كات صاحب الشريعة الاسلامية العراء يدعو فيه الى
 الاسلام

بغته واندها لآ حجاد لانه اصح لا بدري مادا يعمل ايسير الى هه يطلعا على سوع وليس
 في ذلك السر الا ما يوح كدرها لانه حائل بينها وبين الاقتران الى اجل غير معين
 وان يكس في اطلاعها على حقيقة نسب حماد امر يسرها ام يحاطب جلة بالامر لعله
 يشير عليه او يحن ام يام العراق فيدل المداعس ساعيا في الانتقام من كسرى فلما فكر
 في مسيره الى ههك نميت لعلها بما يحول بينه وبين ذلك المرمى من العقبات فان
 الاكاسه ذوو بطش وسعة فسار الى الدر وقصى ليلة ساهرا لعظم تأثره وهو يكر
 في طريقة تهون عليه المشاكل

الفصل الخامس والستون

دولة الفرس

ما رحلت الفرس من قديم الرمان تحت سلطة مملكة اشور حتى تولى هذه المملكة
 الملك سرجسول في القرن الثامن قبل الميلاد وساء حكمها واستعل عن سياسة
 مملكتها تعالسة الساء واللبو على اواعه فاعصته الرعية وودت التخلص منه فانفق
 كبريا من قواده على احراج الملك من يد وهما اراسيس قائد عسكر مادي
 وسيليزيس قائد جد مال فاتحدا على العصيان وچارما ملكهم محصرا في يسوى فلما
 ابقى بالهلاك احرق قصره بما فيه من المال والباس وهو في حملته سنة ٧٦٠ ق م
 وهكذا انقصت مملكة اشور الاولى وقامت مملكة مادي وپارس وملكها اراسيس
 وتوالى الملوك من بعده وفيهم العادلون والمدرورون او الجهلاء والظالمون ومن
 اشتهرهم كورش العظيم صاحب العروات المشهورة فافتتح مال وما بين الهرين
 وارمبيا وسوريا واسيا الصغرى وحادا من بلاد العرب وتولى بعده انه كبير فتح مصر
 على رمن الملك اما سيس من مراغة مصر ثم تولى داربوس ومن بعده ولم يحصلوا
 السياسة فتفهرت المملكة واحلت احوالها فلما طهر اسكندر الاكبر في القرن الرابع
 قبل الميلاد طمع بلاد فارس فتحها وقهرها واستولى عليها ولكن عمر اسكندر لم يطل
 فمات واقتسم قواده مملكة فكانت بلاد فارس من نصيب سلوتس ولم يطل حكمه فعرا

الفرثيون بقيادة ارسانيس الاول وما زالت في حوزتهم خمسمائة سنة
فأبى الفرس من رصوخهم للدير الا حبي فثاروا سنة ٢٢٦ م بقيادة رجل مهم
اسمه اردشير فطرد الفرس وأسس دولة اشتهرت في التاريخ الفارسي هي الدولة
الساسانية ومهم كسرى اوشروان الملقب بالملك العادل وهو اعظمهم وصار لفظ
كسرى لقباً لكل من ملك بعدهم فعرفت دولتهم بالملوك الاكاسرة
وكان مقام الاكاسرة في المدائن وهي مدينة عظيمة على صافى الفرات فيها قصر
عظيم طار ذكره في الآفاق سمي الابوان ويعرف بابوان كسرى

وحكم (اوشروان) ٤٨ سنة وخلفه ابنه هرمز وكانت امه امه ملك التتر
واستاده الحكيم ررحهر وكان ورع فسارت الاحكام في ايام هذا الحكيم على مثال
ما كانت في زمن اوشروان فلما توفي ررحهر انعم هرمز في الشهوات واهمل
شؤون المملكة فعصاه الولاة وعراه ملك التتر فصره قائم قواده اسمه بهرام كان
آية في الدهاء والدكاء فطرد التتر من البلاد ثم تحول الى محاربة الرومانيين فوشى
به بعض المترين من البلاط الملوكي فاطهره هرمز بعض الاحتقار فاستشاط
بهرام عيظاً وجاهر بعضيان الملك وخلفه وولى بعد ابنه كسرى روبر وكان صديقاً
صغيراً يساعد على قتل ابوه بعض اقربائه فلما خلاص الحكم له طبع بهرام بالملك ففر
روبر من وجهه واستجار بملك الرومانيين في ذلك العهد واسمه الامبراطور موريس
فانجس ورد الملك اليه ففر بهرام الى بلاد التتر فاحسوا وفادته ولكن الحياة لحقت به الى
هناك مات مسموماً

واستند كسرى روبر بالحكم وقد عقد البية على صداقة الامبراطور موريس لانه
هو الذي رد الملك اليه فنانع في اكرام الرومانيين في بلاده فلما مات صديقه المذكور
عاد الى مساواة الروم فانار عليهم حرماً عواناً فعرا بلاد الشام ودخل بيت المقدس
فعثر هناك على الصليب الذي يقال ان السيد المسيح صلب عليه وكان في حرق
بصدوق من الذهب محبته الى الله وكان روبر مع ذلك ملكاً خاملاً مترقاً معسماً
بالملاهي الى ما يفوق طور التصديق حتى قيل انه تروح ١٢ الف امرأة واقسى خمسين
الف حواد وهو الذي حابه كتاب صاحب الشريعة الاسلامية العراء يدعو فيه الى
الاسلام

كالكتاب الذي جاء الامبراطور هرقل في بيت المقدس فاحتقر روبرت ذلك الكتاب واساء حامله

ثم مالت برويزان علم بعزم الامبراطور هرقل على اكتساح بلاده ولم يقوَ على دفعه فما زال هرقل هاجماً واهل القرى يهرون من امامه حتى وصل المدائن ورويز لاو بنفسه وسائره ولما احتسّ قرب الخطر فرّ فتمّ عليه اسره شبرويه فقتله وحكم مكانه سنة ٦٢٩ م ولكنّه لم يحكم طويلاً فمُتّه سواه وسواه وفي سنة ٦٣٠ م تولى تحت مملكة الفرس فتاة من آل ساسان اسمها بوران دخت اسره كسري روبرت وفي ايامها هجم هرقل على المدائن واسترجع الصليب منها وحمله الى القسطنطينية وحكمت بعدها اختها آرميدخت سنة ٦٣٢ م (٥١٠) واشتهرت بالجمال والعقل وماتت مسمومة ولها قصة بطول شرحها وملك بعدها ملكان لم يطل حكمها واخيراً افصى الملك الى بردجرد بن شهریار بن كسري وفي ايامه فتح العرب بلاد فارس

الفصل السادس والستون

❖ المدائن ❖

في عاصمة اكاسرة الفرس ويسمونها اليونان كتيبيون ويسمونها الطري طيسون والغالب ان كتيبيون قسم من المدائن وكانت على مسافة عشرين ميلاً من بغداد حوفاً على الضفة الشرقية لدجلة يقابلها في الغرب بلدة اسمها كوش^(١) يعتبرها بعضهم من ضواحي كتيبيون بينهما جسر عظيم ممتد من السفن وكان يحوار ذلك المكان ابصاراً آثار مدينة بونابية اسمها سلوقية نسبة الى «لوقوس حليقة الاسكندر هناك وقد سميت هكذا اما كن يسمونها المدائن»^(٢) (جمع مدينة) واصل ساء المدائن انه كان في مكانها حصن كبير يسمى حصن كتيبي فون كان الارطيون (الفرسيون) ان سلطانهم على العراق يتجهون يقاتلون المدائن لانهما الحصن وكان يحوار الحصن

مدينة سلوقية الشهيرة ثم اخذوا يننون حول الحصن المارل والحدائق فلم يأت تاريخ الميلاد المسيحي حتى ببيت هناك مدينة سميت باسم الحصن ^(١) كما جرت العادة في مثل هذه الحال وطلت المدائن مقام الأكاسرة في زمن الشتاء . وكانت محاطة بسور مبيع عليه الأبراج والقلاع يزيد مساحة مياه دجلة من جهة والآجام والمنقعات من الجهات الأخرى فاصبحت المدائن جارية في وسط المياه يستحيل وصول الأعداء إليها قبل أن تمرقهم بحال الدرس من الأسوار وقد كان بين دجلة والفرات جنوبي المدائن قناة موصلة بينهما اسمها نهر ملكا ومعناها بالكلدانية نهر الملك تسهل نقل السفن بين المهرين ^(٢)

وكان على ساحل المدائن عند دجلة سلم ممتد بطول الضفة يصعد عليه الناس من الهر الى المدينة بدرجات متتالية مبنية من الحجر ويسمى هذا السلم باصطلاح اهل تلك البلاد « مساة »

وترسو عند المساة سفن الفرس ثبات والوقا حتى تحال سواربها غابة من الأعنة تاطح السحاب والناس فيها جماعات يتراحمون بين صاعد وبارل وشكل السفن يشبه شكلها في العراق الآن فانها منتورة المؤخر كأنها قطعت بسكين قطعاً عامودياً فصارت عربضة ملساء وأما مقدمها فانه يصعد مستندقار ويدأرو يدأ حتى اذا انتهى الى اعلاه احبى على نفسه نحو السفينة على شكل المحل فتحال تلك السفن اذا تحاذت متلاصقة عند المساة وقد اديرت مفادها نحو المدينة انها سيوف عقماء يحملها حشد من الحرس بمحمون المدائن

ولو اطلعت على المدائن من مرتفع في ذلك العهد لحيل لك انها غوطة فيها النسايب والمعارس بينها القصور والمارل مبنية من الآحور وقد قام في وسطها الابوان كأنه ملك تخليم الشان نفع به الخدم والإعوان



الفصل السابع والستون

❖ ايوان كسرى ❖

هو قصر باذخ بسمونه ايضاً الطاق جرى اسمه على السمة العرب واقلامهم محرى الامثال بالعظمة والرخامة حتى عدوه من الماني العجيبة ساه ساور ذو الاكتاف وهو ساور بن هرمز^(١) في القرن الرابع للميلاد^(٢) لكنه يعرف باسم ايوان كسرى انوشروان . قضى ساور في سائويكاً وعشرين سنة^(٣) اقامه في وسط المدائن على مقربة من دجلة بحيث لا يحول بين الايوان والنهر الا الحدائق والسائين تشهي عند الصمة بالمساء المتقدم ذكرها ويحيط بالايوان جملة حدائق واسعة فيها الاغراس والازهار والرياحين والشجر من الاردخت والليمون وغيرها . ويحيط بالحديقة سور مبني من الآجر له ابواب عليها الحرس نفلاسم وانراسهم ورماحهم وفوق الابواب رسوم فارسية منقوشة طبعاً على الطين وهو في كمال كان يعمل الاشوريون في آثارهم^(٤) . وعلى جانبي الباب الاكبر المطل على المدينة تماثلان كبيران يمثلان الثور الاشوري المجمع رأس انسان طويل اللحية متوج الرأس^(٥) وفي زاوية من زوايا الحديقة ساه الاقبال وفي بعض القيلة المراة اركوب الاكاسه . وبين ابواب الحديقة والايوان طرقات مرصفة بالحصى المائاً على شكل السبعساء يتألف من ترتيبها بعضها بارامعص رسوم تمثل اسوداً واديبين وعرساناً ومركبات عليها الملوك والقواد يجدون في صيد الاسود نقشه رسوم ملوك اشور اسلاف العرس ما بين الهرس واكثر تلك الطرقات واوسعها طريق ممتد من الباب الكبير الى باب الايوان بصطف الى جاسيه الحرس عند دخول كسرى الى الايوان

واما ساه الايوان فعدارة عى نائمة كمنه طولها مئة دراع وعرضها خمسون^(٦) منية بالآحر والخص سقفها عقد واحد قائمة على عمد من الرحام المنقوش ونصعد الى ارض الايوان بدرجات عمد ناي وفي صدره عرش مرصع بالذهب والفضة الكريمة

(١) الاشيعي بالمستطرف (٢) ابو الفداء (٣) الاشيعي (٤) رولس

(٥) اسيكويديا الكسندر (٦) الاشيعي

يجلس عليه كسرى تعلوه قبة مرصعة وفي داخلها مروحة من ريش النعام والى جاني العرش
مجالس اعوانه ومرارته وجدران الابواب وسقفه مزينة برسوم مديعة في جملتها صورة
كسرى ابوشروان وغيره من الاكاسرة العظام وايات من شعر مكتوب بالحرف
الكلداني الذي كان يكتب به الفرس قبل الاسلام وفي سقف الطاق رسوم الافلاك
والارواح والنجوم من ذهب منزلة في قبة زرقاء.

وكان للابواب شرفات مزخرفة بالقوش تشرف على الجهات الاربع قائمة على
اعمدة يتألف من صمغها رواق يحيط بالطاق من جهاته الاربع طول الشرفة الواحدة
خمس عشرة ذراعاً وقد ادخل في سائر الابواب من الذهب ما ربما زادت قيمته
على مليون دينار^(١)

وباب الطاق كبير نقش على عتبه العليا رسم الشمس مذهبة والى كل من
جاني الباب تمثال اسد كانه يمشي وحياء تتلأل والاسدان مصنوعان من الرخام
معملان بالذهب وفي موضع العينين منها زمردات زرقاء مديعة الشكل . واما عتبه
السفلى فمصنوعة من الرخام المرمر . ولا يحلوا باب الابواب من عشرات من الحرس ولا
يجلو مجلس الاكاسرة من ثبات من العلماء^(٢) بين كاهن وساحر ومنهم ويسمى
الطبري الحزاة . وصلاً عن الحجاب والحراس والعاين

هذه كانت حال الابواب عند ظهور الاسلام في القرن السابع للميلاد

الفصل الثامن والستون

❖ أس أم جان ❖

تلدع كسرى وابوانه ولعد الى حماد وهو احبهم فقد تركاه في دبر محبراء عارقاً
في لمح الافكار شتدفة العوامل بين المسير الى العراق او اللقاء في اللقاء وكلا
الامرس شاق وكلما تصور مسيره الى مدائن كسرى هالة موقفة موقف الخصم امام ملك
الفرس وعظم عليه الاسقام منه وهو فرد يدرك سلطان يصنع الحد والاعوان ولم يكن

ذلك ليهولة أو يكره عليه لولا امر همد وتأجيل الاقتران ولقد كان ميالاً كل الميل لاطلاع همد على ما كشف له من نسو مع ما جد من امر التأجيل لبرى ما يدنو منها ومن والدها ولكنه ترص ربتما يتخذ الى ذلك سبيلاً لا تئقاً . فلما تلبدت عليه المشاغل وضاق صدره خرج من غرفته ولم يعلم عبد الله ولا سلمان بخروجه وسار يلتمس مسرداً يخافوه بنسوه لعله يتوقف الى رأي يخفف قلته . وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل فلاحت له آكمة على نضعة اميال منه فركب وسار نحوها وفيما هو في الطريق عاب وحدانه بما احتذب انتباهه من الشواغل فسار الجهاد حثيثاً وحماد لا يعلم فلم ينتبه الا وهو في سفح جبل فالتفت الى الوراء فاذا بصري والدبر قد غابا عن بصره ونظر الى الشمس فراها مائلة نحو المعيب فوقف يفكر في ماذا يفعل أبعود الى بصري حالاً ام يجلس هناك هيبه فطر الى ما حوله فاذا هو في واد بين جبلين اجردين كسائر جبال حوران^(١) فترحل وفاد حواده صعداً يلتمس قمة احد الجبلين لعله يشرف منها على بصري فيعرف جهتها منه ومنى عاد اليها آمن الصباغ وفيما هو صاعد حانت منه العناية الى الجبل المقابل فرأى كهماً نخفته بد الطبيعة في سفح ذلك الجبل ولاح له شجج يتلصص بين الصخور هيئته بين الاديمة والوحشية لطول شعره وعريه موقف حماد يطر الى ما يبدو منه فما لبث ان رآه يهرول نحو الكهف حتى دخلة وتبارى

فمال حماد الى استطلاع حقيقة ذلك الشجج وتحول نحو الكهف بقود الفرس وهو لا يسمع في ذلك المكان صوتاً غير صوت وقع اقدامه وقرقعة حوافر حواده تدوي في انحاء ذلك الوادي ويخلل الدوي طقططة حمارة تندرج من مواقع حوافر الفرس متنزحة بصوت صهيله . فمرل الوادي ثم هم بالصعود حتى اذا صار على مقربة من الكهف رأى صحراً يتدرج نارلاً نحوهم فقول من طريقه وعلم انه اما دحرج من الكهف عليه فلم يبال ولكنه ارداد ميلاً الى معرفة ذلك الشجج فما زال صاعداً حتى دنا من الكهف فاذا بصحر آخر يتدرج فنادى باعلى صوته « لا ترسما انحرارة فليسما راحعين من هذا المكان قبل الوصول اليه » فردد الوادي صدى كلامه اضعافاً فتهيب من موقفه وراده تهباً قرب غروب الشمس واحتلاط الاطلال حتى كادت تخول الى طلام مشعر

اذ ذاك انه أساء عملاً عجئوا الى ذلك المكان الموعر مع ما آتته من الوحشة والمقاومة
ولكنه تجلد وتعهّد سلاحه فاذا هو مفكّد الحسام والخنجر ثم ما لبث ان وصل الى باب
الكهف فظهرت له مغارة لا يرى آخرها لعمقها ولا يستطيع الدخول اليها والعرس
معه موقوف وصدق بصرة الى الداخل لعله يرى احداً فلم يقع نظره على شيء حيّ فصاح
قائلاً « من يقم في هذا الكهف فليخرج اليها لاسا غير مثقلين عنه قبل ان يراه ولا
خوف عليه » قال ذلك وهو يكاد يرتعش رهبة لسكون الطبيعة سكوتاً لا يخلّله تغريد
طائر ولا نغمة ضفدع ولا خرير ماء ولا هبوب هواء ولا صوت آخر حيّ او حامد
غير صهيل النرس ووقع حوافره . فهمّ حماد بشد الحواد الى صخر والدخول الى المغارة
سموه وفيما هو يهيم بذلك ظهر له شيخ حارج من ظلمة ذلك الكهف لا يسمع لاقدامه
وقع فثبت حماد قدمه وتحجّر للدفاع اذا افتتحت الحال . فلم يكذب يفعل حتى وصل
ذلك الشبح اليه فاذا هو رجل عار يكسوه شعر رأسه المسترسل الى قدميه وقد تمكن
به الشيب فابيض على ان الكبر لم يغير شيئاً من اعتدال قامته ورشاقته حركته وجمّة
بصره وان يكن حلد وجهه قد نعدّ وشعر حاحيه وشاربيه قد طال وشعر صدره
اصبح لعصاً وبياض كانه رند الصاوي وطالت اطراف يديه ورجليه حتى التفت
على نفسها

فلم يكذب يقع نظر حماد عليه حتى هاب مظهره ولو لم ير في يده صليباً كبيراً لحبل
له انه من مرّة الحان ولكنّه ادرك لاول وهلة ان الرجل ناسك من نساك تلك
الايام انقطع عن العالم واوى الى الكهوف التماساً للعبادة وكان قد سمع بكرامة
هؤلاء وصدق نظرهم في عوالم الامور فلاح له ان يحاطه في ما هو فيه ويستشير
في امره لعله يحفّ شيئاً من قلقه فتقدم نحوه باحترام وهمّ بتقبيل الصليب في يده
فادناه من فوقه ثم خطب الناسك قائلاً « الملك ناسك مقيم في هذا المكان »
واحاطه الناسك بحبي الرأي ان « نعم » فقال هل تأذن لي بمحادثة اشك فيها بعض
ما في صميمي على سبيل الاعتراف فتشبر عليّ بما يوحى به اليك الروح القدس
فاحاب الناسك بالاشارة انه لا يستطيع التكلم الآن لان من شروط نسكه ان
تصمت اسوءاً ويطلق اسوعاً وان آحراسوع الصمت يعني الليلة فادحاه في
الفد خاطرة . وكان الناسك شائماً في تلك الايام والناسك انواع منهم من يندر الصمت

طول الحياة او بعضها ومنهم من ينذر العري او الجوع او السهر اياماً ومنهم من ينذر المعيشة على عشب الارض وهؤلاء فئة كثيرة كانت بين النهرين سُموا « المساك الرعاة » فيقيمون في المعر والكهوف المظلمة ^(١)

وكان ناسك حوران هذا ممن نذر الصمت اسبوعاً مسراً حماداً بتاجيل المفايلة خوفاً من البقاء هناك تلك الليلة ثم لا يعرف طريقة في عودته لشدة الظلام . فقال له آتني اليك معي طعام او نحوه من مصرى فاجاب (لا) لانه من النساك الرعاة الذين يعيشون على عشب الارض

فقال له ولكنني أرى الارض هنا مجدبة لا عشب فيها
فاشار للناسك بيده الى مكان وراء ذلك الجبل فيه مرعى
فسأله عن سبب رميه بالمحجارة وهو صاعد . فاجابه لعلو انه لا يستطيع محاطته
فل انقضاء اسبوع الصمت

فقال حماد واين الطريق الى دبر مجبراء فدلته على طريق سهل غير الذي جاء منه مودعه وقبل الصليب وعاد وجواده وراءه حتى وصل الى الطريق فركب وسار فاصداً الدبر ورأى عبد الله وسلمان يتطراوا في الغرقة وقد قلقل لغياؤه على غير موعده
فقال له عبد الله لقد شغلنا بالناسك عينا بك على غير انتظار

فلم يبدأ حماد اطلاقهم على ما اتفق له في ذلك اليوم رغبة منه في كما هو ريتا
بسمع كلام الناسك فيطلعهم على الحكاية كلها

فقال لهم حرحت على فرسي وسرت سقاع لم اكن اعرفها فاحطأت الطريق في رجوعي فطال بي المسير

فقال عبد الله وما الذي حملك على الركوب معرداً . فذكر عليه الاقرار بقلته
وتهميه من الامر فقال خرجت لترويح النفس

فادرك عبد الله حاله تماماً ولم يشأ ان يتطع عريته ولا ان يريد قلته خوفاً عليه
من اليأس فقال له ارى سيدي في اهتمام وقلق وما في الامر ما يدعو الى ذلك ولا
يخن في سرعة او صبر

فطل حماد صامتاً مكرراً فادرك سلمان ان في نفس حماد كلاماً رمزاً لا يرا

التصريح به على مسمع منه فنظاها بامر يهبة خارجاً وترك الغرفة فلما خلا عبد الله وحماد قال عبد الله ما بال سيدي لا يسبح بسره السم شريكك في أمرك
قال بلي بل انت بمنزلة والدي ولا اخفي عنك شيئاً فاني في قلق وارتيابك واراني في حاجة الى من يرجح كربتي برأي او مشورة ومساءلتنا في ما تعلم من الدقة والحظر
فقال عبد الله هلم بنا الى الراهب النج الذي شاركناه في سرنا لعله يشير علينا
بما يرجح كرتنا

قال هلم بنا اليه

وخرجوا حتي انيا غرفت فدخلوا عليه وكان متكئاً مجلس ورحب بهما فجلسا
ثم قال عبد الله انك يا مولاي شريكنا في سرنا وعالم بما في صهبرنا فهل تشهر علينا
بما يخنف عنا

فقال الراهب ان المسألة في غاية الدقة والمشفقة وقد ادركت عظمها منذ سمعتها
ولا ادري بماذا اشير . قال ذلك وسكت رهمة يفكر ثم هب من مجلسه بغتة وقال
أرى ان تذهبا الى ناسك حوران فانه يفهم في كهف على مقربة من هذا المكان
معناه ان يشير عليكما مشورة خبير

ففت حماد عند سماعه اسم الناسك وقال هل نظمة قادراً على ذلك

قال نعم ياسيدي انه من اوتي علماً وكرامة فلا تجلو مشورته من فائدة

فقال عبد الله لنجد وهل عرفته قبل الآن

فقال اعترف لك اني وصلت اليه اليوم بطريق الاتفاق وخاطبته فاجابني
باشارة يديه انه لا يستطيع الكلام الا في صباح الغد لانه ممن نذروا السكوت اسبوعاً
والكلام اسبوعاً

فقال عبد الله فلنذهب اليه عدّا ان شاء الله فهل ترافقنا يا حصرة الاب المحترم
الى مغارته

فقال الراهب يا حماد لو استطعت المسير اليه معكما ولكم شي لا اقوله على
المشي ولا الركوب والطريق وعزّ صهبر اليه بمجاسة الله ودعوتي اقيم هذا اصلي
وانصرع اليه تعالى ان يسهل سبيلكما
فودعاه وخرج

الفصل التاسع والستون

ناسك حوران

يا صبح حماد وعبد الله في القدر فقال حماد الا تصطحب سلمان في سبورتنا الى الناسك
قال عبد الله لا اري ما يبع ذلك وسلمان كما تعلم اكثر غيرة علينا من غيرة
احدنا على الآخر ولا اخالنا نستغي عنه في ما نحن فيه ولا يلبق بها وقد صحبناه اعواماً
خدمنا بها خدمات حمة ان نخفي عنه امرنا فخر به

قال حماد ذلك ما اراه . ونعنا ابو فصيحها وخرجوا في الصباح على افراسهم
وحامد دليلهم حتى اقتربوا من الجبل واطأوا على الكهف فقال حماد هذا هو الكهف
وكأنني اري الناسك في انظارنا عند بابو

فطر عبد الله حتى اذا وقع نظره على الناسك هميب من منظره عن بعد وصعدوا
فلما دخلوا من الكهف تحفز الناسك لملاقاتهم وكانوا قد ترجلوا وشطوا نحو فتال اهلاً
بكم ومرحاً واخذ يتوسل فيهم واحداً واحداً يعين مراقبتهم تحت حاجبين بارزين
مرور الطيف حتى يحال لك ان العيين في حفرتين عميقين

فقال حماد مرحباً بك ايها المتعبد الذي لند جنك عملاً بوعدك وهذا والذي
(وأشار الى عبد الله) وهذا صديقي (وأشار الى سلمان)

ونفذوا جميعاً وعد الله بطرائق وجه الناسك كأنه يعرف وجهها مثله
وكان الناسك مستملاً في اعداد احجار يجلسون عليها وهو يخطر امامهم عارياً وشعره
مسترحل طوي يمل بمصه فقلب داهم الحياء فلم يستطيعوا النظر اليه الا خلسة
فلما احدث الحيرة تساموا اليه واولوا به فماركهم وجلسوا . اما هو فجثا على التراب
جثو المسترحج وجمع شعر راسه وحيته في صدره الى حنجره واخذ يرحب بهم ويعتذر
لعدم اكايه التيام بيني ضياعهم

فقال عبد الله لعد جيتك للنمس مركة لا ترجأاً فقد بلغنا ألك من رجال الله

الخيارين فظن منك تعيننا عن اثاث النصور . قال ذلك وهو يتم الطريق الى الله
يذكر الوجه الذي يشهه

قال الساسك اتى أحقر عباد الله فاشكر لحسن ظنكم بي وما تكذبتموه من
المغنة في زيارتي فابسطوا ما في انفسكم لعلى استطيع بمديونة الله ان اخذكم خدمة
له من تعالى

فقال عبد الله اننا من الطائفة النصارية الذين يعنفون بكرامة الساسك عباد
الله ونعتقد انهم ينطقون بوحى مبه تعالى وقد جئنا لطلعتك على سر لم يطلع عليه
احد سوا ما وراهب منير في دير بجبراء . والمرث ذو خطر يستلزم اصغارا وكنائنا ونحن
معاشر النصارى نعلم خطارة سر الاعتراف وما فيه ما يدعوا الى الثقة الثامة باسماكم
فقال الساسك قل يا ولدي ولا تخف

فالتفت عبد الله يمينا وشمالا كأنه يحاذر ان يسمعه احد وقال بظهر لي انك
من اهل العراق

قال الساسك لقد اصبحت المرمرى نعم ابي من اولئك . وما الذي دلك على ذلك
قال دلي عليه ملاع وجوهك وبوع تعبدك فقد قيل لي انك من الساسك الرعاة
وهم كثيرون في العراق^(١)

قال نعم يا ولدي ابي كما قلت

قال فوالحال هه قل لي هل تعرف الملك النعمان بن المنذر

فلم يكده عبد الله يطق باسم النعمان حتى ظهرت البغنة على وجه الساسك وارفت
عيماه واقطب حاجاه واجاب وهو يشرب نعتق ويحديق بعينه « نعم اعرفه »
فحجب عبد الله الملك المظاهر ولكنه تجاهل وقال هل تعرفه معرفة جيدة ام تسمع
باسمه واحاره فقط

فقال الساسك (وبنك في الحجة يشطها ما صابو) لا بل اعرفه كما تعرف ولدك هذا
قال ذلك بصوت محقق حتى حبل لم انه يكي

فقال عبد الله اراك يا سيدي قد اهتمت لحكايتنا من اول كلمة قلناها
فتمهد الساسك ويد الى عبيد يمع بها دموعه وقال ان ذكرى الملك النعمان

خرج الشامي وثقت كدي فهل بهمك من امن ما هي ام جاء ذكرى على لسانك عرضاً
قال بن ميمون حكايته ورجع سرنا رحمه الله
وكان حماد وسلاف شاخصين بعيان ما يبدو من الناسك وعبد الله يرداد
استئناساً بطلعتي ولكنت لم يدرك ما الذي يدعوه الى ذلك
فقال الناسك قل ما تولة عن النعمان في ارتاج الى ذكره ولكني أنا سف لتذكرني
عاقبة امن

فقال عبد الله اذا كان النعمان بهك الى هذا الحد فانظر الى هذا الشاب وقل
لنا هل تعرفه (وأشار الى حماد)

فمسح الناسك عينه ونظر الى حماد وجعل يتفكر فيه ولم يكذب بئامه حتى صاح
بأعلى صوته « أنة ابن النعمان لا شك فيه » وهم به وصدمة واخذ بقله
فخفت قلوبهم وبكلى جميعاً والناسك ضام حماد الى صدره بقله ويكي
فازداد عبد الله استغراباً للامر وقال للناسك لقد اذهلنا ما بدا منك فكيف
نقول انه ابن النعمان وقد كان النعمان ارش احمر^(١) وهذا امر ادعج
قال لا عربة في ذلك وان ملاح النعمان قد تمثلت فيه وهو الرجل الذي رغبت
عن العالم وانقطعت الى هذه الجبال من احله

فبهتوا لهذا القول ولم ينهضوا مغزاه فاراد عبد الله ان يستطلع حقيقة الخبر فقال
وهل تعرف الذي يكلمك

فطر الى عبد الله نظر المسأمل وقال العلك صدق الملك النعمان وشريكه في
مصاه « شعون المحبري » . وكان هذا اسم عبد الله المعروف به اذ ذاك
فانذله جميعاً وخصوصاً عبد الله فانه اعاد نظره الى الناسك واراد استئناساً
به ولكنت لم تذكر كيف عرفه فقال اما وقد علمنا لك شريكنا في الامر فاحترنا من
است ورجع كرتنا

فصعد الناسك الزمرات وقال اما انا فاني النفس الذي ارتد النعمان الى الصرامة
على يدك^(٢) بعد ان كان اسلافه قد سدوها وعادوا الى الوثنية او المجوسية
ديانة الفرس

فأشبه عبد الله من غفلتو كأنه أفاق من رقاد وقال العلك النيس يعقوب
قال نعم وقد كنت منبأ في دير هند الكرى المنسوت الى هند بنت الحارث بن
عمر بن حجر آكل المرار وهو في ظاهر الحيرة وكانت هند قد كان تعلمون قد ترويت
فيو فسي باسمها (١) ولكنني كنت اختلف الى العمان كثيراً ويطلعني على أسرارها حتى
كان ما كان من امر سجنو في خاتنين فدرجت الحيرة وسرت الى هناك وجعلت اتردد
اليه في السجن . ألا تذكر انك كنت تراني هناك
قال اذكر ذلك جيداً وما زلت منذ رأيك الآن وأنا في افكر فيو . ثم هم عبد الله
هو ونعافا وما يكيان اما الناسك فتقول بموحاماد وضمة وحمل بقله وبكي وهو
يقول احمد الله اني رأيك قل موتي
وليثوا رهة صامتين وكل بكي ويمسح دموعه بكو ألا الناسك فقد كان يسحبه
بطن كفو

ثم قال عبد الله اقصص علينا بقية الخبر يا حصص النفس المحترم
قال كنت اتردد اليه في السجن اصلي له واباركه وادعوه له وكان كلما اجتمعت
هو يقول والاهمام ظاهر على وجهه « لذي سرّاً طلعك عليه في مرصة أخرى »
وافتمت لمعرفة ذلك السرو كنت اتوقع ساعه في كل رباره وهو يسوفه وكنت
كلما سرت اليه رأيته وعجبت انهاء منك وغيرتك عليه . فمأله عك يوماً فقال
ملك مستودع اسرارها وانه يبق فيك وتوقاً تاماً . وما زلت اختلف اليه حتى اصيب
مرض ظره الطاعون ولا اطه اياه . فزرت ولم تكن انت ساعتئذ هناك فقال لي
اراني ان افقه من مرضي هذا وامل القضاء سبعا حالي واخاف ان لا املك قرصة
اخاطبك بها . فقلت قل يا سيدي ولعل الله تساميك نادو وسركه اسو . ثم بكى
وبكى (قال الناسك ذلك وخفته العبرات والحبيص سكوت بصعون الى خبث
بتطاولون باعاقهم ومعدون ما صارهم في شفته وما ترنمنا من شدة التأثير)
فمكت الناسك رفته رننا استرجع قواه . ثم قال ماسكي العمان رحمه الله بيدي
واداني منه واسرّ الي امرأ حليراً قال انه اسره اليك ولا ادري هل يجوز لي
الملظ هو وهو سرّ الاعتراف

فقال عبد الله لقد فلت التي عارف به فلم يعد من قيل سر الاعتراف وقد
اطلعت ابنة ورفيقنا هذا عليه

فقال الناسك اما والحال على ما تقول فاخبركم انني اداني منه وهو جالس على
فراشه في ذلك السحن وقال « اني سأقضي نهي هذا ظلمة من قوم لا يعرفون الله ولا
يشعرون على انسان وسأترك اهلي واولادي بدون ان اراهم واودعهم في عالم ان
سلطان الحيرة سيخرج من بني لحم بعد موتي فاسررت الى شعون ان يربي ولدائي لم
يولد بعد وان يكتم نسبة عنه حتى يبلغ العشرين من عمره فيقص شعبه في دبر بحيرا ثم
يطالعه على حقيقته نسو قال واعترف لك اني حرضته على ان ينتقم لي من دولة
الفرس » قال الناسك فلما سمعت كلامه افشعرت يدي واستعذت بالله من ذلك
كله وقلت « يا سيدي الملك اراك تستعمل الاحل وليس ما يدعو الى قربه
واما الانتقام فاتركه الى الله سبحانه وتعالى وهو الديان العظيم » فاحابني والدعوى
تحفة « لقد قصي الامر يا آتاه وعهدت بذلك ولا ارى الرجوع عنه والله ينصني بما
يشاء » قال الزمان ذلك واحتلج صوته وارعدت فرائضه ثم عاب صوابه وميائنه في
ذلك جاء السجان يشدد الكبير على من يدخل الى السجان فخرحت ولم اعد اراه ثم ما
لبثت ان سمعت ما نقلوا الى دار القماء (قال الناسك ذلك وتهد) وعلمت واحسراه
عليه انه لم يمت بخافين بل نقلوه الى سابطات فيها ^(١)

فلما سمعت ذلك كرهت الدنيا وتحفت فناءها وردت رهدا فيها فانحأت الى
الناسك واحترت منه اكثر رهدا وهو هذا الذي اراهيو اعيش على سات الارض
وامكث عاريا كما ترون وكنت متبيا في العراق مع رفاق كثيرين من الرهبان وذكر
الزمان لم يبرح من ذهني يوما واحدا وصورته نصب عيني وهو على ذلك الفراش في
خائوس وما رأت اردد كلماته الاخيرة فاحمت الاطلاع على ما تعلمت انت من هذا
الفيل فلم اعرف مقامك ولما مضت نضع عشرة سنة من وفاتي ولم اترك ولا عرفت
مفرك قلت اعلمك نعم في الدقاء بالقرب من دبر بحيرا لأحل (ان الشرع لا يول
المعاد) فميت واقف في هذا الكهف وفي نفسي تهيؤ اريد ان اطلبك عليه فلم اسمع
عكم خبرا ولا اما استطيع البحث لاقطاعي عن الناس مصلا عن اني لم اكره اعرف

اسك الجديد فكنت اتوقع ان اسمع خبراً عن شمعون المجري فلم اسمع هذا الاسم قط

الفصل السابعون

✽ انذر القاتل بالقتل ✽

قال عبد الله وما الذي في نفسك وتريد ان تطلعي علي . قلة
قال هو خبر يتعلق بوصية النعمان لك ولا شيء نالحك لي ما تم معك من قبيل
النذر هل وفيته واطلعت هذا الملك على حقيقة نسو

قال عبد الله نعم يا مولاي لقد وفيما النذر بعد ميعاده . واحكي له القصة من
اولها الى آخرها حتى اتى علي . سب شئهم اليه فقال وقد جئنا اليك لنعظم ما قام
في نفس مولانا الملك من الاهتمام في امر الانقام فقلنا اطلع باسمك حوران على هذا
السر لعله يشهر علينا مشورة تحف ما سا . او تهدينا سبيلاً مستقيماً

فقال الناسك لقد وقعتم على خبر وان في بقية قصتي ما يفرج عنكم كل كرب
ار شاء الله

فاستدثر عبد الله وحماة وعلمان باسراج الارمة وسروا لندوهم على هذا الناسك
فقال عبد الله احبنا بقية قصتك بورك فيك

كنت لمرط اهتمامي في امر الملك النعمان وامر وصيته وما تتضمنه من الحث
لا ارح افكر في هذا الامر بهاراً واحلم به ليلاً حتى استيقظت ذات صباح
ول . بن امر كسرى سروبز قاتل النعمان وان اسه شهبوبه تأمر علي
وسمي هذه عاقبة القوم الضالين . ثم ما لبثت ان سمعت بانه قتل (١)

فاحسرتني وتعالى وشعرت براحة فمت ليلة ذلك المحروا هادس في
عاقبة الع . وانذر القاتل بالقتل . فرأيت في منامي كأن الملك
البحر قادم اصبح اليه اص ووجهه مبر باسم فحدثت ارويتي على هذه الصورة

ثم سمعته يقول « لا تعجب يا يعقوب لقتل برويز الجوسي فقد أعد له الله ما هو
اعظم من ذلك ليعتبر القوم الظالمون »
فقلت وقد بهرتني نور وجهه فاطرقت « وماذا عسى ان يكون اعظم من الموت
فتلاً بسيف البين »

فقال لي « سوف ترى وكل آت قريب » فرفعت نظري لاراه فغاب عن
بصري واستيقظت من ساعي مذعوراً ولم تنص بضع سنوات حتى وقع في سلالة
برويز ما لم نسمع بمثله في غابر الارمان . اتدرون ما هو
قال عبد الله وماذا تعني

قال كان لبرويز هذا ثمانية عشر ولداً كلهم ذوو ادب وشجاعة ومروءة منهم
شهبويه الذي تولى الملك بعده فوثى رجل اسمه فيرور لشهبويه على اخوته السبعة عشر
فامر بقتلهم جميعاً ^(١) فقتلوا صبراً في ساحة الابيان وهو يظفر اليهم ولكن شهبويه
لم يهدأ له بال بعد عملوه هذا فان اخته بوران وآزر ميدخت وبجناه تويحاً شديداً
فبكى بكاءً مراورمى بالنجاج عن رأسه ^(٢) ولم يزل بنية ايامه مهوياً دنفاً ولا في
المصائب الكبرى وفي جعلها طاعون فشا في بلاده ما ناد من قدر عليه من اهل
بينه ^(٣) واخيراً مات هو كئيباً حربياً . فهل اشد وطأة من هذا الانتقام . وزارني ملاك
العمان بعد هذه الحوادث وهو يصحك وامارات البدر طاهرة على وجهه فسميت
بالوقوف للقاتل فشدت نفسي ثقيلاً لا استطيع الهوص فاندري هو قاتلاً « لقد
انغم لي الله من برويز الجوسي طغيات نفسي وارى وصيتي لولدي حملاً تبيلاً
على عاتقي فشد شعرت بصعف بي الانسان وعلمت الاصابة في قولك وانا في سخن
خافين » قال ذلك وتوارى عن بصري وانا راقد لا استطيع حراكاً ثم استيقظت
وصورة العمان امام عيني وبكاد النور يبينني من وجهه

فلما بلغ الناسك الى هذا الحد من الحكايات شعر كل من السامعين بامراج
الازمة وخصوصاً حماد فانه احس بمحمل ثقل رل عن طينه

اما سلمان فكان الى ذلك الحين صامعاً لم يه كلمة منها مرغ التملك من كرامه
وقف سلمان وهم بيد الناسك فقلها وقال لانه انما فرجاً بين محمد الله والكنى قسماً

لا تشتهي إلا بعمل نعمة على قهر أولئك الكنعان الغاشمين
 فنظر الناسك إليه وتبسم تبسماً قلماً تعجده وقال تلك أعمال الله يا ولدي وسنسمع
 بذهاب دولة الفرس قريباً فلا يبقى ثم من تنتقمون منه
 فلم يفهموا مغزى كلامه فقال عبد الله هل نعي شيئاً محدوداً أوحى إليك ما في
 ساقى علم الله فانكم معشر النساك ذوو كرامة يفتح عليكم ما لا يفتح على سواكم
 قال الناسك اشير إلى امر لا يحتاج إلى وحي أو كرامة بل هو ظاهر بينهم كل
 عاقل . ألا ترى حال الدرس واختلال شؤونهم واضطراب أحلامهم حتى تنال على
 كرسي ملك خمسة ملوك في خمس سنين ^(١) وكل يعمل على الاستئثار بالسلطة وإمادة
 الآخرين وأضعفهم رأياً يزدجرد الذي يقول الملك الآن وستزول دولة الدرس على يد
 ناهيك عن ظلمهم وجورهم . ألا يدلكم ذلك على شيخوخة دولتهم وهرمها وقرب انقضاء
 أجالها وللدول آجال كآجال الناس تمر في أدوار تنبئ بالموت ودولة الدرس قد
 بلغت شيخوختها ولا تملك أن تنصحي وكذلك دولة الروم الحاكمة على هذه البلاد
 قال عبد الله ولكن لا نقصي إلا على يد دولة أخرى تقوم مقامها من سيحلف
 هاتين الدولتين . قال أما سمعتم برؤيا الراهب بجيرا الذي كان يقيم في دين هنا
 قالوا «كلاً» ألا حماد فانه تذكر ما سمعته من الراهب الشيخ في تلك الجمعة يوم
 جاءها ملاءء هدهم . فقل لي سمعت ذلك من الراهب الشيخ فقد احكى لي من
 أن بجيرا رأى في منامه مني جميل المطر مولد رح الثور والزهرة مع قران المذنب
 وزحل وعلم منه انه هو الذي سيهدي اساء جلدته سي اساعيل (وهم العرب) الى
 معرفة الله وان يبقوا امرهم ويحتد أزهرهم وتجمع كلمتهم فيدللون اساء عنهم سي
 سحاق ويملكطون عليهم من نفاق ما اشار اليه دايايل في نبوته وانه يخرج من أولئك
 العرب ائمة عشرة دولة ^(٢) ليس ذلك ما نعيه

قال الناسك هذا ما عبيدنا يزيد عليه ان الرجل المنتظر قد ظهر في جزيرة
 العرب ودعا الناس من امة جديدة انه وهدا الاوثان وقد فتح مكة وكسر اصنام
 الكعبة وأبشر سلطنة في البحار واليهي وسيدح الشام والعراق وهو الذي سيحلف
 الفرس والروم في سلطنتهما

فقال حماد لقد شاهدنا قوته وسلطانة داعيننا يوم فتح مكة وكان يوماً
مدهوداً وبظهر من رغبته في سبيل الله واستهلاك البصاره واصحابه في نصرته ان دولته
ستقلب الدول كلها ان عاجلاً وان آجلاً

قال فلمسم اذن في ما يدعوا الى تكبد الخطر في الانتقام من اكاسرة الفرس وقد
رأيتهم ان قاتل حبيبتنا العيمان قتل هو وولاده شر قتلة وسيم العرب على دولتهم
ان شاء الله

فوقع كلام الناسك على قلب حماد برداً وسلاماً فارتاح باله من امر الانتقام
المجمل وانصرف فكمه الى هند وشعر ميل شديد الى رؤيتها وخاف ان تسيء الظن
به اذا طال غيابه بعد يوم الشعابين وهم في اليوم الثاني من متظاهريه الى الانصراف
فادرك عبد الله ذلك فقال للناسك اتأذن لنا بالذهاب على ان نغتنم الفرص في زيارتك
حيثما بعد حين وهل تطلب مما امرنا ننصو لك

قال لا اريد من هذا العالم شيئاً فقد رأيتهم زهدي ولم يكن في نفسي شيء
غير روية ان حبيبي العيمان لانص علي ما اوتمنت عليه ما خاطبني به والد في الحلم
فاحمد الله على بل بغيري فاذا مت الآن فاني اتوسد قبر العيس ناعم البال

فقال عبد الله اطال الله فناءك ورحوان راك كثيراً قال ذلك وبهض فنهضوا
جميعاً وودعوا الناسك وانصرفوا على افراسهم وكان على رؤوسهم الطير

اما حماد فان ذهبه تفرع للافتكار بهند واحسن رغبته في اطلاعها على حفيضة
نسوة فلما وصلوا الى الدبر مرول بغرفة الراهب الشيخ فدخلوها ليطلعوه على ما دار
بينهم وبين الناسك فلما اباه بما علموه من امر اطرق بفكر بغرائب المحدثان ثم
قال لقد خيل لي منذ رأيت هذا الناسك انه لم يغادر حصب العراق وبقي في هذه
الجمال المجدة الانداع دفعة الى ذلك وقد صدق ظني وسرني انه اطلعكم على ما
خفف فنفكم وهرن عليكم كما انتم في غلى للقيام بالوصية وقد كنتم الله مؤونة ذلك
اسا ما قاله عن آفة الناسك وعظم دولته حتى يحصى على الروم والفرس معها تلك البنية
المجاهدة الجارية تار الله في خدمته من المماريين لم يتعدى بقومون من رستم حتى
ملأوا جرب من العرب هتفاً وفعلاً ادات لهم فمائل اليه وعان والمهامة وبجاء وقد تهد

حماد وبلدان فتح مكة ورأيا بطش هؤلاء العرب وقوة جامعتهم ولقد شهد من رأى
حربهم في بؤنة هزأتهم كاحتل كفاح الاسود وصروا على الحرب صبر الرجال ولكنهما
اول من لاقيا بها جند الروم ولم يكونوا في عنة كافية فلم يفوزوا والظاهر ان وقعة
مؤتة كانت امثلة لم علمهم كيف توكل الكنف حتى اذا رأوا في جندهم الكفاءة
اعدوا الكنف ليس على الشام فقط بل على العراق ابصا
فقال عبدالله وهل علمت انهم حملوا على العراق
قال نعم انهم حملوا عليه حملة اذا لم يكن فوزهم بها تأما فلا اقل من ان يؤذوا
الفرس ويضيقوا عليهم

فقال حماد وكيف عرفت ذلك يا مولاي

قال اخبرني بذلك تاجر من اهل مكة نعودنا لقاء هنا كل عام او عامين ولي
معة صداقة ودالة فقد مررت من بضعة ايام واظلمني على حوادث تلك الدولة بعد
فتح مكة حتى الساعة فاذا في ما يحيفنا على دولتي الروم والفرس وكنت اظنكم
عالمين بها

قال عبدالله كلاً يا مولاي اسأغير العالمين بشيء من ذلك

قال الراهب اخبرني التاجر ان اولئك المحاربين بعد ان فتحوا مكة عادوا الى
المدينة وانفذوا جنوداً معهم الى من بقي في جربة العرب لم يرضخ للاسلام فغزوا
غزوات عدة فازوا بها كلها ومن اكر قوادهم رجل منهم يقال له خالد بن الوليد
اتى بالمجرات في هرويه حتى ساء اليه « سيف الله » ومنهم علي بن ابي طالب
ابن عم النبي وهو بطل مجرب . وكذلك رجل شخ من كبار مشيرهم اسمه عبدالله ابن
ابي قحافة^(١) لقنه بالصديق وبني ابا بكر وهو حوالبي والد امرأته عائشة . ومنهم
رجل آخر يدعى مثالة في العالم ثقة البطش وصدق الغيرة على الحق اسمه عمر بن
المخاطب وآخر اسمه عمرو بن العاص وغير هؤلاء جماعة كثيرة فتمكن بذلك من
اذلال قبائل العرب حتى لم يدر يهاج في اذلالهم ان ارسال الرجال بل كانوا
يندون عليه وفوداً يلبسون السخول في دينه عن رضى وطبقة خاطر^(٢) فرأى
الوقت اللارم لمنح اللام قد آن ليجد جيوشاً بقيادة رجل اسمه اسامة بن زيد وامر

ان يسهر الى فتح الشام وفيها هو في ذلك وإفاه القدر فتوفي قبل مسير الجند ولكنه خاف إبطالاً قام لي بنصره دينه فتولى الخلافة بعد حنّ أبو بكر المتقدم ذكره وهو شيخ جليل القدر واخبرني الناجران المسلمين لما مات أبي اختلفوا في من يولونه الخلافة بعد لانهم قسمان قسم يقال لهم الانصار وقسم يقال لهم المهاجرون

فقال حماد وما معنى هذه الاحزاب هل هي مذاهب دينية كالتي عندنا قال لا يا ولدي ان المهاجرين هم الذين هاجروا مع النبي من مكة الى المدينة يوم شدد أهله الكبر عليه هناك فتبعه من قريش اكثرهم غيرة عليه فسلم المهاجرين وأما الانصار فهم أهل المدينة الذين قاموا بصروته لما جاءهم مهاجراً فخاروا معه فسلم الانصار . فكل من الانصار والمهاجرين بطى معه اولى بالخلافة فاختلطوا في من يتولاهما حتى كادت تقوم بينهم فتنة . ويظن صاحبها الناجر المكي ان النصل في فض هذا المشكل لأحد المهاجرين عمر بن الخطاب وقد ذكرته لكم الآن فهو الذي توسط في الأمر وباع أبنا بكر مبايعة الناس احتراماً له او خوفاً منه فصارت الخلافة في المهاجرين وهم من قبيلة النبي (قريش) تخليفة المسلمين الآن ابو بكر الصديق هذا (١)

فلما توفي الذي تغيرت قلوب بعض أهل جزيرة العرب ممن اعتنقوا الاسلام في حياته فارتد كثير من منهم الى ما كانوا عليه من الصراية أو اليهودية أو غيرها فتنبه المسلمون لذلك واجتمعوا واوعروا الى أبي بكر ان يعدل عن ارسال الحند الى الشام لاحتياجهم اليهم في افقاع المرتدس فأبى إلا اعادة ما أمر به النبي فارسل اسامة وجندك الى الشام . وما أحكاه لي الناجر المكي حكاية وقعت لابي بكر هذا بعرضها كل من عاشر حكمانا من الروم أو الفرس

فقال عبدالله وما هي . قال الراهب أخبرني الناجران أبابكر رافق ذلك الحند في خروجه من المدينة وكان اسامة راکماً وابو بكر ماشياً فحمل اسامة من ذلك لأنه شابٌ وذاك شيخ فضلاً عن كونه رئيسه فمزم اليوا ان يمتي هو ويركبوا ابو بكر فأبى إلا ان يمشيهم ماشياً وبذل ذلك على رغبة حكامهم في الخدمة لا الرئاسة وما أوصاهم بقول عودته قوله « لا تمسوا ولا تلمسوا ولا تملوا ولا تملوا ولا تفتلوا ولا تفتلوا ولا تشيخوا كثيراً ولا امرأة ولا تصبروا لحلاً او قسراً ولا تسخطوا تخمهم ممن ولا تدمعوا

قال سلمان أما انت فقد طال غيابك عن امير غسان واميرته فسر اليها وعساي
ابن اعدو اليكم قريباً بخبر النصر

فانه حماد لامع مع هند فاغتم وجوده عند الراهب فرصة لاستفتاءه بامر الاقتران
بعد حكاية الوصية ولكنه استعفى فخطب عبدالله على افراد قائلاً انظن انه يجوز لنا المحاطبة
بأمر الزيجة أم نحن لا نزال مقودين بالوصية

قال عبدالله دعني اسأل الراهب وأخذ رأيه فما يشير به . فعلة . ونحوّل نحو
الراهب فمأله فقال الراهب يظهر من خطاب السالك لكم انه يجلبكم من ذلك اللبث
وفي العدول عن الانتقام فضيلة مسيحية كما تعلمون لان ديارنا توصينا بمحبة عدونا
ومباركة لاعيانا ونحظر علينا الانتقام

فسرّ حماد ملك الفتوى وسكت حتى اذا خرج من عند الراهب انرد بعبدالله
وقال له ألا ترى ان ذهب عدنا الى اللقاء نقابل حملة طالت معي فقد فرغنا من
حكاية الدرمان لكما الاجتماع وخصوصاً بعد ان طهر ما طهر من ربيع نسما
فقال عبدالله ارى يا مولاي ان تقى امر نفسك مكتوماً كما كان لبرى ماذا يجد
من حوادث الزمان

فاحمل حماد وقال ولماذا نكتنه وهو شرف يتماق اليو الناس وخصوا انهم
اعترضوا على رواجي بهد لعروض سبي قبل انتيو عاصاً
ففكر عبدالله هيهة ثم قال وارى مع ذلك ان لا تنكح وعلى كبر حارة والامر
راجع اليك

فسكت حماد وكان قد وصل نائب الغزوة رسالته اليها وقد ادركت ليلتها
شأن هند فتعقرو فلما وصل العرنه اليك حماد رأت سلمان فاسرح وهر فقول
انتدم اليك يا مولاي ان تأذن لي الدعاب الي الخيم عاصاً واحداً وان يكون
عليّ ان لا اشهد الاحصال بالترك ركن لا انا ان اعد انكم ما يدرى ان تدار
الله وارحوا ن تذكرني في حملة الراهب يا شكوكي . هنة الح .

وهل عبدالله لحام سته . به يا يدي التي انتم
والاسرار ولا عاصاً فخرج اكرى
ووميا الذر فادهم

فقال حماد اذهب يا سلمان بحراسة الله ولا تقطع عما اخارك
فقضى سلمان ليلة تلك يستعد للسفر الى العراق وفي الصباح ودّع حماداً
وعبد الله وبكى لوداعهما وسار الى الناسك يلتمس بركته ودعاه قبل المسير
فلما حلا حماد بعبد الله قال له دعنا نسير الى جيلة أو فياً بنا الى صرح الغدير أم
هناك سرّ يمنع ذهبا واقتربا ألم بأن لنا ان نحصل من العراييل
قال لقد آن الوقت وعلم سيدي اني لم أؤخر اقتراعه عثاً ألم يكن في السرّ
ما يدعو الى ذلك

قال لي واني لا اسي جملاً صنعته معي يا عبدالله ولكني اعترف لك اعترافاً
صريحاً بان اطلاعي على سبي قد قلل اسباب سعادتي واحسبني كنت اسعد حالاً يوم
كنت حماد بن الامير عبدالله اما ولأنا المذنبين العمان واراني تعيساً يتيماً مظلوماً
قال عبدالله كنت اتوقع ذلك منك ولكني لم أرَ مثلاً من ان اقص عليك خيراً
تهد به الى امانة مقدسة

قال لم اقل انك اخطأت باطلاعي على حقيقة سبي فقد فعلت الواجب على
اسي لما اتصوره هنا ومبشّتي معها اسلو الدنيا ومناعها
قال عبدالله وزد على ذلك انك ستكون عمّاً قليل ملك غسان والفساسة
لا يفرّون سطوة وبطشاً عن ملوك الحيرة فصلاً عن خلافتهم بالثروم وهي دولة مسيحية
وذلك حيرت من علاقة اجدادك المماذرة بالفرس والفرس محبوسون بالنار كما تعلم
فابسط وجه حماد لذلك فقال اذهب معاً الى صرح الغدير قال لوعلمت ان
جملة هناك انهدمت معك لان من اللداقة ان الاقبه فبني تعارفاً جارلي الذهاب الى
الصرح فقال ادن اذهب اما فالتمس لك موعداً فنحنع فيه بحيلة ونتم الاقتربان
قال حماداً فعل واحد حماد بعد جواده للركوب

الفصل الحادي والسبعون

﴿ البرد والحاتم ﴾

أما بعد فلم يأت يوم التعابين حتى ملّت الانتظار وكانت تتوقع ان ترى

حماداً في مساء ذلك اليوم او في صباح الغد ففضي اليوم والغد وفي تعد الساعات والدقائق ونحسب لنا آخر غير حساب فلما كان اليوم الثالث أفاقت من رقادها قلقة البال فنهضت وسارت الى غرفة والدتها والتفت منها ان ترافقها الى دير بجبراء ان تأذن لها بالذهاب اليه وجدها

فقال سعدى لا أرى ان تفعل ولا ان تعلي فلورأى حماد المجيء اليها لاجاء
فرما كان في سر والى ما سمعه من المجيء
قالت ما تعين يا أماء

قالت لا اعني شيئاً ولكني لم يعجني أمر والدك هذا فكم تدأل وتعرز فقد صاهرنا
ولك على غوض نسو واكرمناء والتمسنا لقياه فلم يأت وما قد انقضى موعده من يوم
الشعابين فلا أظن الآ في الامر دخيلة

فانقضت نفس هند عند ذلك وقالت لا تلومي الغائب قبل حضوره فرما منعه
عن زيارتنا مرض او شاغل ذو بال واما ما اشرت اليه من تدال والدك او كبرياتك
فلا أظنه في محلو وليس ثم ما يصوغ له ذلك

وسكتا هنيهة مطربين ثم قالت سعدى نعم يجب علينا ان نبحث عنه وعن سبب
غيابه فليستظر هذا اليوم ايضاً فاذا لم يأت انعدنا اليه رسولاً

فخرجت هند وهي هاجمة في امر حماد فلمست ثوبها وخرجت الى الحديقة لتفخل
نفسها بازهار الربيع وعباها شائعان من بين الاشجار وقد ذهب عليها السيم دقاعظم
حيف الاوراق وعلت اصوات الطيور معردة وهند تود انقطاع السيم وخرس
الاطيار مخافة ان تحول تلك الصوضاء بينها وبين وقع اقدام حماد اذا جاءها . تيباً
بين الاشجار او نحي صوت جواده اذا صهل عند استقبال النصح . وفيما هي جالسة على
حجر هناك تفكر في ذلك وتحدق بعينها وتصبح سمها وقد صارت الشمس في النجش
رأت فارساً قادماً عن بعد عرفت من حماده وظاهر لباسه انه حماد فهرأت اليه
والدتها وابيها فندوه ودخلتا الى قاعة الجلوس حتي جاءها فهدى فهدى
سعدى للفاتو ورحبت ودفلى لهما ودخلا لصرح وكانت هند تبت له من السيم
ودخلا جميعاً الى قاعة الجلوس وقد آمنت هند في وجه حماد تبتاً .
ولكنها عجت لمجيئ وحسن ارادت الا انها لم تكن تدرى ان حماد قد رافقها

أبشرونة بالسؤال عن والده

فقال انه كان عاجزاً على المجيء. معي ولكنه رأى من اللياقمة ان يقابل ملك غسان
قبلاً ولو كان سيدي العم هالاندا الى والدي فيحصر حالاً
فقال جعل الله نذرهم مقبولاً هل قصصت شعرك يا والدي

قال نعم . قالت وهل سمعت الحكامة . قال نعم سمعتها . وحدثني فعدت ان يبيع
بها فتذكر تخذير عبد الله فامسك ولكنه رأى سكونه عنها بالمرح فغديرًا للمائل
اما سعدى فلم ترد على هذا السؤال تأدبًا فلما لم يجيبها غيبت الحديث وسألتني
اذا كان سره الخروج الى الحديقة وهو يود ذلك لعلواة قد بجلو هناك بهند
فيهما تان او يتغازلان

فخرجوا من باب خصوصي صغير وتحتلت معدي في النصر نوصي قبة النصر باعداد
مائذ الخداه

فمضى حماد ومعه في طرفات الحديقة حتى اتحدرا الى ضفة القدير وماؤه بحري
عن مهبها لئلا تشعأ كنهها المرد وقد فاحت روائح الازهار وعلمت عليها رائحة زهر
الورد والياسمين وذات صبيحة الاليل رحمت الاشجار واركان لما فونوغراف
الادب والاراء روعت لرايح قلمي بسوق المحبين وما جمان وبقاهمان
اما ههنا فما دلت عليها حالت حماد حتى نظرت ابو شذراً وهي تنسم وعيناها
مسترعسان ما ذلآن وفقت ما الذي دعاك الى السجبل في ريارنا اما كان الادل علي
شوقك ان تني زيارتك الى حمد الصباح!

أما أنت يا داود فماذا فعلت بها فقال تركتها يوم الصبح لمناجاة والدك شأن
الأكبر أم ترون فأرسل داود إلى الأخوة الحبيب

از شما و از هر که در این راه باشد

یا اے ایمان والے! ذکرِ امتحانِ نبوت و رسل

فتبعها حماد وهو يقول ما بالك تهرين بي يا هند فاذا كنت تريد من الخالص
من قرابتي قولي لي كما قال غيرك ان نسي غامض فلا استحق بنت ملك غسان
فلم تجبه ولا على هذا وقد كان يتوقع ان يجرها الحديث الى حكاية السر ليخبرها
بحقيقة نسيه ويرى ما يبدو منها وخاف ان تأتي والدتها فيقطع الحديث فدار نحوها
حتى قابلها وجهها لوجه وامسك يدها فاحس كلامها نفس عريضة الحب فقال حماد لم
نسا ليني عن حكاية السر ما هي

فالت له (وهي ممسكة به نظرا اليها) بظهران حكاية السر عزيزة لديك
لا نستحق سماعها

فادرك انها توبخه لسكوته عن سؤال والدتها فقال لا يعز عنكم شيء يا حبيبي .
قال ذلك وبد به الى جيبه فاستخرج خاتماً دفعة اليها وقال هذا هو سرنا فانظري اليه
فماولت الخاتم وتأملت فاذا هو مكتوب بحرف لا تعرفه فقالت انه لا يزال سرا
اذلا استطيع قراءته . فقال انا اقرأه لك ثم قرأ « العمان ابن المنذر »

فلم تفهم المراد فقالت وما معنى ذلك
قال معناه ان نسي الذي كان غامضا عليك وعني كان محبباً في هذا الخاتم
فاحسنت فكرها في مغزى كلامه وادركت انه ينسب الى العمان ولكنها استعصت
ذلك فقالت العلك تنسب الى الملك العمان

قال « بل هو اي » . وحمل بيطر الى ما يبدو منها فراها قد استغرقت
قوله ولا تزال في حال البغنة ولكن الاعجاب والسرور ظهرا على وجهها معاً على ان
الامة والرياسة سمعتها من اطهار البغنة فقالت ومن ابناك بهذا السب وكيف خفي
عك الى الآن

قال لذلك حديث طويل سأقصه عليك في غير هذا المكان واذا كان الخاتم لا
يكفيك فانظري الى هذا الرأ وكنت قد كنت فحمت الخاتم
فطرت اليه قلما ففحمت له في حلم في سر . ولكن الاستغراب عاكس اليها وهي تنسب
نفسها في حلم

ثم دعا وقع اقدامه من ناحية النهر فطار على شا من اليه .

فخأءٌ وطلب الى هند كتمان الحديث الآن . اما هي فرغماً عن رزانتها وتعلمها ودكت ان تطلع والدتها على ذلك المحر

اما سعدى فانها جاءت مسرعة وفي وجهها خير
 فيظنرا اليها وهما يتوقعان خبراً فقالت لقد اطلت الغياب عليكما لاشتغالي برسول
 قدم من عند الملك جبلة ومعه هذا الكتاب ودعيت الكتاب الى هند ففصنة فاذا هي
 من والدها يقول فيه « هل عرفتم شيئاً عن ولدنا حماد وهل وفي بدره فاني احب
 ان اراه قبل سنري الى الامبراطور فقد انفذ الي رسالة بالذماب اليه لهمة ساقصها عليكم
 عند الاجتماع »

فقالت سعدى اكثي اليه جاء وقد وبى الذر
 فقال حماد ارى ان اسير الى والدي واجيء بوليتشرف بمعرفة الملك جبلة ايضاً
 قالت حسناً نفعل فعادوا الى القصر وكتبوا الى جبلة بذلك على ان يكون مجيئه
 في الغد

وكانت المائدة قد أعدت فتناولوا الطعام وركب حماد الى دير مجبراه

الفصل الثاني والسبعون

﴿ كل سرّ جاوز الاثنين شاع ﴾

واما هند فارالت نكرت ما سمعته من حماد عن سوء وادركت والدتها فيها نفيراً
 ظاهراً على وجهها يدل على شيء في نفسها نكتته فلما كان المساء ذهبت هند الى
 فراشها فحاضها سعدى واحدت نجاذبها اطراف الحديث حتى باحت لها بالسرف ولم تكن
 سعدى اقل اسغراماً من هند وحسنت لها ان تطلعا والدها على ذلك
 فلما جاء جبلة بى ضحى الغد ابأته بالمحر وكانت تتوقع منه ارتياحاً واستغساناً
 ولكنها رأت انماضاً فندمت هند على نصر بجها بالسرف وخافت ان يترتب على ذلك
 ما يسيئها وتكان خوفها في محله لان جبلة ما لست منذ سمع ذلك المحرم مقبض النفس
 شارقاً في محاربا مل لعلوا ان حماد اذا تروج ههنا سيكون ورثته في الملك اذ

ليس له ذكور يرثونه فإذا كان حماد من عامة الناس بقي الملك باسم الفساسة ولكنه رأى بعد ما علم من اتساقه الى المناذرة ان الملك سيخرج به من الفساسة الى المناذرة فيكون قد سعى الى زوال ملكه فارتبك في امر فلم يعد يعلم ماذا يعمل وود لو انه زوج هنداً لفعلة ابقاء الحكم في عائلته ولكنه كتم ذلك كله وتظاهر باستقربان ما سمعه

اما هند فكانت تراعي والدها وتراقب حركاته وتتظنر ما يبدو منه وقد انقبضت نفسها واسمعت اسفلاً شديداً لما فرط منها

ومياهم في ذلك سمعوا قرعة اللثم وصهيل الحبل عند باب المدينة واطلوا وإذا بحماد وفارس آخر عرفوا انه والدة فخرجوا لاستقبالها فلما وقع نظر حماد على جملة هم ثقيل بك سمعة وتعاونا ونقدم عبدالله الى حلة فصاحة وتعارفا ودخالا جميعاً الى قاعة الجلوس واحدوا في الاحاديث المسوعة الا حديث الذرفانة لم يدر بهم المدا فقالت سعدى لحلة قلت لنا في كتابك ان الامراطور هرقل افند يدعوك اليه فما الذي دعاه الى ذلك

قال دعاه اليه اضطراب في جو السياسة اوجب اهتمامه في التأهب للحرب عاجلاً فبعث الجميع واستعداد حماد بالله وخاف ان يحول ذلك بيسه وبين هند الى اجل بعيد فقال

وما هو ذلك الاضطراب يا عمه

قال لقد اسأنا المحلوس ان المحاربين الذين حاربوا منذ نصح سبيس على ما تعلم وعادوا عن مؤنة حاسرين قد استنحل امرهم وانزع ملطامهم وتوفي سيهم وخلفه بعض اصحابه فحمد حداثاً كبيراً انك اقمنا ولا يلمث ان يصل اليها قريباً فبعثت الى هرقل بذلك وارسل يستندمي اليه في حصص^(١) للمحاربة لئلا التجبد وقد قيل لنا ان حملتهم هذه المرفح سيكون اصعب مراساً من الماصية وقد حاربوا فرقاً بقودهم اعظم الهواد

فقال عبدالله سمعنا ان ذلك الحمد الى العراق لحرب النرس وليس للندام قال ذلك حديثاً حسر سموه الى العراق في العام العابر اما الآن لهم عاملون

على التحييد البنا

فقال حماد هل يرى سيدي العم ان غيبته سنطول هناك
قال لا ادري مقدار طولها ولكني اظنما طويلة
قال انصبر اذا في خدمتك

قال لا ارى حاجة الى ذلك والاولى ان نقيا في بصرى ربنا اعود او ابعت
اليكما . اما سعدى وهند وسائر اهل هذا القصر فيسهبون معي خوفاً عليهم من غائلة
العدو وهم في هذا الحلاء.

فلما سمعت هند ذلك خفق قلبها وكادت الدموع تتناثر من عينيها وقد ادركت
ان والدها يضرر السوء لحماد

اما حماد فلم يكن اقلّ وحالاً وهو لا يعلم ما في مس عيو وطنة لم يعلم بحقيقة نسو
ولا حدث ما يوجب نفوره ولكمة استعظم فراق هند بعد ان كاد يظهر بها على اثر
ما فاساه من المشقة والبلاء في سبيلها

اما عبدالله فادرك ان في الامر شيئاً حديداً اوجب هذا الساعد ولولا ذلك لم
يكن ثمت ما يبع مسيرهم معه حيثما سار مخافة شك في كتمان حماد فطر اليه نظرف
خفي ففهم حماد مراده فامتنه انه اخطأ ما طلاع هند على ذلك السر
وشاركهم في ذلك الاحساس سعدى لاهما اعلم الناس باخلاق زوجها فقالت
له ألا ترى ان سير جميعاً معاً وما الفائنة من نفاء حماد هنا

قال بل ارى نفاء هنا وساخرك عما يبع ذهانة معاً . قال ذلك وفي كلامه
غمة الجبناء فسكنت وسكت الجميع

ثم آن العناء فتعدوا والعكوت ساند عليهم جميعاً فلما هضوا امر جللة ان
تعد الركائب يسير روجنو واسنو معه في ذلك اليوم مشق ذلك على عبدالله وشر
من جللة لما اتفق له معه في المغالبة الاولى . وعول على تحويل عزم حماد عن هند
كأنه لم يدرك في قلبه من لوايح العرام وقد فاته ان الحب يتعاطى نسبة ما يعترضه
من العقبات

واستشار عبدالله حماداً في الانصراف فاجابة اليورغاً عنه ووقفاً مستند حماد
الى عمو وودعه وهو يكاد بشرق بدموعه وودعه عبدالله . وسار حماد الى سعدى وهند

يودعها وكانت قد خلنا وهند تبكي وتختبئ والدتها تخفف عنها وتلمس الاغذار
لما ظهر من جناء والدها فلما سمعت وقع اقدام حماد خرجت في فودعته واعتذرت
عن هدايتها تشكو من صداد الم بها حتى انكأها

فادرك حماد انها شعرت مثل شعوره ورجع لديه انها باحت بالسرو لم يلم
الآنسة لانه لم يوصها بكتابه . فقال والدمع يتلألأ في عينيه دعيني ارى هدا
قبل ذهائي وان تكن باكية . وكانت هدا قد استعدت للقائه فمسمحت دموعها وحاولت
اخفاء ما بها وخرجت الى حماد وهي تتجلد ومدت يدها وتجاد هو ايضا فودعها
مستسماً وتحت انشامو غبط يكاد يبين ثم ودع سعدى وخرج فلقي عبدالله في الحديقة
ينظر قدومه فركبا وحماد يلتفت وراءه يودع النضر واهله وهو عارق في لبح
المطامير مساراً صامتين لا يسموا احدهما كلمة وكل منهما يكر في امر وحماد يراجع
في ذهوه حوادث ديك البومين ويغرق ندماً لما نأح به من امر نسو وشعر بمحاطته
نحو عبدالله لانه لم يطمعه في كتابه فظل صامتاً يتردد بين الحجل والمشمل
اما عبدالله فلم يبق عند تلك تغير حلة وفساد ما سو وصباغ ما املوه ولكنه
لم يذكر ذلك لحماد رفقا بمحاطفه وعول على ان يشفيه عن عزوه فيما بعد

الفصل الثالث والسبعون

✽ ان الله مع الصابرين ✽

فلما دنا من الدبر قال عبدالله أترى يا سيدي ان نعم في الدبر او نذهب
الى بصرى

قال لك الامر ولكني اري بصرى افضل لما بعد ما سمعناه من حملة العرب
الحجار بين

قال الامر اليك وعرجوا نحو الدبر فانوا في تلك الليلة على انة لانه الى
بصرى ولم يبق حماد الا قليلاً ككتبة ما تراك عايو من المطامير

فلما اصبحوا اخذوا استعداداً للركوب فذهب عبدالله لوداع الاحب وظل

تلقاه نفسه وكان حماد أكثر رغبة عن الخوض في ذلك الموضوع أثلاً يسمع بهياً أو يصحاً
يعدك عن هــد

فقصبا اشهرآ على تلك الحال وهم لا يسمعون إلا باستعداد الروم لدفع المسلمين
وان جند المسلمين وصلوا ضلحي الشام واقام بعضهم في اليرموك وكان حماد كلما سمع
خبرآ من هذا القبيل ارداد قلقلآ حتى لم يعد يصبر على الشتاء في مصرى ومال الى الخروج
مها الى اللقاء لعله يعرف شيئآ عن هــد وعندها بساغته نارة بالصيد رطورا بزيارة
رومانوس صاحب مصرى وكان رومانوس قد عرف منزله عبدالله على اثر ما كان
بيهما من امر تسيير عبدالله الى هــرقل وما لا فاه من العنوشاك . فكان يجمع
برومانوس وحماد معه ويخرج احبانا الى الراهب فيروره ويدعوه الى زيارته .
اما الناسك فسار الى هــد فلم يجده

الفصل الرابع والسبعون

﴿ حصون بصرى ﴾

ففيها لما ذات يوم في ضواحي مصرى بالمراد السيد والحمد لله ارى السيد
هــد السواحى لوعمرها ليلة البارحة
قال عبدالله ان الصبا يكتمها يا رطل اجمل
اللقاء فالامر اليك

قال أرى في الا
وفيها لما يجتازان رأيا
ومعنا فة ال حواء ما دلت العري
فقال عبدالله ان مثل هــم الك
قال وماذا عسى
قال لا يجمع
قال جندآ من الاء ب قاء
هــد

فقال حماد اظنها جنود المسلمين قادمة لحصار بصرى فباليتنا خرجنا منها قبل الآن قال عبدالله اذالم يكن لنا بد من ملجأ في هذه الديار خوفاً من المسلمين قالت بصرى احسن المدن واسع الحصون واسهل بدل عليها فان لفظها في الكلدانية معناه الحصن المنيع ^(١) الم تر سورها من الحجر الصلد الذي لا تقطعه المعاول ولا تهدمه الجايق ^(٢) وقد رأيت ابوابها فان منها يخرج اثنا عشر الف فارس دفعة واحدة عند الانقضاء فالمسلمون اذا فتحوا بصرى هان عليهم فتح سواها وتربصنا داخل اسوارها خبير لنا من الخروج الى البلقاء او غيرها وزد على ذلك ان اهل بصرى اشداء وهم اكثر الناس حرصاً على دينهم واشدهم دفاعاً عن مدينتهم فانما اعظم مراكز التجارة بين الشرق والغرب لتوسطها بين الحجاز والعراق والشام ومصر ^(٣)

فبغت حماد وعظم عليه الامر وعلم ان امره لا بد من تأجيله ان طوعا وان كرهاً وهب انه عزم الى البلقاء او دمشق فان جبلة وقبائل غسان وجنود الروم اصبحوا في شغل يشغلهم عن كل شيء ولكنه اراد ان يتحقق قوة جند الروم ليرى قدرتهم على الدفاع وقال وهو يدبر اسرار جنوده نحو بصرى وعبدالله يتبعه وما هي قوات الروم في الشام وكى مدينة مثل بصرى عندهم

قال عبدالله اعلم يا سيدي ان ولاية سوريا او هي ولاية الشام تقسم الى ١٥ قسماً احدها بصرى ^(٤) وقوات الروم كثيرة وعندهم كثيرة ولكنهم شغولون عن دينهم وديارهم واستولى عليهم الانقسام . ومارا الى في هذا الحديث حتى وصل الى المدينة فرأى اهلها في هرج واجبد في حركة يستعدون للدفاع فدخلوا الاسواق فرأى الناس مجتمعين منى وثلاث ورباع ينساء لون عن الجند القادم وامارات الاستخفاف طاهرة على وجوههم فقال عبدالله هلم بنا الى منزلنا فانه عال يشرف على الاسوار وما وراءها

فسارا وقال حماد ما قولك يرومانوس حاكم بصرى هل هو خائف ام مستخف فقال عبدالله لا اظنه خائفاً وعنه مثل هذه الحصون وهذه القلاع فصلاً عن العدو والرجل ولكي اطر الولاية ستخرج من يدك الى طائر آخر جاء منذ ايام اسمه تراجم (دريهان) ومن داه ٣٠٠ وقد سمعت الناس يعدونون بنو ربه فيها

(١) قوس فورست (٢) عرب (٣) جيس ر. ٢ (٤) جيس جبر ٢

الفصل الخامس والسبعون

﴿ رومانوس وتراجان ﴾

وما رآه بالحدث حتى وصلا المنزل فاطلا من بعض طائفة فاذا بالغبار قد بان
عن جند كثيف تنفذه الاعلام والرسا

ولم يكذب ظهر جند العرب حتى تسابق الناس الى الاسوار يظنون اليهم وهم
يهزون بهم وبالسهم وسداجة معداتهم وبعد قليل جاء رومانوس موقف في بعض
الابرار ونظر الى جند العرب وقال لمن حوله من الصباط لا يرى ان نفل ابواب
بصري امام هذا الجند الضعيف ولكننا نخرج اليهم فحاربهم في هذا السهل ونردهم على
اعقابهم . طامر بالجند ان يعسكر في خارج الاسوار مقابل معسكر العرب ^(١)

فلما رأى عبدالله هذا التهور خاف العاقبة لما يعلمه من بطش العرب وصبرهم على
القتال وكاستله على رومانوس دالة كما تقدم فلما علم بعزمه على الخروج بالجند حدثته
نفسه ان يصح له ان لا يفعل مسار اليه وحامد معه وقد علم انه توجه الى دار حكومتهم
فلما وصل الدار رآها غاصة بالخمائر من رجال الحكومة وكلهم راضون عن رأي
رومانوس ولكنه لم يرتجأ ان يريهم فلما رأى اجماعهم على ذلك علم انهم لن يصعدوا الى
كلامه فرأى ان يجاوب تراخان بالامر فسال عنه فقبل له انه في منزله مسار اليه
وكان قد عرفه واجتمع ومارا فاسا ذن بالدحول عليه فادف لها فدخلوا فاذا
بتراجان مضطرب الوجه فلما دخل عبدالله رحب وتراجان وكان يعرف العربية فجلس
وجلس حماد الى حامي

فقال تراجان هل تعرفون هؤلاء التجار بن

هنا عبدالله قد علم انهم وحدهم يحررونهم

فقال وكيف ذلك

قال رأيتهم اشدهم بغيره من ربه ربه ولا يمس

قال ألا ترون المحروج اليهم خطاً
قال عبد الله بنى يا مولاي وهذا ما جئنا به اليك فكيف تخرجون اليهم فتعرضون
جندكم لسيوفهم وقد كان لكم غي عن ذلك يهت المحصون المبيعة
فتهد تراجان وقال هكذا اراد رومانوس ولقد بصحت له فلم ينصح وكافني به
ببقي يبعد الزوم الى التهلكة

وقال عبد الله اليس من سبيل الى افساخ
قال كلاً لانه عبيد معند سيوفهم وسيكون مفلة عظيماً واذا فشل فاما يكون دمه
على رأسي فلذلك وهو بلاعب صليماً من الذهب معلماً بسلسلة في عتوه
واس عبد الله في كلام تراجان لهجة الشبانة فصكت وودعه وخرج وحمام معه
فلما خرجا قل حماد ما ترى من ارم هؤلاء الي اخاف ان تعود العائنة على هذه المدينة
فيصيبها ما يصيب اهلها

قال وما لعل يا سيدي اخرج الى المسلمين
قال حماد كلاً ان خروجاً حياناً
قال اري ان ترضى اري ما يكون من حربيهم
وسارا حتى انا المزل وكان الليل قد سدل قامة فاطلاً على معسكر العرب فاذا
بهم قد نصبوا حيام واوقدوا الوفود ونصبوا الاعلام
بيل حماد ومن هويا ترى امير هذه الحملة العلة حاد بن الوليد
قال ان حاد بن العراق على ما علمت ولكن الامراء غيب كثير

الفصل السادس والسبعون

ح امرى

راى الى الليل رضى به خروجه وفيه ما جاع اذ انما على دق الاجراس^(١)
واذا ما جاع رضى به خروجه^(٢) والى فارس والى امامهم بالهلال طيماجر

فسار عبد الله وحماد الى الاسواق فرأوا الناس يسرعون الى الكنائس ينيحون الصلاة باليوبانية^(١) ويدعون لجدهم بالصر وصعد الكهنة على الاسوار بالصلوات والشموع ورشوا الجند بماء المعمودية واحد يبرءون ويشدون الا شيد المسجبة ومهم الرجال والنساء والاولاد يدعون بصوت واحد بالصر لجدهم الزوم

أما جدد العرب فكان قائد شرحيل بن حمسة كاتب رجي النبي وحمته عتبة بن
الجراح في أرملة آلاف وأرس للفتح بصري وكان عتبة قائداً عاماً لحشود المسلمين في
الشام ولاه القيادة العامة الحليفة أبو بكر الصديق

فوقعت بين الجيشين عدة وقائع ظهر فيها الرومايون في مادي الرأي ولم
يجب على الله اصره الروم لما يعلمه من كثرة عددهم

وفي ذات يوم الغم الحماش فظهر الرومانيون واخذوا امر المسلمين حتى كادوا يهدون الى الفرار وعبد الله يرافب حركاتهم وحماد الى حاسو وادا غمار يتصاعد من جهة الافق وان من تحو جند عروفا من نوع نظامه وبشكل اعلامه انه جند المسلمين فعملوا انها بحلة حاتمهم ولم يلبثوا ان رأوا في مقدمة ذلك الجند رجل ضخم عربض اللحية طويل القامة تحنى فوق رأسه راية سوداء وهو خالد بن الوليد فاشد اراد المسلمين واعادوا الكثرة فتفهم الروم حتى دخلوا الاسوار واقتابلوا الابواب المدعمة فلقي تراخان رومانوس راحعا فذكره بصيحه فغضب رومانوس لشيانه به

ولما علم عبدالله بما تمكّن من المموريين الفالدين خاف مروه ١١

وفي صباح اليوم التالي برز خالد يطلب الخيل فمرل إليه رومانوس والناس
يظرون إليها وما ياول إليه والها وبعد را طولاً دكل منها الى معسكره فدخل
رومانوس بصرى وعلى وجهه ما يدل على غيرة في ما صدر رند فزرت همه على الدواع
فلحقا ذلك هو الدس يعرفون احلاقه وان عد الله واحسب مجاد وقال الي حاتف من
هذا الرومي والله لا يات ان يعلم المسنة لاني رأيت من طائر في البرل ما وقع
الشبهة

مقالہ جماد و ثلثہ عشرہ رمضان ۱۳۸۵ھ

(۱) وکالت حدة نسلا في - ک سی م ل ف ی

[illegible]

ووجهة وثبت به لما آل اليه خروجه فشق ذلك على رومانوس وتوعد نغرينويه
له وقال له اذا كنت افرس مني ارفع فاجابة تراجان وشتمه وعلا الحصام بينها
وتحزب رجال الروم بعضهم لرومانوس وبعضهم لتراجان وتوعدوا رومانوس بالقتل
وانهم به بالحياة وقالوا له لا رضاك حاكماً علينا وقد ولينا تراجان فسكت ولم يحهم
وعلامات القدر ظاهرة على وجهه وكسفة قال فلبنزل هو ويري عطشة

فلما اصبحوا نزل تراجان على جهاده بعدته وسلاحه وطلب المارزة فخرج اليه
فارس علماً من لباسه وكبير حنقه انه خالد بن الوليد فطال النزال بينها والمحيشان
يظنران وكان على رؤوسهم الطير فضى معظم النهار ولم ينل احدهما الاخر بشر
مرجع كل منها الى معسكره^(١)

فلما رجع تراجان الى المدينة اسرع الناس للقائه وسؤاله عما اتي من عدوه وكان
اول من لافاه رومانوس وقد نظر اليه مستهزئاً ضاحكاً كأنه ينتقم منه لشانه
به فلا دامره وعينه ثابة مخلوع فقال رومانوس ستري من هو المخلوع ما
وتركة وصي

وكان عبد الله وحامد ينظران الى ما دار بينهما فلما رآيا من رومانوس ماراً بآه
وسمعاً يهدين حافاً فقال عبد الله لقد زاد خوفي الآن من مقاصد هذا الرومي فلا اظنه
الا فاعلاً شراً

فقال حماد وما شأننا في ذلك

قال عبد الله اما يعيننا من الامر المحافظة على حياتنا مخافة ان يدخل العرب
المدينة فيصيبنا منهم سوء ولا ناقة لنا في الدفاع ولا جمل الانظنا كما آمن على
حياتنا لو اقمنا في دير محيرا

قال حماد وكرب يكون آمن هناك والدير لا حص فيه ولا جند ونحن الآن في
امع مدن الشام^(٢)

قال لم اقل ان الدير احصن من اصرى ولكنني علمت ان حلبعة هؤلاء المسلمين
لما حرج لوداعهم يوم تسيدهم الى الشام اوصاهم بالرهان والديور حبراً بهم لا يبيتون
راهباً ولا يجرؤن برأ

قال حماد لو ذكرت ذلك لفضلت البقاء في الدير ولكن السهم قد نفذ ونحن الآن في بصرى وهي في ما تراه من الحصار فما الرأي
فكر عبد الله قليلاً ثم قال ان سر المسألة يا سيدي عدد رومانوس هذا فلو
استطعنا استطلاع شيء منه لعلمنا طريق النجاة فإني ان اسير اليك الليلة لعلني
اتسم خيراً

قال حماد ففعل

وقصبا بقية يومها في المبرل وبعد العشاء سار عبد الله الى دار رومانوس وبقي
حماد وحده ولم يضر الا الليل حتى عاد عبد الله وعلى وجهه ملامح الغفلة
فقال حماد ما وراؤك

قال لا اطر الامر الا عظيماً فاني سألت عن رومانوس في مبرلو فقبل لي انه
نائم فلم اصدق انه ينام الآن فخرجت استطلع خبره من بعض الحرس فعلمت انه
خرج الى حيث لا يعلم احد ويحال لي انه سار ليدرس سكينه ويسلم بها المدينة و...
فقطع حماد عليه الكلام قائلاً اجل اطع ما يفعل ذلك لان هذا التصديق كان
ظاهراً على وجهه فما الحيلة

قال لا حيلة لنا يا سيدي الا التريص الى الصباح فاذا تحققنا عزمه علي ذلك
دربنا حيلة بنحو ما نراها
وبانا تلك الليلة علي مثل الحبر

وفيما هما اثمان بعد نصف الليل سمعا طارقاً يطارق الباب فهما من رقادهما
مذعورين فسألا من الطارق فسمعا صوتاً يقول انهما اني انا حادسكما سلمان
وبرول عبد الله للحال ففتح الباب والبيت مظلم فادار رجل عليه لباس اهل
الحجار وفي يده مصباح ونسبا لمطبخ وكلمة اداها اني عندما سمعت لانتحافا
ورفع العمامة عن رأسي نبارك وسراً فخرج حماد اب كسبت : سلمان
وما الحبر

قال جئت من معسكر خالد بن... هربوا من ان يصبوا في النار
فجئت لاعدكم بالامر لمكوثي على هذه رماهم من اسلام سار اسموه لي
نائب مبرلكم لتأمنوا من سبوتهم اذا دخلوا البلد

فقال عبد الله بورك فيك ايها الصديق الامين فدخلوا جميعاً واوصلوا الباب وسأله حماد ان يقص عليهم الحار فجلس وهو يلهث من التعب والبعثه وقال اخبركم بالاختصار ان رومانوس صاحب بصرى خرج الى معسكرنا في هذا المساء من مكان في السور خرقه غلامه فاعتنق الاسلام وقال لمحمد بن الوليد ارسل معي من تميم بتسليم المدينة فارسل معه عبد الرحمن بن ابي بكر ومئة من المسلمين فمحت انا معهم فادخلنا من خرق في السور واخذ الامير عبد الرحمن ورجاله الى قصر لسلطانهم ويسير بهم لقتل تراجان وقال انه مناظر له في الحكم وكنت لما جئت مع جيش خالد كما سأخبركم سألت الراهب الشيخ عنكما فاخبرني انكما مقيمان في بصرى وداني على هذا المنزل فهرولت اليه لانهما بجيلة الحار وانيت بهذا العلم انصبة فوق الباب حماية لكما وبعد قليل سمعنا تكبير المسلمين على اسوار المدينة من كل جهاتها وهي علامة بينهم وبين الجند خارجا فيهم الجمع وتكون مذمعة مائلة

فانبأ على هيمو قناري هو علي يد حماد فقلها وقال لقد ددت لو تكونون معي في معسكر هؤلاء المتحاربين لتروا ما رأينا من تجماعتهم وصرهم واتحاد كلمتهم وادخلوا ان خالداً وحده اولم يصلح بصرى الآر الذهب حماد شرحبيل ايدي سما وارتدوا على المدينة حاسرين فقد كانوا في تلة وصلك لقلتهم وكنت الروم

فقال عبد الله وهل خالد وحده من القواد الطغام قال سلمان وفيهم ايضاً عبد الرحمن بن خليفتهم الي نكر وهو الذي جاء معا لاستلام المدينة وغن جماعة كبر من الامراء والنفوذ

ولقد رأيت من حرمهم واطمهم في العراق ما سأقصه عليكم ان شاء الله هم حماد ان بمأله عما فعله خالد في العراق فسمعوا الضوضاء والصجج وبين الاموات صوت التكبير

فقال سلمان ان الامير لا على الاسوار وعما قليل يفتح اولاد رومانوس ابواب المدينة فيدخلون المدينة اذ يكون ما ليلوا ان سمعوا صجج الاس وكناء النساء والاولاد التي كانت السعة في قلوبهم وتارت الحمية في رؤوسهم واكبرهم لا يستطيعون الخروج خوفاً على حامية ما ظاهرا الا انهم فتح المسلمون بصرى واعطوا بها السيف ثم سكنت حيرة من قتل تراجان من اهل بصرى

ففتح سلمان الباب وخرجها الى الشرفة من شرفات المنزل بطل على الشارع
قرأوا حيث بعض الثغرى هناك بين ميت ومزارع وقد تلطخت الاثواب بالدماء
المسلمون قد توغلوا في المدينة وامتلكوها ولكنهم لم يقرّبوا منزل عبد الله لوجود
العلم على باب

وفياهم في العرفة ينتظرون ما تنهي اليه حال بصرى وقد اطمان بالهم سأل
 سلمان حمادا عما تم من امر هند فاخبره بحيلة المحبر وكيف تغلبتهم المحرب عن الاقتران
 وعبد الله بسبع ونجاش حتى انتهى الى عودهم من صرح الغدير بغني حنين وحاول
 حماد اذ ذاك ان يبين لسلمان ان عمه جبلة اصاب بذلك وانه لا يزال على حيد
 واعتباره وعبد الله لا يجيب ولا يعترض

اما سلمان فتكدر لهذا التغيير وقال وما هو موعد الافتتان يا مولاي

قال حماد لما تنهى الحرب وبرجع جملة واهله الى البلقاء

قال ومن يعلم متى يكون ذلك

قال الله يعلم

قال اتعلم ابن عم الان

قال أطهرهم في البقاء.

قال سلمان لا اظنهم هناك فقد أبأنا مجلسي العرب ان حلة مار برجله
الى اليرموك لصنع جند الروم في حرب المسلمين ولا يملك جند خالد بعد قليل ان
يذهب الى هناك لصنع المسلمين فاذا كان جلة في اليرموك لا اطمع بترك اهل مدينته
في البلقاء وفي عرصة لغزوات العرب
فقال سلمان وما طمك وادأ

نال اطله برهلم الى دمشق ومع ذلك فاني ارى ان اصبر مع خالد حتى آتي
البرموت وابحث عن جملة وافله واحود اليكم بالحجر اولي اعود اليك برسالة من
قال ذلك انتم كما هو في بيت مجاهد باجاء حماد بمل اهتمامه ودر نظر في ما
ينص من عاقلة انا من غير ان اكون اعرفه التي انا في ما
ظاهر على وجهه وسماعه ليعلم وهو ان انا فاقها الى ما في نظري في
منع نظري على راية صوته فنجها من ان اكون فيهم سفي الامور في

مقدمتهم فارس كبير المجنة عربى اللحية طويل القامة بعيد ما بين المنكبين واسع
الميكل كبير العامة واسع العينين كثيف الحاجبين على وجهه اثر الجدي (١) وقد ركب
على جواد أشهب خفيف العضل يتنقل بمذنبه كالعروس وبكاد الشرر يتطاير من
حديقته ووراءه فرسان حولم الأعلام وهم مرحون بما اوتوه من النصر والتفت سلمان
الى عبد الله قائلاً اعرفت من هو هذا الفارس يا سيدي

قال عبد الله قد عرفته من يوم كان في وقعة مؤتة وكنت انا اسيراً عنهم اليس
هو خالد بن الوليد

قال بلى هو هو بعينه انظر الى هذه القامة وتلك الطلعة ان خالداً يا مولاي من
معجزات خلق الله لم أر ولم اسمع بمثل شجاعته وثباته بطشه فلا غرو اذا سمعته سيف الله
لقد رأيت منه اعمالاً تعجز عن فعلها الابطال في حروبه بالعراق وسمعت من احاروه
ما تشيب لمولود الاطفال وقد كان قبل اسلامه هو المقدم على خيل قريش في الجاهلية فاسلم
في السنة الثامنة للهجرة مع عمر بن العاص ولم يزل منذ اسلم بولاية الرسول اعدا الحيل
في مقدمتها (٢) وقد علمت ان في عمامته خصلة من شعر النبي يتبرك بها . وقد شهد
وقعة مؤتة باللائحة وعلى اثر ما اظهره من المصالة هناك سماه الرسول سيف الله (٣)
ثم كان عوناً عظيماً للمسلمين في كل حروبهم حتى تولى ابو بكر فاستدعى الى فتح العراق
كما علمهم

فقال عبد الله وما هذه الراية السوداء

قال سلمان هذه راية ذات شأن عظيم عندهم ويقال لها راية العقاب
قال سلمان لم تجربها ما فعلت المسلمون في العراق هل فتحوا المدن ودخلوا الدرس
نقل سلمان لو دخل مالك ما فعلت دامت ولكن طلبتهم استفادتهم لفتح بلاد الشام
ولولا قدوم خالد بن عمرو لما استطاع ترحيل مدحها فقد وصلها اليهم وهم في شدة
وجع وبؤس



الفصل السابع والسبعون

فتح الحيرة

فقال حماد اخبرنا يا سلمان عما فتحه خالد من العراق وكيف رأيت حال الدرس قال أما خالد فانه من اعظم القواد وخيرتهم وقد لقيته في الحيرة يوم فتحها وكان قبل ذلك قد استولى على بلاد كثيرة بلا حرب لان العراقيين قد ملوا من حكومة الدرس وظلمهم وعنوم واحفروهم لاختلال امورهم . فاول مكان وصل اليه خالد بلاد مايقا وباروسا واللبس فصالحه اهله على عشرة آلاف دينار سوى حرزة كسرى وهي فريضة كان يقصدها الدرس عن كل رأس أربعة دراهم . ثم ساروا الى الحيرة وعلموا ان قبيصة كما يعلمون (قال ذلك وتنفذ) فانه تولاهم هد ما قضى الله من امر مولانا رحمه الله (فنفذ حماد وعبدالله وما صامتان بسمعان حديث الحيرة) فقال سلمان لم يكذب خالد الحيرة حتى خرج اليه اياس وسائر اشرف حكومتهم كأنهم كانوا على موعد فاستقبلهم كما يستقبل الغالب المغلوب ودعاهم الى الاسلام او الجزية او الحرب فاحترطوا اللقاء على الصراية ودفع الجزية مبلغت حربتهم تسعين الف درهم وقد اخبرني بعض رجال خالد ممن يقرأون له القرآن انها اول حربة اخذها المسلمون من الدرس . ثم تحولوا عن الحيرة وجاروا الدرس في عدة مواضع وفاروا في اكثرها وما فاروا فيه وقعة النبي وقعة الوحمة وقعة اللبس^(١) كل ذلك قبل وصولي

أما اما فلما ودعناكم سافرت الى الحيرة فوصلتها والباس يتخذون بها ثم من صلحها واهلها بين راص بالصلح وناقم على اياس وخصوصاً الدرس منهم قد سمعهم يتذمرون وكانوا بذلك كسرى ابرو . وكان يتولى عرش الاكاسرة اذ ذلك وشكلا ما كان من ضعف اس قبضة ديمية جاك فقام رجل من الدرس من الارادة لخاربة العرب فوصل اشدوا في الحيرة وكان خالد قد برحوا في الحيرة اخرى فتمس

(١) اس الاثير

الفتح ثم سمع الاراذبه يقدوهم فخرج اليو وعسكر عبد الغربين وخرجت انا معهم وعلم ان خائناً ورجالة قادمون بالسهن ، العرات وارسل ابنة ليقطع الماء عنهم فوقعت السفن على اليوس فتركها خالد وخرج رجاله على الحبل حتى قتل ابن الاراذبه وتقدم خالد نحو الحبرة

ون غريب الاتفاق انا سنا نحن في العربيين وصل ساعي الريد من المدائن بجعل كتاباً الي المرزبان فلم يكذب بفتح وقرأ ما به الا وقد تعبر لونه واستولى عليه الجزع مخاف كل من رآه ولم اعلم ما دعاه الي ذلك الا في اليوم التالي اد شاع في المعسكر ان كسرى ابرو قد مات فوقع الاضطراب في الجند وانغل الاراذبه واضطرب ثم جاءه الخبر بمقتل ابيه وتقدم العرب نحوه فنهق نحو الحبرة وعسكر العرب عبد الغربين أما انا فلما رأيت اخلال احوال العرس قلت في نفسي لقد آن الوقت الذي فيه استطيع القيام بالمهمة التي جئت لاجلها فخرجت من الحبرة في ليلة ليلاء حتى اتيت معسكر العرب فالتفت الامان وان اري الامير حالاً فاحذر في اليو فطلبت الحولة يو فحاولوا فقلت اعلم انما الامير ان حال العرس ان اخلال لموت ملكهم واسمهم فيا بهم فقد صالحك ان قبضة وهو عني صلت مع سائر العرب واما انفسهم في شاعل عن الحرب اذ تراك داخلتهم واطمنع على حسابا كست عالماً بها مصر في كذباً وانني علي فقلت في نفسي من فرصة اعنيها لخط ما لمولاي ، انك من الاموال والمقار وكنت قد تفقدت المزارع فرأيت الجميع في انتظار عود الامير عند الله فطلبت حاطرم وقلت لم اتي انا اتيت الحبرة لتفقد حاتم واصيبتهم بالعصابة في استعمال الارض فلما آسست من خالد ارتبداً الى خدمتي التفتت منه حامية تلك المزارع فوعظني . وقبل هتومهم على الحبرة احذت علماً مثل الذي اصنعه علي هذا التفت وصره هناك وبعد قليل هم المسلمون على المدينة فتقوما فطلت في مية خالد حينما ذهب

وبصرني ان اخبركم ان سقوط الحبرة كاد يقضي على دولة العرس كبا لان الدهاقين وهم بنة العرس كبا . فخرهم ما يكون من حرب الحبرة لما دخلوا بسنوخها وقت عرائهم لحاؤون رهاقهم وسار اليو فاحذر العرس منهم وكسب الي اهل فارس . نسيم الي الاسلام ويهدم بالفتل في دم بك يمشيهم ، سيرة في قادمين زرافات ووجداً وخصوصاً عرب العراق وهم انصارى وبعد قليل سار خالد وانا

معه ففتح الانار ثم عين النهر وغربها وقد لحظت منه انه لم يجزأ على المسير الى المدائن
قبل الاستعداد الكافي

وفيما هو في ذلك ورد عليه كتاب من الخليفة الي بكر يأمُر بالذهاب الى الشام
لنصر جند العرب على ففتحها فخرجت انا معه حتى انينا بصري وفي محاصرة واما لا اعلم
متر كما فخطرت لي ان اسأل راهبا الشيخ فاخبرني بما كانا هما فترجعت حتى تم الفتح
كما قدمت

وكان عبدالله وحامد صامتين بصفيان لما يقصه عليهما سلمان فلما انتهى الى هناك
قال حماد وما طلع شئ من العراق فان خالد لم يفتح منها شيئا كثيرا والمدائن لا
تزال على ما هي والفرس لا يزالون حاكمين

قال رويدك يا سيدي ان العرب لا يلبثون ان يعيدوا الكرة واضلها تكون
التناضية وخالد لم يأت نصري الا مددا لجند الشام فطب معا ان الله سينم انتقامه
من اولئك الطغام
فقال عبدالله وما العمل الآن

قال سلمان اري يا سيدي ان افني انا مع خالد كما كنت فامير معه الى اليرموك فقد
سمعت ان العرب معسكرون هناك يتوقعون قتالا شديدا ويسير خالد لخدمتهم
فقال حماد وابن اليرموك

قال في علي مائة مائة غرا على مائة بقال انه مائة اليرموك يصب في نهر الاردن
وقد عسكر العرب عند مائه
فتهد حماد وفي مائة تيم بكنية

وادرك سلمان انه يفكر بهد وحلة فقال ولا بد من ان يكون جلة مع جند الروم
اذا جاء اليرموك فلا اعدم وسيلة استطلعها فمر بهد فابعت اليكم بحرها
فقال حماد الا ترى ان اسير جميعا مع خالد

قال سلمان لا اري حاجة لي ذلك عند ان اوعد اليك حلة بالاقامة ههنا
بعث اليكم ففصلت ان يلب ذلك وامرهم يعيدون عنها فتتوت الفرصة واما اذا سرت انا
وسقيما انما هما فكون قد اسسكنا الحبل من الطرفين

اما عبدالله فطل صامتا وحماد بطر الى نادرك انه غير راضي عن كلام حماد

فقال ما رأيك يا والداه
فقال عبدالله الرأي رأيك يا سيدي ولكنني ارى حملة واهل منزلولا بهم شيء
من امرنا اقمنا في بصرى ام رحلنا عنها بذلك على ذلك سكونهم عما وقد اصاب بصرى
ما اصابها من الحرب ولولا ذلك لبعثنا يفتقدونا
فقال حماد ولا نظهم علمنا بما آلت اليه حائنا وهب انهم علمنا فكيف يستطيعون
الموصول اليها والمدينة محاطة بالعدو . فلما رأى حماداً بدائع عن جيلة قال لعل لم
عذراً وسكت

ثم خرج سلمان الى معسكر خالد ليرى ما تمّ عليه الامر فرأى العرب قد ولوا
رومانوس بصرى^(١) واخذوا يستعدون للمسير فاعاد فاخبر عبدالله وحماداً بذلك
وهم يوداعها فقال له حماد لا ارى ان اوصيك ما غاذ جبر حملة اليها على عمل واطلاعا
على ما تمّ لاهل بيتنا وامنهم

قال سمعاً وطاعة وسياً نيك المحرر سريعاً ثم ودعها وخرج
ولم يكن سلمان اقل من حماد تلقاً على هند وقد شارك عبدالله في ارتياؤه من
حالة معول على استطلاع كبر الامر وما د ذلك الى سبع وفي اليوم التالي اقلع خالد
وشرحبيل وحداها الى اليرموك

الفصل الثامن والسبعون

❀ وقعة اليرموك ❀

ولما تكامل جمع المسلمين في اليرموك بلغ عددهم ٢٦ الفاً منهم تسعة آلاف بقيادة
خالد فيهم الف من الصحابة من حملتهم مئة من تهديا وقعة بدر الكبرى^(٢) ومن قوادهم
ابو عبيدة بن الجراح وعمر بن العاص وشرحبيل وابوسهمان بن حرب وكانت الحرب
بينهم وبين الروم قبل قدوم خالد تساعداً أي كل ابر على اصحابه لا يجمعهم احد^(٣)
وكان ابركر قد ولي خالد القيادة العامة على حشد الشام كافة والناس يحسبون

(١) الواقدي (٢) اس الاثير (٣) الواقدي

أما عبيدة بن الجراح أول منة تلك القهادة فوقع بين المسلمين اختلاف من هذا القديل فلما جاءهم خالد حاول جمع كلمتهم وقد أدرك ما في نفوس بعضهم فوقف في الجماهير وقد اجتمع الأمراء حوله وقال « إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا الدنيا اخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقابلوا قوماً على نظام وتعبية وانتم متساندون فان ذلك لا يجمل ولا ينبغي وان من ورائكم لو يعلم ذلكم حال يسكم وبين هذا فاعلموا فيما يؤثر على بالدي ترون انه رأي من واليكم ومحنة » قالوا « هات ما الرأي » قال ان الامر لم ينعش الا وهو يرى اما سنباسر ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيتهم وانهج للمذركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم والله الله فقد اورد كل رجل منكم سلب لا يتنقص منه ان دان من الامراء ولا يريكم عليه ان دابوا له . ان ما مير بعضكم لا ينصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا وان هؤلاء قد هبطوا وان هذا يوم له ما بعده ان ردديهم الى خندقهم اليوم لم يرل بردهم وان هرونا لم نفلح بعدها فهلما فلتعاور الامارة فليكن بعضا اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى تقاموا كلكم ودعوني انا امر اليوم » وامرهم وهم يرون انها كخرجانهم وان الامرا لا يطول ^(١)

فصحب سلمان الحماره خالد وحزمه واكنه اخذ منه وصوله بجارل المحروح الى معسكر الروم ليرى جملة او يسع خبراً عن هذا قصد الى روة على صفة ذلك الدهر ونظر الى معسكر الروم فراه قد ملأ القصاص وفيه الرايات والصلبان فامعن نظره فيه فرأى معسكر العسايين منفصلاً الى حاب وشاهد راة حملة ومساطاة في وسطه فحدثته نفسه ان يصير اليه واكنه حاف من بسغة المسلمين اذا رأوه فيوقعها في شرراً رأى ان يذهب اليهم بحملة الخاسرية فعزل على ان يخاطب حذفاً في ذلك وسار الى مسطاطه ورأى الامراء يتراجعون روة . فاجتمعوا لمفاوضة في الحرب فهاب الدحول مخافة ان يسبع انهاراً فصر حترارهم اجمع في خالد وحذفت بالتهر الدحول عليه فاذا له فدخل وقبل بك فقال خالاه ما حيرت ان هل اذن لي ولا في كلمة فعل فيما بعداً

قال قل

قال هل انتم من يستطلع اخبار العدو ويسرقونهم وموافعهم وعدد جندهم
قال لقد فعلنا ولكنني اري انك اجدتهم بذلك
قال اني عدد مطيع فاذا رأيت ان اسير في الامر فعلت

قال سر وافعل

فقبل بك وخرج مترباً نزي العساكين وسار حتى اخبط الغصاية فالتقى بأناس
عربهم في اللقاء فظنوا كان معهم من دي قبل فاستطاعهم خبر هذا فعلم انهم مع
والدنيا في دمشق ثم استخرج عن قوات الروم فعلم انهم في كثرة وفيهم عسرون
راية بعضها لاهل الدولة وبعضها للجنات من الارمن^(١) والسريان والمصريين وان
حملة الجند ٢٤٠ ألفاً ما عدا العرب الماصرة من العساسة وغيرهم^(٢) فوقع في نفسه
من ذلك رهبة وخاف انصار الروم وتردد في الرجوع الى حاله ولكنه قال في نفسه
ادهب الآن الى المسلمين فاذا رأيت منهم نصيحاً ردت الى العمامة

فلما سدل الليل ثيابه عاد الى معسكر المسلمين واطلع حائلاً على حال الروم
فقال خالد لا يهزم امر كثيرتهم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
فقال سلمان ليست القوة في الكثرة يا مولاي وانكم في الاتحاد فقد علمت ان
هؤلاء الجند مقسومون فيما بينهم لا فتلاف اغراضهم ومشاربهم ثم ودعه وخرج
وهو يكر في طريقة بوصل بها حبره الى حماد

فلما اصبح الصباح سمع الكبرياء الادان في معسكر المسلمين وقد قام الناس وقعدوا
واحد بآهوا للقتال فوقف بظرا الى كفة نظامهم فرأى حالاً قد وقف في وسط
الامراء وامراء تنظم الجيوش كراديس فقسم الجند ٢٦ كردوساً وجعل قلب الجند
كراديس وامامه انا عتبة وجعل المينة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحيل
اس حصنة وجعل الموصق كراديس وعليها راس ابي سبيان وجعل على كل كردوس
رجلاً من الشهبان وفيما خالد يهي الجند على هذه الصورة سمع منهم قولاً ما اكتر
الروم واقل المسلمين فقال خالد لم يقل ما افنى الروم واكثر المسلمين انما اكثر الجيود
بالهرو ونقل بالكلان فهاهنا لوددت ان اشتهر (يعني مرسى) بركة من توحيه

وانهم اضعفوا في العدد وكان الاشقر قد حيي في مسيرهم ثم امر ان يبدأ القتال فحاذر
 سلمان ان تصيبه نيلة فتبني وهو خائف ان تعود العائنة على المسلمين فلقنهم وكثرة
 الروم فوقف في منعطف يؤدي الى جند الغساسنة فرأى على مقربة منه رجلاً من
 جند المسلمين وقوفاً فتألمهم فرأى بينهم انا سفبان وكان قد عرفه في بعض اسماهم مع
 سيد عبد الله الى انجاز مذكر ما كان من حديثه في بيت المقدس وكان قد رآه
 يوم اعتناقه الاسلام عند فتح مكة فاستغرب وقوفه هناك والحرب مستبعدة فدا
 منه وابو سفيان لا يراه سمعة بمحاطب رفاقه فيقول « يا مشبعة قريش ومهاجري الفتح
 (وم الدين هاجروا يوم فتح مكة واسلموا) لا بهما من هذا الحرب الا الانجاز الى
 الغالب فاذا علت الروم كما معهم واذا انصر المسلمون فاننا معهم » فعجب سلمان
 لكلامه وعلم انه اذا اسلم خوفاً على حياته لا رغبة في الاسلام ولكنه ظل في ريب من
 هذا الامر فاصاح بسهمه لما يقوله بعد ذلك فراه اذا تفهقت العرب وتقدم الروم
 قال « ايه يا بني الاصر » (يعني الروم) واذا مالحت الروم وتقدمت العرب
 قال « وبيج يا بني الاصر » ولم يكذب ابو سفيان يتم كلامه حتى صاح باعلى صوته
 آه عطرول نادى ببله اصابت احدي عيني فتعأها فقال سلمان في نفسه لقد نال هذا
 الرجل جزاءه وحاف سلمان لبقاء هناك ثلثا يصاب نبلة فصار الى ناحية اخرى والحرب
 قد حيي وطيبها فرأى ربيداً قادماً من حفة البلقاء فعرف صاحبه وكان قد عرفه
 في الحجاز فعلم انه ربيد فادم من المدينة بحر جديد فمرس سلمان في صاحب البريد
 فراه مسرعاً وعلي وجهه امارات الغنة فاده فوقف فقال سلمان هل تريد الامير
 حالاً قال نعم هو قال في الممثلة ولحي اوصلك الى مسطاطه فصارا معاً وعينا
 صاحب البريد على الجند وعركاه فلما رأى جند العرب طافراً لم يمالك ان قال
 « ألم يكن همدورا الذي تمر ان يسير بخاريدا سمر قبل مو » فقال سلمان وهل
 مات ابو تار

قال نعم يا بني يا بني يا بني

فقال سمر يا بني يا بني

قال سمر يا بني يا بني يا بني

وفيما هما في الحديث واعينها شائعة نحو المعركة رأيا جدد الروم قد تفهروا وعبر
العرب خدقهم واستولوا على اسلامهم وفرّ الروم ومن نصرهم من العرب المتصرة وغيرهم
وتمّ النصر للمسلمين ولم يرض الا القليل حتى عاد المسلمون بالغنائم من الالاث والخلي
والاسلحة وغيرها . فبشي سلمان وصاحبه كحوسطاط خالد فرأياه عاتدا وحوله الامراء
على غير نظام لما دار بينهم من احاديث النصر

محالما وقع نظر خالد على صاحب البريد عرفه فبعث اليه بفرقة الى ان مضطط
فاذن بدخوله فدخل وانبا خالداً بموت ابي بكر وخلافة عمر وعزلو وولاية ابي عبيدة
فاوصاه خالد بكتمان الخبر عن كل انسان ^(١)

أما سلمان فإنه عاد إلى مشاغله بامرهم وبقى عابداً لهم جلة وخاف أن يكون قد قتل ثم علم ببقائه حياً قال مكثوا للذهاب إلى حماد بطلعه على ما علمه عن هند وأكثرت أراد استطلاع بنية المسلمين ووجهة سيرهم فلبى دهاو فقصى أياها يبحث عن ذلك فعلم أنهم عازمون على دمشق فخاف على هند لعلها فيها وودّ لو يعلم ابن والدها وما هو عازم عليه بعد شحوص العرب إلى الشام فعول على استطلاع ذلك من جلة وودّ علم بأمرهم فخرج من معسكر العرب يبحث عن جهة سيرهم فقبل له أنه سار في حملة ممهري الروم إلى حمص وامبراطور هرقل فيها وفصد حمص

فصل الثامن والربعون

✽ خبر مفاجی ✽

[illegible]

(۱) اس الائیئر واس جلدوں

ميلاً الى المسير اليها واستطلاع ما في نفسها من قبله ولكنه لم يكن يعرف مقرها فلبث
 ينتظر رجوع سلمان بالخبر اليقين
 وكان يتلأه بالخروج للصيد ويحور وهو لا يهدأ له بال وادرك عبد الله فيه ذلك
 وهو يجهل و ينتظر ان يدر حماد من هند ويلتبس العدو ل عنها من تلقاء نفسه وقد
 فاته قول القائل

واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب في حديد بارد
 فكان يصاحبه الى الصيد ويكثر من محادثته في شؤون مختلفة الا مسألة هند
 فانه لم يكن يتفقها قط . ولم تمض ايام حتى سمعا ما نهزام الروم في اليرموك فصارا
 يتوقعان سرعة رجوع سلمان

ففي ذات يوم نهض حماد صباحاً واخذ يتأهب للخروج الى الصيد وفيما هو يفتش
 بين اثنيه وسلاحه عثر على الدرع التي السنته اباها هند يوم الساق ولم يكده ينظر
 اليها حتى اخذ خيل قلبه لما مر في ذاكرته من حوادث الحب فعظم عليه احببته في بصرى
 لا يعلم مفراً حتى مع ما طهر له من جماء والدها وفنور والد (عبد الله) وما
 قام من الحروب مما راد الامر اشكلاً . فوقف رهبة ينظر الى الدرع ويقاها بين
 يديه وهو غارق في بحار المالحا جس حتى غلب عليه اليأس وكادت الدموع تسائر من
 عينيه وكان عبد الله غافلاً او مغافلاً عن ذلك وقد خرج لقضاء حاجة له وترك
 حماداً في الغرفة وحده

فلم يكده حماد يحلو بنفسه حتى سمع صهيل حماد غير حماد وغير حماد عبد الله
 فانبه بغنة واطل من الباب فاذا راكب ترحل ودنا من الباب وهو في ريب من
 امر اهله فامعن حماد نظره في وجهه فاعرفه فلافاه الرجل بالباب وقال هل هما منزل
 الامير عبد الله العراقي

قال حماد نعم هوها

قال ولبت به الامير حماد

قال هو انما هو ترويه

قال انه امض الياس في حاجة اليك يهبط عليك هم سير بحضراء

فلما سمع حماد ذكر الدبر خفق قلبه وانفجر فسرهم القادوم فقال للرسول اني سائر

الى هناك على عجل فودعه وركب وعاد حالاً
فاصرع حماد في لباسه قبل ان يأتي عبدالله ولكنه لم يكذب يخرج حتى لقى عبدالله
فاستغرب ركوبة قبله فاعتذر بأنه بود الخروج لزيارة الدبر وحك فاذعن له وهو في
ريب من الامر

فهمز حماد حواده ولم ينف إلا امام باب الدبر فرأى هناك فرساً عرفانه من
افراس اهل صرح الغدير فاستغفر ودخل الدبر بطاول يعتقو ويحرق بعينيه فرأى
امراً عرفها لاول وهلة انها من خادمت همد وهي التي حملت اليه الرسالة الاولى
قبل دعاها الى بصرى

محبته وهمت بتقبل بك فرد السلام ولسان حاله يقول قولني ما حركك فمشت
امامة الى غرفة هناك فمعها فلما وصلا العرفة مدت يدها الى انيابها واستخرجت مديلاً
دفعته اليه وهي تقول ان سيدي هداً تسلم عليك وقد ارسلت اليك هذا المديل -
فعلب المديل بين يديه فاداه هو كتابه كتب بالدم بالاحرف السطية وفي قولها
« لم يكذب فرح نجاننا من ذلك الثعلب حتى عاد الى مصاحبة والدي وعاد الى مطالبه
الاول طابت تعلم ان الموت اهون مراساً عليّ من ذلك فادركني قل فطأت الفرصة
فاني مقبلة في دمشق ولعل حامل كتابي ان يدك ابصاحاً » ولم يعرف من
قراءة تلك الكلمات حتى ارزعت فراصة والتمت الى المرأة بعد مطالعها الحار فقالت ان
مولاتي هداً مقبلة في دمشق في منزل قرب كنيسة مريم وقد بعثني بهذا الكتاب
واوصني بان اسلم اليك يداً بيد في هذا الدبر فبعثت الرجل حتى اتى بك من
بصرى وهذا هو الكتاب

قال نعم قد قرأته ولكني لم افهم حقيقة المراد هل تعلم الآن في دمشق

قالت كلاً بل هو مع سيدي حلة في حلة الروم بمصر

قال وما الذي جمعه بالامير حلة وقد كنت اعلم انها متخاصمان

قالت نعم انها كانا متخاصمين ولكنها تصافيا بعد انكسار جمودهما في واقعة البرهوك

فقال حماد وكذلك يتصافى المشوآن اذا احببوا بعضهما بعضاً وماذا جرى بعد ذلك

قالت وكما مقبيلين في دمشق مع سيدي همد ووالدتها وسائر الحاشية كما ذكرت

لك فلم ندر الا وكتاب وارد من سيدي الامير حلة الى سيدي الامير همد يهديها

بقرب قدومو مع تعلية الى الشام لعقد اقترانو على هند في انشاء مهادة العرب فلم نمالك
سبدي عند ثلاثة الكتاب عن ان تحبر هداً به فاسرت سبدي هند التي واقعة الحال
وبعشتي في هذه المهمة وواوصتني ان التي اليك الامر كما وقع لندسر في انفاذاها فانها
تفضل الموت على الاقتران به

ولما سمع حماد ذلك الحديث ثارت الحمية في رأسه وانقدت بهران الغيرة
في قلبه وودّ ان لو ان له اخوة ليطير الى دمشق حالاً ولكنه لس برهة يفكر ثم قال
للرأة وابن ثعلبة الآن

قالت هو مع سبدي جملة بخمار حص ولكنني اضله اقلع فاصداً دمشق
فازداد قلقاً واخذ يحظر في العروة ذهناً وانما ثم قل لها ارجعي الى سيدتك
واخبريها اني قادم اليها على عمل وربما وصلت دمشق فملك
قالت وماذا تؤكد لها اني لقبتك وقصصت عليك الخبر ألا تذكر لها علامة
تبين لها ذلك

فمكر قليلاً ثم قال قولي لها ان صاحب الدرد والحاتم قادم اليك وهذا يكتفي
فودعته وركبت وركب الخادم ورحما
اما هو فوقف يفكر في حاله مع عبد الله وتردد بين ان يعود الى بصرى فيخبر
بالحية الخبر او ان يسير نواً الى دمشق فليست به في حيرة حتى خاف ان تنوته الفرصة
فذهب الى غرفة الراهب الشيخ واذا هو متكئ في محرابه فرحب به وسأله عن امره فقال
لقد جئتكم بوصية ارجو ان تلتفها الى الامير عبد الله

قال وما ذلك

قال اذا اتيتك قل له اني سرت الى دمشق لامر هام وساعود اليه واذا استنطأ في
فليدركني هناك

قال سافعل ذلك ان شاء الله

وودعه حماد وخرج على حماده فاصداً دمشق



الفصل الثمانون

* هند في دمشق *

فلترك حمادًا سائلاً فرسه إلى دمشق ولنذكر ما تمّ له بعد سفرها من صرح الغدر فقد تركها بعد وداع حماد حائرة متقصّة النفس وقد خافت ذهاب آمالها ادراج الرياح لما آسفته من جفاء والدها على إثر ما سمعت عن نسب حماد . فلم يكده يتوارى حماد عن عيها حتى أحسّت بالخلع قلبها فانروت في غرونها وعادت إلى البكاء وكان والدها في شاعل بأمر أهل النضر بالاستعداد للسفر في صباح الغد فجاءت سعدى إلى غرفة هند وقد أدركت حالها وتوقعت بكاءها فاخذت تطيب قلبها وتوسّيها بالوعود وهند لا ترداد إلا بكاءً فقالت سعدى لا يميدنا البكاء يا ولدها وإنما نحن في موقف حرج لا بد لنا فيه من الحكمة فاصبري وتصري عسى أن تكون العاقبة خيرًا

فتمهدت هند وصاحت بها « دعيني يا أماء لنذكر ما قام بيننا من انطاع الشقاء وما سمعته من الوعود فقد كان عذركم في رفضي هلكم نسبة ثم قلتموه على غموض نسو ما نالكم وقد علمتم بغريف أصلي تترددون إليّ ذلك نسو حظي وللخفاء الذي كتبه الله عليّ » قالت ذلك وأوعلت في البكاء فمكثت سعدى لبكائها ولكنها فخلدت وطببت خاطرها وقالت لها اسكني لئلا يسمع والدك صوت البكاء فيزيد الحرق انساعًا أما أنا فاني ضامة لك ما تريد من فان حمادًا لك وانت له فلا تجزعي واخذت تحف عنها حتى سكر روعها ومسحت آمانها ولبست صامته وقد ذلت عيها وتعمرتا وتكسرت اهداياها واخذت تراجع في ذاكرتها ما مرّ بها من الاهوال بسبب الحب وكيف كانت قبل ذلك الساق خالية الذهب سادجة لا تعرف مناعب الهوى وكانت تُنعزّي بها ترجوه من لقيها الحبيب ولكنها تذكرت أنه خرج من الصرح من نص النسو مسكر القلب فمكنت اليه ذلك الكتاب إلى دير بجهراء فلبس صر

وفي اليوم التالي سافر أهل الصرح جميعًا إلى المناء فاقابل هناك الأحلة فانة سار إلى الامبراطور هرقل في حصن فامرّه بأعداد الرجال من غسان وغيرهم وكان

تعلية قد ضعف امره واجلته جللة لما قام بينها من الضغائن بعد وفاة الحارث ولكنه
اصبح بعد ما عرفة عن نسب حماد ميالاً الى مصافاة تعلية لعلته يتزوج هذا فيجي ملكة
من الخروج الى المناذرة . فلما احتاج الى الرجال من غسان اضطر الى استئجار
تعلية فكتب اليه فجاؤا برجاله وانضم الى رجال جللة وهما على ظاهر التورث علم جللة
بقدوم المسلمين الى اليرموك وبصرى مخاف على اهلها في اللئلاء فاستقدمهم الى دمشق
واسكنهم يتكلم مع نساء بعض اصدياقه من رجال الروم هناك بقرب كنيسة مريم . واشتغل
هو في حرب اليرموك وغيرها فلما قضى على جنده بالانهزام في وقعة اليرموك شعر بزيادة
الميل الى مصافاة ابن عمه تعلية وذلك لطبيعي في جسم العمران بل هو جار في سائر انواع
المحبون فاذا رأيت ديوكا في مملكه لخاصه وتصارف وقد عمر عليك مصافاتها اجتمعها
في قصص واسع الطعام والماء عنها فلا تلت ان تراها قد اصطحبت وتضافت . كذلك
الناس فانهم لا يزالون في خصام وتناحر حتى يصيبهم سوء وبنة على جميعاً في مصيبة واحدة
فتراهم قد تألفت قلوبهم وانصسطوا عن العداوة . فلما اصيب الغساسنة في اليرموك
اجتمع حلة وتعلية للطرفي احوال الجند وكان تعلية قد ذاق مرارة الحماة وصغرت
نسبه فلما رأى من ابن عمه مؤانسة ونقراً راده رقة واعتباساً فاجتمع قلوبهما . ولم تطل
المصافاة قبل ان جرهما الى حديث الاقتران فبعثتا وتساكبا لما مر من الجماء بينهما
واعتر كل منهما نذراً اغلها لعمري وكان تعلية اكثرهما سروراً بذلك لانه اصبح بعد
موت والده ضعفاً مرذولاً . وقد علم انه اذا تزوج هذا كان الحارث الوحيد لرئاسة
غسان جميعاً وكان قد درس اخلاق عمه حلة وعرف اميال قلبه وتظاهرها يطبق على
بيان حتى حب اليه مصاهرته ووعده بهد

اما جللة فابما حلة على مصاهرة تعلية استفتاء الحكومة في عي غسان وانفاذها من
المناذرة ولولا ذلك لما رأى في تعلية ما يقرنه منه او يوصل وحماداً
ولما تحقق تعلية رضاء عمه سألة عن يوم الاقتران فقال حلة اري ان يكون
بعد انقضاء الحروب بينا وبين المسلمين

فقال تعلية ولكن تلك المدة لا حد لها يعرف وما ادرانا متى تنصبي وكف برتاح
والاهل اليه متيرون في دلتق ونحن لا نستقر على حال فاذا رأى عي ان يستعمل
الا انه ان كان ذلك اقرب الى جمع التمثل

فاجابة جبلة الى مرامو وكانا بجوار حص بعد وقعة البرموك فكشب جبلة الى سعدى بيها نتيجة ما دار بينه وبين ثعلبة وبين الوجه الذي حمله على احبائه دون حماد فقال « وفي زواج همد ثعلبة بعتقي الملك في الفساسة ونحضة من خطر الوقوع بين ايدي الماذرة » واوصاها بالذهاب لعقد الاقتران قريباً ولم تتم سعدى قراءة ذلك الخبر حتى تناثرت الدموع من عينيها لما فكتناه على همد اذا علمت بما ساء والدعا واعادت تلاوة الكتاب بتمن فادركت سبب تغير زوجها على حماد ودمت على ما فرط منها من اطلاقه على حقيقة نسب حماد وشعرت انها في السبب في كل هذه المتاعب فرأت انها مطالبة شرعاً بانفاذ اسمها من مخالبة ثعلبة فصلاً عما في نفسها من الاحتمالة فاخذت تنكر في طريقة تصل بها الى ذلك والوقت ضيق لا يأذن بالصبر والتؤدة وكانت همد تلاحظ فيها ارتباكاً وتسألها عن السبب فتجاهل وما رالت سعدى في مثل ذلك يومين كاملين حتى حامت فطأت الفرصة فرأت احبباً ان تستقدم حماداً على عجل وهمد لا تعلم ماذا حضر شاورته في الامر . فكتبت الى حماد الكتاب الذي تقدم ذكره بغير من الدم استغنائاً له على القدوم وعلقت الكتاب مع خادمة بعزها حماد كما تقدم

الفصل الحادي والثمانون

❁ حصار دمشق ❁

ولم ينظر حماد عن نصري حتى ادرك صعوبة المسير الى الشام وحده وهو لم بطرق تلك البلاد اقليلاً . واغرب الطرق بين هابيس المدينتين ثم في حوران والحما وكلا الصنعيين وعمر فخطر وهناك طرق اخرى تخالف بعداً ووعورة فلم يبرح من اصطحاب الدليل فاحذر دليلاً من سكر نصري فصار سهلاً يقطع الجبال والوديان والسهول والغابات لا ينال الا قليلاً وسكنه في دمشق . وقد كتبني همد في الطريق فبعد بضعة ايام اسرى ساجاً عن غوطا عصبية وثقل استنفاها وجرى في حصى من ورائه فطهرت له ظهوراً صحياً فاداه في نسبين واسعة الاطراف فيها بلاد العرب

الشمش والرمال واللوز والبرنقان والخوخ والمفرجل والكرم ومائر اصاف الفاكهة
تجري منها الانهار وتناغي فوقها الاطيار وظهيرة من وراء تلك الغوطة اسيرة تطارت
وراء الغبار . موقف يظن الى ما حوله وقد تعب جماده فسأل دليلاً عن تلك الابنية
وهذه الغيطان فقال الملك يا مولاي في غوطة دمشق المشهورة بغياضها وسائنها ومياها
وما تلك الابنية التي تتدلى لك من وراء الغوطة الا دمشق النخلاء مقر والي الروم
فقال حماد وما هذا الغبار الذي يكاد يحجب المدينة عما

قال لا ادري ما هو ولعله غبار جسد الروم وقد خرجت الدباب او هو غبار
جنود المسلمين فقد بلغني بالامس من بعض القادمين من جهات اليرموك ان المسلمين
لما غلبت الروم هناك عزموا على دمشق ولا بعد انهم جاؤوها وحاصروها

فاستعاض حماد بالله وخاف ان يكون كلام الدليل صواباً فيمتنع عليه الدخول
الى المدينة وربما وقع بين ايدي المسلمين اسيراً ولا يدري ما يجيبه منهم فنذكر سلطان
لاحتياجه اليه في تلك الحال ودم لمحبته سروراً ولم يتردد من يستشير ويعتمد عليه
غير ذلك الدليل وكان الدليل شاكاً من عرب الفساسة المقيمين في اصرى في العشرين
من عمره يتكلم العربية واليونانية فقال له حماد اعرّف دمشق وهل دخلتها قبل الآن
قال اعرفها جيداً وقد اقامت فيها اباماً وكثيراً ما حثتها مع والدتي لوفاء

الذورا والصلاة في كبسة ماري يوحنا المعبدان

فقال حماد وهل تعرف كبسة مريم

قال نعم اعرفها فانها في شارع مستقيم طويل يقطع المدينة من طرفها الشرقي الى
الطرف الغربي اي من الباب الشرقي الذي يستقلاً عند اول وصولها المدينة الى
الباب المقابل له في الطرف الآخر منها في الغرب وقال له باب الجاية

فاستبشر حماد باصطحاب هذا الدليل ليسمعين به في الوصول الى منزل همد
فاخذ يتلطف في معاملته ويسترضيه بالاكرام والهدايا وهو برود رغبة في خدمته
وبعد ان وقفا رهقة ركب حماد وسار الدليل في ركابه وسارا في الغوطة والاشجار
أظلمها ولم يسيرا قليلاً حتى عانت المدينة عنها ثم اشرفوا على مرتفع اطلالاً منه على
سهل امام دمشق فرأيا بالبحام والاعلام والحوول والرجال قد ملأت ذلك المصاء

فامعن - حماد نظره فاذا هي اعلام المسلمين وخيامهم وتحقق ذلك ما شاهدك ورائها
من مرايض الخيال ومساكن النساء فابتن بعرقلة مساعيه وعلم انه لن يستطيع الدخول
الى دمشق ونحاف المسير الى معسكر العرب اثلاً بمنغشوه ليخطفوا بوضراً موقف حائراً
لا بدري ماذا يعمل وفيما هو بهم ماستهم الدليل عن سبيل يدخل به المدينة سمع
قرعة لجمل ووقع حوافر خيول على الحصى في جدول جف مأوً بين الاشجار فاجس
خوفه وحول عان جواده نحو الصوت ونهباً للدفاع وار الدليل فاندبر بين الاشجار
بنشوف من خلاها وحماد بصيح بسمعه فلم يكذب هبة حتى سمع صوتاً يناديه باسمه
فحق قلبه لاستنساو ذلك الصوت فاجاه الحال « من انت » ثم ادرك انه صوت
الامير عبدالله ولكنه استعد ان يراه هناك وعنه يومئذ في بصرى ثم ما لث ان رآه
قادماً على جواده ووراءه فارسان عربيان فتحقق انه هو بعينه واحس بانفراج الازمة
واستغرب مجيئه فاذا بعبدالله قد ترجل وصم حماداً وقلة

فقال حماد ما الذي جاء بك يا أمه

قل جئت لحراستك يا مولاي وقد علمت من الراهب الشيخ انك شخصت
الى الشام فاسرعت اليك لعلني بما قد تلقاه من العراقيين في سبيل الدخول اليها وقد
صادف ظلي محلة وشكرت الله لجيئي لاني رأيت العرب محدقين بالمدينة وقد حاصروها
حصاراً شديداً ولولا سائى معرفتي بمخالدة الوليد لما تمكنت من خدعتك وقد مضى
عليّ يومان اطوف هذه القلاع ومعى هذان الفارسان متوقع وصولك لسيرتك الى خالد
وقد اسأ ووعده بمهاطما

فسكرا حماد واتى على عبرته وسأه عن حال المدينة فقال انها في حصار شديد
لا بدحها ولا يخرج منها احد . وانت ما الذي جررك الى هذه المحاطرة . فنص عليو
حكايته واطلعه على كتاب هند والحجل طاهر على وجهه

فحدثه بضعه ان يسير عرته عن دمه واكنه علم انه لن يصادف منه اصفاء فصلا
على قد بلغة او من انتمى في اهل بيته في حاله لا بأس علمت . اولدي فان تعلقه
ان يستمع دحرج المدينة وان يستعيد

فقال وما الذي اصابك منهم دحرج

قال لم يهتني احد واكنني عرفت ان الغساسنة كلهم وفيهم جبلة وثعلبة مقبوضون في حصص خوفاً من هجمات المسلمين وكان هرقل قد ائذهم مع جند الروم لنجدة دمشق فلم يستطيعوا دخولها فعادوا على الاعقاب^(١)

قال وما العمل الآن

قال هلم بنا الى معسكر خالد فانهم يتوقعون عودتنا لنقيم بينهم ويكون في ذمتهم الا اذا احببت الرجوع الى بصرى فان ذلك آمن لنا طابق

فصمت حماد ولسان حاله يقول « كيف اعود عن دمشق وهدد محصورة فيها » فاستدبره عبدالله قائلاً لا بل ارى ان نقيم مع المسلمين لعلنا نستطيع امرًا نفذه به ههنا من الخطر : فارقت اسرة حماد لما آتته من مجارة عبدالله فقال : نعم الراي رأيك فاهلم بنا . وهما بالمعبر نحو دمشق فقال الدليل هل ترى حاجة الي بعد الآن يا سيدي قال حما نعم ارى ان تبني معنا لعلنا نحتاج اليك في شيء ونحن في مأمن ولك علينا خبر مكاننا

فاذعنوا . ارمعهم وفيما هم سائرون بين العياض خاطب حماد عبدالله « يا امان اهل العراق لئلا يفهم الفارسان . هل ترى جند العرب كثير من حول دمشق » قال هم عديدون وقد تنرقط فرقاً احداها فرقة خالد عند الباب الشرقي في الشرق والاخرى فرقة ابي عبيدة عند باب الحامية في الغرب والثالثة فرقة عمرو بن العاص عند باب الراديس وفرقة شرحبيل بن حسنة عند باب آخر وفوق اخرى عند الابواب الاخرى وهناك فرقة يزدجدا جبار عهده يمال له ضرار من الازور تطوف حول الاسوار^(٢) ويحال الي ان الروم لا يستطيعون التمر على الحصار وما راي سائرس حتى اشرفوا على معسكر العرب عند الباب الشرقي رأوا المحبول والجمال ترعى في السانين ومعا السدان والحدم ورأى النساء في اخيبتن يقعدن بامر الجهاد ومن متعاقبات البواشيق الانطال الى ساحة القتال فلما وصل المعسكر انما مضط خاند فدخله عبدالله وحماد بلا معارض وكان خالد جالماً في صدر المكان رحب به ودعاهما للحواس فظفر حماد الى من في المعطاط فرأى روماس صاحب بصرى اي جاب حله وقد نعيم بالهامة وزمل

بالرداء العربي وغادر القنسوة والطلسان وكان خالد قد استقدمه معه لينتقم بينه وبين الروم فتهيب حماد من مجلس خالد ومن اصدق يه من الامراء وفيهم جماعة كثيرة لم يعرفهم ولكنه رأى الشجاعة والاقدام تلوحان على وجوههم فتقدم عدالله الى خالد فعرفه بجناد فائتي خالد عليه وقال ان غلامك سيزداد زينة بالاسلام . فسكت عدالله ولم يجب

اما حماد فلم يكن همه الا هند وحالها في دمشق ولولم بطيشة عدالله بهند ثعلبة عنها لما صر على البقاء هناك ولكنه ما فتى يفكر بحيلة يدخل بها المدينة ليرى هنداً ويطمنها ويسعى في انقاذها

وبعد قليل استأذن عدالله خالداً بالخروج الى خيمة اعدت له فخرج وخرج حماد معه حتى اتيا الخيمة فقال حماد وما الرأي الآن اني ارى هنداً في خطر ونحن في مأمن فلا بد من حيلة ندخل بها المدينة

قال تمهل يا سيدي لعلنا نتوفى الى ذلك في الغد . وباتت تلك الليلة واقفا في الصباح على اصوات الأذان والصلاة فقال عدالله لا ارانا نستطيع شيئاً طالما كما في هذا المعسكر لم يها الى معسكر ابي عتبة عند باب الحامية لعلنا نؤاس خيراً فمشيا كانها من الحند وتركنا الدليل في الخيمة حتى اتيا معسكر ابي عتبة ودعاها الى خيمته وكان عدالله قد عرفه وسمع بسهولة اخلاقه وطول اباته ورغبته عن منك الدماء فبعد السلام والترحاب قال عدالله الا يرى مولاي غنارة هؤلاء الروم نامر الصلح عسى انهم يسلمون ويكنونكم مؤمنة الحرب

قال ابو عتبة اني ارجب الناس في ذلك ولكن خالداً يطرب لمفارقة السبوف ومصادمة الببال

فقال عدالله وما ضر لو انذت اليهم احداً يستطلع رأيهم واسترئيس هذه الجود والمصرف مهم

فقال لا ارى ناساً في ذلك الا اناهم يحسبوننا خائمين

قال ارسلوا من يستطلع رأيهم ان ذك يكونوا راغبين في الصلح وهم يحسبونكم لا ترضون به فاذا صار اليهم احد فليكن كلامه من عند الله قال ومن لنا من يعرف اسامهم

قال لا اظننا بعدم وسيلة - وكان حماد قد تعلم شيئاً من اليونانية في أثناء اقامته في بصرى وهم عبدالله بان يخبر بارسال حماد ولكنه جرع عليه فلبث صامياً فابتدره حماد قائلاً اني اقدم بنس هذه المهمة

فقال ابو عينة ولكك تسير اليهم سرّاً ماذا فزت بهبتك انحضبت الدماء على يدك والّا فاننا باقون على حالنا من الحرب - واعلم ان قائده جند الروم هناك رجل اسمه توما هو صهر الامبراطور هرقل^(١) فسر اليه واستطلع رأيه من قبلك فاذا رأيت فيه ميلاً الى التسليم ابني

وسرّ حماد بهتوه وخرج من وسطاط ابي عينة وعبدالله معه فناداهما ابو عينة فعاداهما فقال حماد اذا سرت انت في والدك عندنا رهناً فان النسي امانة بالسوء . فرضيا وخرج حماد وحده وفي عبدالله هناك وقد بدم لما جرّه على حماد وعلى نفسه من الخطر وضاق صدره وخاف العاقبة

اما حماد فانه حمل علماً ايضاً وركب جياداً واسرع نحو المدينة فلم يتبين الاسوار حتى رأى جماهير الناس عليها وفيهم القسيس يصلونهم والحمد باعلامهم ورأى بعضهم يهيم ان يريوه بالنال فاشار اليهم عن بعد انه انما جاء مسالماً فكتموا عن اذن حتى اذا دنا من الباب هالة عظيمة فقد كان عارة عن ثلاثة ابواب صماً واحداً المتوسط منها كبير ذو قنطرة واسعة والى جانيبه ما ان صعبان وفي اعلى الباب صورة النسر الروماني تحته كتابة باليونانية وفوق الممر جدار السور وفيه مرامي النبال والناس يتزاحمون فوقها تنالاً انفسهم بالطمع المحراء والرفاء ما يدل على الذخ والترف وفوق رؤوسهم الخود من النولاذ فناداهم باسمهم انه يريد الوصول الى رؤسهم

الفصل الثاني والثمانون

❖ داخلية دمشق وحال الورم فيها ❖

مزل ابو حمادة فعولاً في احد المايوس المخبين مدخل بحداده ولاهو ساهلتي
بو الرجال فتهب لذلك الموقف ولكنه تعاد وطاب من ربه المطريق تواتر له في قومه

بالقرب من كنيسة ماري بوعنا فترجل ومشي في شارع عريض قد استطل على
استقامة واحدة يندى بالباب الاوسط ولا يكاد يرى آخر اراضه مرصه بالحجارة
الصوانية الضخمة والى كل من جاسو رصف عريض اوله عند احد البابين الصغيرين
وعلى الرصيف عند ثخينة من الرخام متراسة على طول الطريق . ولم يكن حماد دخل
الغام قبل ذلك الحين فرأى فيها من العظمة ودلائل المدينة مالم ير مثله في بصرى

فما زال ساعراً وحوله الحور واهل المدينة يطلون من الدورات والبنائز ينظرون
اليه ويتحدثون باسم وهو يلفت يده ويسرق لعله يرى هداً بينهم وكلما وقع نظره على
انثى ظمها هي وكان يفتقر الصوف بلخطو لعله يرى قبة او كنيسة على امل ان تكون
كنيسة مريم حيث نقيم ههنا حتى مرّ بكنيسة علم من بعض حديث النوم انها الكنيسة
المشار اليها فحنى قلبه وشاعت عيابه وهو يلمت الى ما حولها من البنائز فرأى جموعاً
وكثيرة لم ير ههنا بينهم فسار والاس حوله يتخادشون لسانهم وقد علت الصوفاة يغلغلها
فرقعة حوافر الخيل على البلاط

وبعد ان ساروا رهة اعطفت الى شارع آخر فآخر حتى وصلوا الى باب كبير
يحف به الخدم والاعوان فوقفوا عندك فعلم انه باب النصر فانفذوا بعض الحرس يمشي
الطريق بقدم الرسول فاسأوه فامر بادخاله عليهم فجددوا من سلاحه فدخل
وركناء ترعشان لمول ما يتوقعه ملافاة ذلك الرجل فدخلوا الى صحن الدار فاعلمه
ما رآه في ارضها من النفوس الجميلة وفيها صور وقائع وهبات آدميين وحيوانات
بالهيفساء واللوان بدبعة متراسة قطعاً صغيرة بصاعة فائقة . وفي وسط الدار مركبة
من الرخام يتدفق الماء منها . ثم دخلوا الى قاعة مبروشة بالرياش النمين ما يهبر
النظر وعلى حدرانها وسقفها صور بعض القديسين وصورة الامبراطور هرقل بتاجه
وصولجائه وصور اخرى دينية ورأى على البنائز الاستار من الدباج والحبر المرر كس
الذهب والارض مكسوة بالسجاد والطايس عليها رسوم الاسود واليهود والحيول في
أندع ما يكون . فدعوه الى الخاوس هناك رينا يخرج اليه الطريق فجلس يتوقع قدومه
وهو يهتف على مده ويغنى حتى سمع وقع اقدام كتبه ورأى اهل المنصر في دوح
وتزاحم فعلم ان الرجل قادم ثم رآه وقد دخل القاعة فاداه طيول . ثم رآه
كثير اهلها وطلسانه يكاد يجر وردة بيضاء وهو في دوح قصير الى راحة

كثير الايمان مزرکش بالذهب . وعلى رأسه قلنسوة اشبه بالناج مرصعة بالمحجارة الكريمة
فحالما رآه حماد وقف اجلالاً له وتقدم نحوه منادياً فظننوما اليه بعينين حادتين يكاد
النور يسبق منها فهاب حماد منظره ولكنه نظاهر بالتجلد وحباً بنجوة الملوك وصبر حتى
جلس وامر له بالجلوس فجلس حماد وهو يفكر في ما يبدأ به من الحديث

فاندبره البطريق قائلاً الملك من هؤلاء العرب المقتربين

قال كلا يا مولاي اني غريب الديار وقد وقعت بين ايديهم بالانفاق

قال لقد لاج لي ذلك من شكل لباسك فاني اراك حسن الدن وهؤلاء على ما

اعلم حناة عراة ولم يسمهم اليها الا قرب آجالهم . هل امت على دينهم الجديبد

قال كلا يا مولاي اني على دين الصراية قال ذلك واستخرج من بين اثنايو صليبا

من الذهب معلقاً بسلسلة في عنقه

قال الملك من الغمامة

فتعجب حماد في الجواب عفاة ان يكون في تصريحه بالصدق ما يوغر صدر البطريق

عليه فقال اني غريب الديار ولكنني منيع في بصري الآف

فقال ومن اي البلاد انت

وتذكر حماد الصلح الذي ارم بين الفرس والروم على اثار الحروب الاخيرة فقال

اني من اهل العراق ولما تم صلح بين ملكنا وجلالة الابرار طور هرقل قدمت الى البلقاء

فقال تواموا الذي جاء بك اليها . قال ذلك ودلائل الاعتمام ظاهرة على وجهه

بافطاب حاحيو وتفرسو

فهاب حماد مسطرح ولكنه تذكر انه ملك اس ملك فعادت اليه امانة الملوك فقال

اذا اذن مولاي بجولة اعطيت له بها رأيي وكان في مجلس البطريق بعض الحاشية

فاشار اليهم فمرحلي وحاس الطريق الى حاسو . فقال حماد اقسم لمولاي بجرمة الصليب

واليهودية اني انا حئت اليها وهي له والدولة الروم خيراً

قال لقد صدقت قل ساقى مسك

قال اني رايت معسكرهم في العرب وخربت صبرهم في ساحة القتال واستمهلهم

في سهل الجهاد فحمت ان بطول الحصار فيصيب هذه المدة جهلاً وقد عرفت فائد

جهد العرب الاكثر وهو رجل دبال او الصارغاب في حصف الدماء فملت في عيني لعلي اذا

توسطت في امر الصلح بينكما ان اعمل خيراً فاحملت في دخول المدينة لا عرض هذا الامر عليك

فلم يكدهما يتم حديثه حتى بدت ظواهر الغضب على وجه نوما وقد اقطب حاجبيه وتلبلل في مقعده ونظر الى حماد بعينين رافيتين يكاد الشرر يتطاير منها وقال وحرمة الصليب وصاحب هذه الكنيسة (واشار الى كنيسة مار يوحنا بالقرب من القصر) ورأس الامبراطور هرقل لولم تسبق الى اقناعي بنصرايتك لارتبت بحقيقة مقاصدك كيف تدعونا الى صلح قوم ساقهم الفقر البيا وغرم الجهل في منازلنا انما هم بمجسونا مثل حامية بصرى التي خالت ملكها وسلمت اليهم ألم تكن لم عنة برجعهم عن اسوار هذه المدينة خاسرين منذ بضعة ايام^(١) (ثم نهض وهو يقول) اني ما علمهم كيف حرب الروم منذ اليوم . قال ذلك ويد على قبضة حمامه وهو يحطّ في الغرفة نفسها فكبر ذلك الانهار على حماد وجرّت دماء الملك في عروقه وحادثته فضا ان يغلف له بالقتال واكثر علم اذا فعل ذلك انه مائت لا بحالة «صبر نفعة» وكظم بهظة وقال ان الصلح لا يحط من قدر رجال الحرب ولا اخال سيدي بجمي اجهل بلش الروم وشكناهم ولكني ظننت في الصلح حجماً لدماء فاذا كنتم ترون الحرب فانتم اصحاب الامر

وكان نوما لا يزال واقفاً فلما سمع مفالة حماد جلس الى مقعد آخر ويد لا تزال على قبضة حمامه وقال لولا سلمي بحمن بينك لما اقمتم عاركم وكنت مع ذلك تنقضي في حاشيتي حتى ترى عادية الفرور وزي حال هؤلاء . ربه في هربما فاستماد حماد بالله من هذا السجن وكان في حماد اية من مراحه فونش من هد ودم على عوثر رطل صامتا فسمع الضحك في يمينه وجاهل ولما حضرا وراه ان يحفظ بالرسول ويسبقه في حاشيته رتما ما في امر آخر . قال ذلك وخرج مسرعاً غضباً وسيفه بفرقع على البلاط وراه وطيله . يكاد يطار من كدمه في حماد وحين في القاعة مرة ثم اشار الى حاشيته في حماد فاحسبه كيف لا مهم لا يؤذن له بالخروج من الامر كما سببه في رايه وفيه . وفي مساء ذلك اليوم جمع ادب في حاشيته وفي رايه في حاشيته في

يوحنا في صباح الغد وهو صباح الأحد وأنه دعا رجال حكومته وإعيان المدينة للاجتماع فيها فأقبل حماد ان يتنسم خيراً عن همد هناك

الفصل الثالث والثمانون

* كنيسة ماري يوحنا *

ولم يكذب يفتق في صباح اليوم التالي حتى سمع دق الدوابس في سائر كنائس المدينة ورأى اهل النصارى ينهبون للذهاب الى الكنيسة فسأل خفيه عن ذهابه فقال تعال معنا ان الصلاة لا تمنع عن طالبها ولم تمض برهة حتى خرج نوما باحسن ما يكون من اللباس فمشى وحوله الاعيان والوجهاء ورجال الدولة بافخر الالبسة من الحرير المزركش على اجمل الالوان وازدهاها

وكانت الكنيسة على مقربة من القصر فلم يكن الا انقلبل حتى وصلوها فادا هي محاطة بممر عظيم الارتفاع يوقع في المس رهبة فدخلوا منه الى باب الكنيسة المجوي وهو كبير مرتفع الاعناب فدخلوا منه الى صحن الكنيسة وهو مسطح مبلط بالرخام الملون طوله نحو ٢٠٠ خطوة وعرضه ١٥٠^(١) وتخطيطه بالاروقة وفيها الاعمدة الهائلة من الرخام الابيض النقي او الغرايت الملون باحسن ما يكون من الدقة تعلوها تيجان جميلة الصنعة على النمط الروماني اكثرها محلى بالذهب حتى اذا اشرف على الهيكل حيث تقام الصلاة بهن ما على جدرانها من الصور الدبعية بالالوان الطبيعية وفيها الذهب فضلاً عن النقوش المحيطة من العبداء الملورية بالالوان الدبعية وكان حماد كلما التفت ثملت له عظمة الروم في اباان مجدهم فبنت لانه لم يشاهد مثل هذه الكنيسة قط

فادرك خفيه ذلك منه فقال له ما مالي اراك مذهلاً . قال اني لم ار مثل هذه الكنيسة في الشرق الا باسطاكية من هو الذي بناها من الملوك قال انه سائر اقدم من النصارى عوفاً فقد كن هيكلًا وتنبأ من ايام الاراميين الذين ورد ذكرهم في توراة عن اسم الله من آلهتهم اسمهم رامون وكان له مديح جميل امر آخار ملك يهودا بن يفي مسئة في هيكل سليمان ماورثاهم

فلما استولت دولتنا الرومانية على الشام قبل النصرانية اتخذوه معبداً لاوثانهم حتى اذا تصرت قباصرتنا جملة اخدم ارحادبوس قبصر كيسة على اسم يوحنا المهدنان وكان قد تحرب بعضه فرمى ونقش فيه صور القديسين ومن جملة ما نقشوه آيات من الكتاب المقدس نرى كثيراً منها على الجدران والمنفخ واطك قرات ما هو منقوش على الباب عند دخولنا فقد كتبت عليه هذه العبارة (باليونانية) « ملكوتك ايها المسيح ملكوت ابدي وسلطانك يند مدى الابد » ^(١)

ولم يكذبني الرجل من حكايتي حتى انتظم عقد الصلاة وقام الاساقفة بياخهم وصلبانهم وعلت اصوات الترنيل والتزيم والجدران تردد الصدى حتى صمت الآذان وتخشع الناس ونظر حماد الى الجماهير مراراً وفوقاً ولط وجوهم المشرق وفي مقدمتهم توما في كرسي من العاج المرصع بالمسحساء فوقه قبة من العاج بدعنة الشمس . ولما انقضت الصلاة حول توما وجهة نحو الجماهير بين صليب من الذهب مرصع بالبحارة الكريمة وامامة طاولة عالية فوقها كتاب معشى بالذهب عرف حماد انه الانجيل الشريف والتمت توما وقد تغبر مطر وهو يهني كلاماً بقوة فاصحى الناس ففتح الانجيل ووضع يده اليسرى عليه وفي يده اليمنى الصليب بشيريه وهو يتكلم وقال ما معناه « اعلو يا معشر النصرانية ان عبي ومولاي جلالة الامراطور هرفل قد كتب اليها يستعينا على دفع هؤلاء الاعراب عن اسوار دمشق واخراجهم من بلاد الشام فقد الفنا العنف فيها واما بالحقبة الا قوم جياح عراة ساقهم ففريلادهم وجذب ارضهم الى التماس العز من عباس الشام وخبراتها وقد اطعمهم فيها ما لا قوة من ضعف حامية بصرى وفائدها روماس اللعين الذي فاده الانتقام الى التعليم . اما انتم فاكم رجال اشداء فاثمون على انولاء فلا يهكم من امر هؤلاء شي . ولا احرصكم الا على الاتحاد ونبذ الاختلافات المذهبية فقد اسالني الله حاساً وعسر بما صدر اليه الناس قلساً وما هؤلاء العرب بشيء يذكر اذ نحن نهدأ والآن فان العاقبة وخيبة دهنا رأينم الخروج اليهم خرجنا وادقمهم مرة الى رب »

(١) اربعة مصنفين لاصحابي . (اربع نسخ) من نسخة واحدة . نسخة واحدة

ثم سئلوا جميعاً وعرفت . . .

فقال رجل واقف بالقرب منه « مالنا وللخروج اليهم ونحن آمنون في اسطارنا
فلنهمهم حتى تأتى الإقامة فيقبل على اعقابهم »
فتأمل حماد في جال ذلك الجمع وفيهم خيرة رجال الدولة فرأى التردد والجهول
مستولين عليهم وكان يحسب كلام توما يثير فيهم حمية فادا هولم يسمع منهم الا نسيمة ولم
ير الا تقاعداً وقد فقدوا الحمية بما انفسوا فيو من الترف والبدخ والرخاء وسدت
اخلاقهم وساءت آدابهم مقابل ذلك بما آتت في جسد العرب من الافة وعزة النفس
والنشاط ووجهة الكلمة فتمثلت له عاقبة الامر جلياً وابتقن انها عاتكة على الروم اذا
هم لم يصالحوا العرب فلبث ينتظروا ما يأتي به القدر

وحادوا من الكهنة وهم يفتقدون بما سمعوه وحماد مشغول بهند وقد حاول
الخروج منفرداً الى كهنة مرم فلم يستطع لما ضيق عليه توما من الحجر فان
خفيه لم يكن يارفة لحظة وخاف اذا خرج خلسة ان يرتكب ذنباً يستوجب عليه القتل
فصبر نفسه رغبة عتية وفي صباح الغد خرج توما ومعه رجالة الا الحبر فانه بقي في القصر
وحماد معه وانس في خروجهم حركة غير اعتيادية فاستطلع الحبر فقال الحبر ان
البطريق سار الى الاسوار برمي العرب منها بالبال ولم يأت الماء حتى عاد الروم
وفيهم توما وبه على عيو وقد جاءه الاطباء فسأل حماد عن حاله فقبل انه اصيب
ببله من بال العرب فتأت عية^(١) وانه تفاءم من ذلك كثيراً فقال حماد في نفسه
فعمى ان يرجع الى صلاه ويرغب في الصالح

الفصل الرابع والثمانون

* باب الفرج *

ومضت بضعة ايام في الحرب بحال بن الحامين والروم ينتظرون نجدة من
هرقل والنجدة مع عيهم حتى اذا كان ذات صباح وحماد جالس في بعض غرف القصر
بهماً اسيفاً اذا جاءه رسول يستدعيه الى توما فصار اليه وقلبه يحنى محافة ان يكون
في الدعوى ما يدعو الى الخطر

فلما دخل عليه رآه جالساً على سرير، فمطب الوجه فاجلسه توما الى جانبه وهو يبش له فأتى حماد منه رقة لم يعدها فهو . ثم اشار توما فخرج كل من في الغرفة ولم يبق غيرها فقال توما دعني اتص عليك خيراً اقلني وهو حلم رآته امرأتى في منامها البارحة وهي حامل اما الحلم فانها رأت الدماء تندفق عن اسوار دمشق والاسواق مزدحمة بالفنلى فأفافت من نومها مرعوبة فنصت الى الحلم وهي ترعد وتقدمت اليه ان افضل يصاح هؤلاء العرب حجباً للدماء ولقد ساء في اقتراحها لاني راغب في الحرب الي آخر نعمة من الحياة ولكنها ابنة الامبراطور صاحب الامر والهي فضلاً عن منزلتها عندي وهي حامل . واذا ذكرت لك اخبرتي عن ابني عمدة قائد ورقة باب الحامية انه مبال الى السلم قبل نظن اذا خاربناه به يفعل ويحفظ عهد

فاستبشر حماد بذلك وامر جرت كرته وقال لا ريب اني محفظو العهد اذا عاهد

قال اتذهب اليه ونستطلع رأيه في ذلك سرّاً وتعود بالحجر

قال اعمل ذلك ما موراً طائعاً فأذن عن يرشدني الى الطريق ويخرجني من

الباب ولما اسير الى الرجل واخاطبه

قال قد اذنا لك بذلك ولكنني اشترط في امر الصلح شرطاً لا بد منه

قال وما من

قال اريد من هؤلاء العرب اذا دخلوا المدينة ان يقطعوا الارواح ويحبسوا الدماء

وان يتركوا لنا كرائمهم ولا يفصلوا علينا منها كريمة

فقال حماد لا اظهم يحلموسا في ذلك وعلى كل فاني اسير اليهم بالامر واعود

اليك بالجواب . وكان حماد يكلم توما وهو معجب بتسارعه الى هذا الحد على ان خيال هند

ما زال نصب عيني فخطر له ان يغتنم تلك الفرصة للاستعانة به على تسهيل زواجه بها

وقال في نفسه لا اخالي ارى رجلاً اقدر على مساعدتي من صهر الامبراطور وهو الآن

في حاجة اليه فاذا امتعنته ووعدني بقوله ما فعل على جملة وغيره

فتوسم توما في حماد توقفاً وتردداً فقال له ما مالك تتردد عليك خمت الذهب

الى العرب . قال كلاً يا مولاي فاني اقيم المخاطر في سبيل افاد او امرك ولكن لي امراً

يهمني ليس هنا محل الكلام عليه على اي لا ارى لك من استعانتك به وهو من اسهل الامور

عليك فاجعل مساعدتي في انمامو مكامة لي اذا مرت في عقد الصلح على ما تريدون

فقال توما وماذا عسى ان يكون طلبك
قال اخاف اذا ذكرته ان تصحك مني وتطغني مشتغلاً بعيت الغلمان ولكن الامر
يا مولاي قد اقلعتني ولا ارى لنا من استعانتك فيو فاعذرني
قال قل ما هو

قال أنعرفون الأمير جيلة الغماني
قال اليس هو ملك العساسنة حلونا
قال لي يا مولاي هو هو نعيمو
قال وما خبره

قال حماد اقول بالاختصار اني خطبت ابنته هذا ثم ان ابن عم لها يقال له ثعلبة
يعنى في الحصول عليها وقد قبل والدها ولكن الفتاة لا تريد ونظراً لما اعهدت من
نفوذكم على جيلة ارجوا ان توعظوا اليه ان يعطيني الفتاة

وبسم توما وقد تذكر ايان شاباً ورمي عفيفه فعذر حماداً وطيب خاطرهُ وقال
انه امر سهل لك عالياً فاصطفت بس حماد ومال الى مشاهة همد وتشيرها
بذلك الوعد وهم باستئذان توما ان يركب كريمة مريم اثناء ذهابه اذا هو قد ابتدره
قائلاً « فاقدم اليك ان تصرع في مهنتك فسيبرحاً الى محارب ابي عبيد فاذا
عقد الصالح وهدأت الاحوال رغبنا اليك هداً رصي والدها او لم يرض »

فشكر له حماد شكراً جريلاً وقد عول في باطن سره على ان يجنح في المرور
حلسة ثم سمع توما ببادي اثنين من حاشيته فانها فقال لها اعدا مركبة من مركبات
القصر احملها هذا الشاب العراقي الى باب الخاية حالاً وافتح له الباب وليركب
جواده هناك واما انما فاطراً رجوعه فتى عاد ارحمها به الى هنا
فتالا سمعاً وطاعة وحرجها جميعاً وحماد آسف لمسيره في المركبة اذ لا يتأتى له
الوقوف عند الكيسة

ولقد برهة احدثت المركبة تركبها فحزرت مسرعة وقد تعاطت قرقعتها على بلاط
الطوارع وحموض الشارع المستقيم حتى اذا دنت من كيسة مريم خفي قلب حماد
وشاعت عينا ررات تترى سوايد والسراب اليه يرى هذا احداً من اهاليها
فحباب رجائه ويبدو رت المركبة انكر تدوير نصيب بعده حادة ان ينادي احمد وتحول

فرقة المركبة دون سماع النداء ولكنه ما لبث ان وصل الى باب الجابية فوقفت المركبة وكان جواده هناك فركبه وخرج والعلم معه حتى اتى معسكر ابي عبيدة فلم يستغنى احد من العرب فسارنوا الى خيمة عبدالله وهي في الطريق فراه جالسا حزينا لا يشغال بالو فمالا وقع نظره عليه نهض مسرعا وضمه الى صدره وسأله عن سبب ثيابه فقص عليه الخبر فحمد الله على سلامته ثم سأله حماد هل سمع شيئا عن سلمان فقال لا لم اسمع عنه شيئا ولكنني ارسلت دليلا الى بصرى لعله يراه هناك فيخبر بمقرنا ولم يعد الدليل بعد . فانفغل بال حماد ولنا مره يتحادثان في امر حيلة وجند فقال عبد الله اظننا اذا تم الصلح بين العرب والروم لا نعدم وسيلة في العثور على سلمان فهيا بنا الآن الى ابي عبيدة ثم نهضا معا حتى اتيا فسطاطة فرحب بها فقص حماد ما اشتراطه توما من امر الكنائس والاموال فقال ابو عبيدة لقد قلنا بذلك فليرسل من يعتمدهم من رجاله لعقد الشروط

فودعهم حماد وداد الى دمشق وقد مضى معظم النهار فوصل انصرفوا الى اهلته في هرج ورج وصحة فقال عن السبب فقيل له ان امرأة الطريق توبا تتهنئ والبطريق عندها ينتظر ساعة الولادة^(١) فقال انه يطل اليو من بينه رجوعي فأسأوه فخرج اليو وامارات الغنة ظاهرة على وجهه فقال ما خبرك فقال ان الامير ابا عبيدة قبل بالصلح فارسل من تعتمد لعقد . فامرئته من كبار القصر ان يخرجوا في صباح الغد ومعهم حماد وقال لم ابي مشغول في ما نقاسيو اسة الامبراطور من الام الحاض وعسى ان يأتي الهرج قريبا

الفصل الخامس والثمانون

❀ صلح التمام ❀

وكان الليل قد مضى فانه ما مضى الى اللذة وصبغة رقة
الرسمية وحملوا الاعلاء

الناس رغبة في ذلك الصلح املآ بقرب الوصول الى هد
فلما وصلوا الباب كان بعض العرب هناك وعليهم ابو هريرة قد قاموا يتظرون
وقد الروم فأتاهم حماد بما اتوا من اجله وفعلوا الابواب وخرج الوفد باعلامهم
وصلابهم وقد تكسرت اشعة الشمس عن خوذهم وقلانسهم وارتدت الخفافه الالوان
وصلابهم المرصعة بالبحارة الكريمة مما بهر الابصار ومشى ابو هريرة ورجاله في مقدمتهم
حتى اتوا معسكراني عبيدة فلما اشرعوا على المضارب اوعز اليهم ابو هريرة ان يتزعوا
الصابان^(١) فزعموها حتى وصلوا الى فسطاط ابي عبيدة فاستقبلهم بالحفاوة وعقد مجلساً
امضوا فيه الشروط وفي جملتها ان يتركوا الكنائس على ما هي . وكان في دمشق عدة
كنائس منها كيسة مريم وكيسة بوحا المعدان المتقدم ذكرهما وكيسة سوق الليل
وكيسة المنار^(٢) فكنت لم ابو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم بسم فيو اسمه ولا
اثنس شهوداً فتناولوا الكتاب ودعوا لصحبهم ايدخلوا المدينة معاً فقام ابو عبيدة ومعه
٢٥ من اعيان الصحابة وسار الجميع وفيهم عد الله وحماد . فلما وصلوا باب المدينة
وقف ابو عبيدة وقد تذكر امراً هاماً وذلك انه لم يأتوه ببيتو رضي بالصلح وقبل بدخول
المدينة مع عدوه ولم يحامن ريب من عذر او نحوه ولكنه لما وصل الابواب ورأى
الاسوار وموقعا المجدد الاسلحة تخوف وتحذر فقال لمن معه من الروم انا نطلب منكم
الرهائن قبل الدخول فيبقى منكم اناس رهناً عندما حتى اذا حدث عذر ذهبنا ضحية
الغدر . فتركوا بعضاً منهم وسار الناقون حتى دخلوا الابواب واقبلوا على الشارع
المستقيم وقد تزامن فيو الناس وفي مقدمتهم الافسة والرهائن فلما دخل ابو عبيدة
استقبلوه بالاشيد واعندروا عن تخلف البطريق توما لانفعالوا باهل بيتو ثم مشوا
بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الاحيل والمباخر وفيها البخور يصاعد دخاناً
حتى حجب عنهم الخار الشوارع فساروا يهنمون شكراً لله على حجب الدماء والاعلام
تخفي فوق رؤوسهم وبيها اعلام المسلمين والروم معاً
وكان الدسوة ويطلون من النوافذ وعن الاسطحة والشرفات رجالاً ونساءً وابولاداً
وكثيراً مرحون بسلامة انفسهم واموالهم لان اهل البلد اكثر الناس نفوراً من الحرب لانتها
عائفة عليهم بالحساسة في اي حال

ولما حماد فكان مغتغلاً عن تلك الضوضاء بعزل غنمة قرب اللقاه وعاد الله الى جانبه وكان الموكب سائراً بهبطاً ففقد صبر حماد وهو يتشوف من خلال الاعلام والصلبان الى كنيسته مريم عن بعد وقد عول على ترك الموكب ودخول الكنيسه خلصة ليرى هذا ويبصرها بانتراج الازمة

الفصل السادس والثمانون

﴿ خصام ابي عبيدة وخالد ﴾

وفيما هو في ذلك تراءى له في آخر الغارح جموع قادمون نحو الموكب فراراً من اناس يطاردونهم فامعن نظره فرأى مع المطاردين اعلاماً اسلامية ورجالاً من المسلمين في ايديهم السيوف والرماح وقد اسعوا في الناس قتلاً ونهباً ورأى في مقدمة الاعلام عالماً اسود عرف انه راية العقاب لولد بن الوليد ثم ما لبث ان رأى العارفين يتقدمون حتى التقط بالموكب عند كنيسته مريم ثم دنا خالده فلما رآه ابو عبيدة عجب لاهله وناداه قائلاً « كف يا ابا سلمان قد فتح الله على يدي المدينة صلحاً وكفى الله المؤمنين القتال »

فصاح ابو خالده « وما الصلح لا اصلح الله بالهم وابن لم الصلح وقد فتحتها بالسيف وخضبت سيوف المسلمين من دماءهم واخذت الاولاد عبيداً وهبت الاموال » فقال ابو عبيدة « اعلم ايها الاميراني ما دخلتها الا بالصلح » فقال خالده « انك لم ترل مغنلاً وانا ما دخلتها الا بالسيف عصوة وما بني لم حماية فكيف صالحهم »

فقال ابو عبيدة « انني الله ايها الاميراني قد صاحكت القوم وهذا الصهم فهو وكنت لم الكتاب »

فاعترضه خالد واربع الصباح وبها وقد شخص الناس اليها واصحابه لا يزالون يفلتون ويهمون وكانوا قد دخلوا المدينة من الباب الشرقي وهم لا يصلحون الى عبيدة ولكنهم اغتسلوا الدرسه واشتغالوا بالانصر والولادة

فبغت حماد وقد استظن به وظار الى عبدالله كأنه يستطلع رأيه فقال عبدالله
اظن الملك جلة بعد في ظاههم لما سمع بقرب الحصار فصاروا اليو
فتماظم اليأس على حماد ومكر في الامر بسراً ملاح لة ان هذا لا يخرج على هذه
الصورة ما لم تترك لة خبراً او اشارة وخصوصاً بعد ان كتبت اليو تستجبل قدومه اليها
فقال للنسيس الا ترشدا الى المنزل الذي كان يقيم به اهل جلة

الفصل السابع والثمانون

﴿ الاستطلاع ﴾

قال النسيس سمعاً وطاعة وخرج بهما من بعض ابواب الكيسة الى زقاق ضيق
لكنه مرصف بحجارة عظيمة شأن ارفه دملق على اختلاف عرصها وانظر على من
الرفاق الى منزل لا يظهر من مايو وسوره انه يلقى بسكنى الملوك على انهم ما لسط ان
دخلوا داره حتى تمت لهم مرأه من الالان والرخمة ولكنهم لم يسمعو غير حرير
الماء في مركة تدل فوقها اعصان الصفاف وداحت رائحة الارهار لما احطوا
جباب المكان من اغراس ارض حين مراف حماد ومو يتوقع ان يرى احداً او يسمع
صوتاً ثم نوا من غير ان يسمعون فمشى الى باب ربي عبد الدار صمعة وصعد في سلم
وبعد عبدالله فاشبه في ريق متني ورواس من فم فتوحة تطل على غرة مقفلة
الابواب فداول في فم ماع ماثير رأى شبح مروعاً في عص حياها عليها لباس
الساء ناداهما فذهبت وصوتها يرتفع سمعهم في هذا المكان احد من الرجال
فاداً كم تريدون الهب فاستمعوا في الساء

فاحلج قلب حماد سمع ذلك بصوت وتسميمه سمعاً يعرف فقال لا تخافي
يا خالة فاحسن من الالان وريب انت سرراً من سأل عن اهل ملك غسان
فلما سمعت المرأة صوت حماد دنت ورافقة وتبرست به عرفت بها خادمة هند
التي حملت اليو الكتاب في دير مجبره يوماً في لها ما عرفنا فاحت انطلق بيدي حماد

فقد كدت التي حنفي في انتظارك

فقال انهي الباب ولا تنفاني واخبريني خبرك

فتفتحت الباب وهت بين يدي فقلتها وقالت والبقعة لا تزال ظاهرة على وجهها وقد امتنع لونها « لقد خرج اهل الملك من دمشق منذ اسابيع وتركوني هنا في انتظار قدومك لاطلعتك على خبرهم فطال غيابك حتى بسمت من لهابك ثم حوصرت المدينة ووقع ما وقع فيها من القتل والهبوب . ولما سمعت وقع اقدامكم الآن حسبتكم من العرب العاصخين فحنيت واخشيت في هذه الغرفة فشكر الله على ما حصل »

فقال حماد اخبريني يا خالة ابن سيدتك هند

قالت لقد خرجت من دمشق مع والديها ومائتا الخدم بامر والدها قبل الحصار

قال وابن في الآن

قالت اظنها في بيت المقدس لان سيدي الملك بعد ان انفذ اليها ان تتأهب للاقترب بالامير ثعلبة عاد فكتب الي سيدي سعدى ان تأتي سريعاً الى بيت المقدس لانها ابعد عن الخطر من دمشق والظاهر انه سيعبئ العرب على حصارها . فشق ذلك على سيدي وحادث ان تأتي انت ولا تعلم بصيرها فاستفتني ما لافص عليك المحر ومطر حماد الى عبد الله وقال ما الرأي يا امير

فقال لا حملة في الواقع يا مولاي فان مقامنا في دمشق لا يجدينا نفعاً وارى ان

نغنم اول فرصة للخروج الى بيت المقدس

فالتفت حماد الى المرأة وقال لها وانت ماذا تفعلين

قالت اذا بقيت حية سأذهب الى بيت المقدس

قال ان الحرب قد انقضت وتم الصلح ولا بأس عليك ولكني لا اظنك تستطعين

الذهاب وحدها وانت امرأة

قالت انما استطعت ذلك لاني امرأة لاني هؤلاء العرب شديدو المحافظة على

الاعراض فاذا لقيت احدهم كن لي عوناً في ايصالي الى حيث اريد

فقال اوصيك اذا انتهيت من المقدس وكنت هند لا تزال هناك ان تقر بها سي

السلام وتخبر بها اني قادم اليها على عجل ان شاء الله

قال ذلك ونحوّل مسرعاً وعبد الله معه ثم قال علينا بالاسراع الى بيت المقدس

قال عبدالله عليها قبل الذهاب ان نعمل استعنا فانها في معسكر ابي عبيدة
قال لا بد لنا من الانتظار ربنا يبدأ النال وتسكن الاحوال فودع ابا عبيدة
ونشكره على حسن وفادته ونصرف ولعله يصحبنا بمن يدفع عنا خطر الطريق
فخرجوا من المنزل فلقبا التمهيس فودعاه وخرجا الى الشارع وكان الناس قد
استأمنوا وهدأت الاحوال فصارا نورا الى قصر الحاكم فرأيا المسلمين قد تخللوه ووضعوا
أيديهم على ما فيهم واهل توما يحملون الاحمال ويخرجون مهرولين وفيهم النساء والرجال
فأسفنا لما انتهت ابو حال هؤلاء وتذكر حماد انه توما يوم لقيه في ذلك القصر
فاعبر وتأمل

وقضا بقية ذلك اليوم والناس في هرج بين مهاجرة وسنسلم ولم يستطعوا مقابلة
ابي عبيدة ليخاطبوا بشأن الذهاب

وفي اليوم التالي دخلا عليه فاذا هو قد ازداد رفعة بعز النصر وكان جالسا على
علي كاتو وهو يكتب الى الامام عمر بن الخطاب ففتحها حتى انتهى من الكتاب فدخلا عليه
فرحب بهما وشيئا وخاطب حمادا قائلاً انك قدمت هذه المدينة خدمة تستوجب
الثناء عليها لانك كنت الماسطة في حجب الدماء

فنجل حماد لذلك الاطراء وقال اني لم افعل شيئاً استوجب عليه ثناء وان ما
حصل من الصلح انما كان من رغبة الامر في السلام ثم هم حماد ان يذكر له عزمة على
الخروج الى بيت المقدس واكنة لم يرميلاً الى ذلك فصمت فادرك عبدالله ذلك فهو
فخاطب ابا عبيدة قائلاً لقد اتينا يا مولاي ثم نك بالفتح الذي تم على يدك ونعنا ذلك
بالانصراف

فقال ابو عبيدة والى ابن تصرفون

قال ان لنا في بيت المقدس املاً يريد البروع الهم

فكر ابو عبيدة ذلك ثم قال لم يأمر من الانصراف بعد فالتفت في ضيافتنا اياماً
نحسن وادانكم بعدما طابتم معنا في زمن الحرب ثم تصرفون ومعكم رجال ما حتي
تبلغوا ماosكم

فلم يغيراً عبدالله على مراجعة ابي عبيدة وامت صامناً على به العود الى الامتدنان
في فرصة اخرى ولكنة استأذنه في الخروج الى المعسكر ليستولي على الامتعة

فقال ابو عبيدة ان امتعكم وخبولكم في ما من مع امتعتنا في المعسكر ومن خارجون اليها لانا لانحب الإقامة في المنصور خوفاً من الانفاس في الترف

الفصل الثامن والثمانون

* مهمة خطيرة *

وفي الغد خرج الجميع الى المعسكر وقد اقتسموا الغنائم وزل كل في خيمته وكان عبد الله يتوقع عود الدليل من مهمته التي صار فيها الى مصرى فلم يعد فعلم انه انما رغب في الذهاب فراراً من غائلة ذلك الحصار ماثلاً وما قلقان على سلمه ان يهدم محاولاً محاطة ابي عبيدة مرة ثانية في المسير الى بيت المقدس فلم يملك فرصة لانشغاله في تعبير الجند لنفخ سحاح الفم وغيرها من اللاد. فصاروا يتنازع الفرصة فمضت ايام وما على ذلك حتى اصبحا ذات يوم وما على مثل الجبر في انتظار الخروج الى بيت المقدس يتوقعان حملة يخرجان بها فرأيا بعض الجند في هرج وساعة يخرجوا فاذا هما بهجان قد دخل المعسكر وعليه غبار الاصنام فصرخا انه رسول من الامام عمر الى ابي عبيدة ثم رأيا رجلاً ودخل مضططاً فلما بنظران ما جاء و

وبعد هدية خرج الرسول وجاء بعض القائمين في خدمة ابي عبيدة والتدخل من عند الله وحماد الذهاب الى مضطط الامير حالاً فاحسبا خيبة لئلا يكون في تلك الدعوة ما يدعو الى التأجيل

فلما دخلا رأيا ابا عبيدة في صدر المضطط والى حادو خالد بن الوليد وعمر و اس الهض وغيرهما من الامراء فحيام فامرهم بالجلوس

ثم قال لما محاط عبد الله «فدا اني اخي وأشار الى خالد» انه من اهل العراق ولم اكن اجهل ذلك، ولكنني علمت منكم من امره العراق الثعابين باحوال تلك البلاد وقد شاهدة من احلاصكم في خدمتنا ما دعانا الى تفككم امراً نستوجون عليه الاجر والتواب

فارداد عددته خوفاً من تلك الدعوة ولكمة نظام بالارتياح وقال انا في

خدمة الأمير طوع ارادته

فقال لقد جاءنا رسول مولانا أمير المؤمنين الآن يدعونا الى نصره اخواننا في العراق وان نفذ اليهم جنداً ممن خبروا تلك الارض^(١) فاريد ان تسير مع تلك النجدة وفي ذهابكما خير لكما وخدمة لجند المجاهد

فقال عبد الله ان امر مولاي الأمير مطاع واو اسدي الى حيث اراد لعلت ولكنني خرجت من العراق منذ اعوام ولا ادري ما طرأ عليها من التغيير والتبديل فاختي ان لا يكون في ذهابي فائدة لكم وزد على ذلك اننا مشغولو المال على بعض اهله في بيت المقدس

وكان خالد مصعباً لما يهدو من عبد الله وكان يقدم ذلك الجواب منه فقال له لقد سمعت من خادمك سلمان يوم صاح الخيف اليك ما احب عقار وكلمة نافذة وقد حيا لك مالك واهلك في ذلك اهل فكيف تنه عن الذهاب . فقال خالد ذلك وملامات الغضب تكدر نظري على وجهي عافى الله عاقبة اعتذاره فابندره قائلاً اني لا اعتذر عن الذهاب فان ذلك فرض علي تركي اود ان اتند الدين في بيت المقدس ايضاً

فقال ابو عيمه فليذهب اسك حماد الى بيت المقدس ويحسن نصيبه من بوصلة اليها وسرايت الى العراق وكراً واثراً لما نعطى من يدك هبة ما على اهله لانيك في ذمتنا ولا علم ان سرنا . ثم انصرفوا فترك خالد بن عبد الله بن جندب فاذعن عبد الله صاعراً لعلوا ان ترددوا في ذهاب شخص من هدمهم من شدته وتعارفه

اما حماد فشق على فراق عبد الله وكذا . . . فقال عبد الله هل يأمر مولاي مسهر راي . . . قال نعم سمعنا في الغد واه . . . الجند للذهاب

ثم خرج عبد الله وحده الى الحيرة . . . لم الا حديث فالت سورة ر . . .

حسبها من نجس العيون وما قد تكون عاقبة الرار لو قبض عليها . ولو كان حديثها مع ابي عتبة لان التخاص لما يعلمانو من سهولة اخلاقها اما خالد فانه سريخ الانتقام وفي الغد ركب حماد وودع عبدالله وتواعدا على اللقاء . في بيت المقدس واذا اضطر حماد للخروج قبل محي . عند الله فليترك له خيراً في كبسة القيامه هناك . ثم سار حماد الى ابي عتبة فودعه فقال ابو عتبة وهو يتهم سر بجرامة المولى ونرجوان نلاقك قريباً في بيت المقدس وقد نحتاج الى خدمتك هناك مثل حاجتنا اليها في دمشق . فادرك حماد انه يقدر الى قرب ذهابهم لحصارها فتجاهل ولم يجب فامرا وعيونه ببعض الرجال يسرون معه لحمايته اثناء الطريق فسار وعيها عبدالله ترعياها حتى توارى اما هو فلما ابتعد عن دمشق تذكر هذا وحالها وخيل له انها تزوجت بتعلبة فارعدت فرائضة ولكنه قال في نفسه انها لو كانت تقبل به لما اشدت في طايي الى دمشق ثم احتسنت خادمتها لاستفداهي الى بيت المقدس ثم فكر في طول مدة غيابها وخيل له انها يمست من قدومه فاضطرت لحرارة والدها والقبول بتعلبة فمضى معظم الطريق في مثل هذه الموحاس

الفصل التاسع والثمانون

خيمة المسعى

وصل حماد بيت المقدس فبرل في دير بالقرب من كبسة القيامه حتى اذا استراح قليلاً خرج للبحث عن هند في دير القيامه نفسه واخذ ينتش ويستطلع لعله يتنفس خيراً ولم يرا احداً يعرف حيلة ولا اهله ولم يكن حديث انوم الا الحرب وعواقبها وكنهم حائزون ما سمعوه عن دمشق فقال في نفسه لا ذهبن الى قيم ذلك الدبراعه يبتساها ركن يرايه صناديقه فقال انه القيم ان اهل الملك جللة نزلها ما اياماً ولكنهم غريبون لا يعرفون

فاحمل حماد وقال هل تعرفون جميعاً نسائه ورجالاً

قال لقد كان النساء معه عندما وكبر رجالهم انوا منذ اربعين واثمانين ساعة فليله ثم اقلعوا جميعاً الى حيث لا يعلم احد

فقال حماد ألم يتركك شيئاً من امتعهم هذا . قال تركت منها ما لا قيمة له من ثقل الاحمال هبة المدبر ولم يأخذني الا ما خف حمله وغلا ثمنه

فبنت حماد لذلك الخبر وقال في نفسه وهل ثعلبة معهم ثم لم يربداً من احادة السؤال فالتفت الى القيم وقال له انقدم اليك ان تعبرني سمعك ولا ينقل عليك سؤالي لان هؤلاء النعم يهني امرهم وقد كنت في دمشق اقاسي عذاب الحصار فلما تم صلحها انبت لافتش عنهم فهل عرفت اشخاصهم جيداً

فاهم القيم الحديث حماد عن حصار دمشق وكان شديد الرغبة في سماعه

فقال له وهل عانيت الحصار بنفسك ورأيت جند العرب رأي العين

قال نعم رأيتهم واختلفت بهم وسمعت احاديثهم

قال الا قصصت علي حديث الحصار

فاضطر حماد ان ينص عليه الخبر مختصراً استجلاً لارضاء لعله يصبر على استئذنه

فلما انقضى الحديث امتنع لون القيم وهو راهب طاعن في السن فقال وما ظنك بهم هل يأتون الينا

قال اظنهم يأتون ادا لم يجدد الامبراطور هرقل المهمة في التجهد والزميم فان هؤلاء العرب اشداء صبورون على القتال ولكن الله يحدي عياده . فاخبرني الآن عما تعرفه من امراهل الملك جبلة

قال اما وقد اصحت لي عن رأيك بعد ان خربت الامور واخبرك يا وادي ان سقوط دمشق اوقع الرعب في قلوب رجالها فاصبح كل منهم خائفاً لا يأمن على نفسه ولا اهلوه وكذلك جبلة وانه اسكن اهلها في هذا الدبر وفي عزوه ان يعتقد لاسنوه الوحيدة على اس عيها . . . هل يملك وينهم قرانة

قال ليست بنساء قرانة ولكن لي مع الاميرة جبلة شغلاً هاماً وال ذلك وهو ينتظر بنية الخبر ليرى ماذا يتم من امر الاندلس

فقال الراهب ولكنني لحظت من بقية نبوة نوراً شديداً من اس عيها هذا وكان والدهما قد كسفي ما صاعها

فارت الغيرة في قلب حماد واصبح كله آداً . سمع نهاية الحديث فقال وهل

قال كلاً يا ولدي لانها كانت شديدة النور وكنت اذا سالتها اجابني والدموع مل عينها تعتذر والدمع لا تلومها

ولم يتم الراهب كلامه حتى ناسر الذمع من عيني حماد فشاغل باصلاح كوفته و اخفاء لمطاطه وقال لقد هي امره انما وارى من الظلم ان نعدوما على الاقتران برجل لا تربك

قال الراهب لقد صدقت يا ولدي ولذلك فان العابة الصمدانية حلت هذا المشكل على اهون سهل

فقال حماد وكيف ذلك

قال الراهب ان ابن عمها المذمار انه قتل في بعض الميادين الاحيرة فاجعل حماد احوال البغاة وقال هل تعلمت ذلك يا مولاي لعل الذي قل هو غير الخاطب

قال بل تعلمت انه هو لاني سمعتهم يفتنون بمكائيتهم وكانهم يهتفون هكذا بذلك فقال حماد لا تذكر اسمه

قال اذكر اسمك نفسه

فايقن حماد انه لم يخطئ في ذلك بل انظر في ريب من مقرهه والدمع فقال وبماذا احمي مددك

قال الراهب في اهل سمع حماد سمع ذلك ابانما حتى شاع سقوط دمفق واضر المصطفى فوقع امره في طريق الامم رجاء حيلة وممة منض الحاشية من رجاء المصطفى في حمل اسمهم ما حلف حماد رجاءه وحرر حلق المارون من الموت ولا ادي الى ابن

فوقف حماد سامعاً في امره في ريب من مقرهه والدمع فقال وبماذا احمي مددك فقال الراهب في اهل سمع حماد سمع ذلك ابانما حتى شاع سقوط دمفق واضر المصطفى فوقع امره في طريق الامم رجاء حيلة وممة منض الحاشية من رجاء المصطفى في حمل اسمهم ما حلف حماد رجاءه وحرر حلق المارون من الموت ولا ادي الى ابن

المصل التسعون

﴿ سلمان ﴾

وكان حماد في اثناء مسيره الى الدير تائها في بجمار الهواجس بذكر قارة في هند وطورا في سلمان طأوتة في عبد الله حتى عظم عليه الامر وخيل له ان الامالك سدت دونه فضلا عما كان يمرض سبيله من احول الحرب وقد اصبح اهل الشام في هرج على اثر سقوط دمشق واخذوا في المهاجرة رافات ووجدوا الى مصر او بلاد الروم او غيرها فوصل الدير وهو لا يدري انه وصل حتى اذا كان علي مقربة من غرفتو رأى عبد باها رجلاً كان جالسا ثم معرّاً لملاقاة وحاملاً وقع نظره عليه علم انه سلمان فناداه باسمه فترامى سلمان على يد يفلها ويشكر الله على لقاء فقال حماد املاً بك ايها الصديق لقد اطلت الغياب علينا فاذهبتنا من الوحدة ما لم ينق لنا صبراً عليه فحجل سلمان لذلك الاطراء وقال لقد غمرتني ايها الملك بفضلك مدعوتني صديقاً لك وما انا الا من بعض خدمك

فلما سمع حماد لفظ الملك قللت له حالته وتذكر حكاية النذر والانتقام وما شغله عن ذلك من شواغل الغرام وما انتهت اليه حالة من البأس حتى كأن الايام قد كتبت عليه الشفاء فلا يكاد يقترب من بصره حتى يتاجده عارض بجول دون مرامه وانقصت به الحوادث الى ضياع كل آماله برار جيلة واملوا الى حيث لا يدري احد ولكن ظلمات تلك المخاوف كان يغلغلها بعض النور مما يتوقعه من مساعدة سلمان ومشورتو فراد استنساخ به ولما رآه يسكر عليه ذلك الاطراء مال اليه وصالحه وقال له لا بل انك صديق واعز من الصديق وما نحن في معرض الانساب وانما يبصل احدا الآخر بما طبع عليه من مكارم الاحدق والسمامة وضيق المودة ولقد رأيت فيك من ذلك ما بهز مثالة

فاطرق سلمان حجباً ومحمياً حتى دخل الحجرة وكل منها يتوقع ما حديث الاخر فلما استناب بها المام قال حماد اين كان مقامك كل هذه المدة وما الذي جاء بك

الى هنا حتى التقينا على هذه الصورة

قال سلمان ان لقاءنا يا سيدي لم يكن على سهل الصدفة ولكنني قطعت القنار
وطالبت البحث حتي علمت بمترك وجئت على ما ترى . وقبل سرد حديثي الطويل
ابشرك بموت ثعلبة

فتنهذ حماد وقال لقد عرفت ذلك يا سلمان ولكنه جاءنا متأخراً وقد كادت
تنقطع منا الآمال

فقال سلمان وكيف ذلك

قال لاني سمعت بمقل ثعلبة وفرار جيلة في وقت واحد في هذا اليوم

قال سلمان واي فرار

قال لقد تخففت فرار الامير جيلة من بيت المقدس باملا: الى حيث لا يعلم احد
وقص علي مختصر الحديث من يوم مجيئو الى دمشق وسقوطها وساعو بنقام هدي في
بيت المقدس وما سمعة من قيم الدبر

وكان سلمان شاحصاً ببصر مصيحاً بسمعو حتي اتى على آخر الحديث فامتقع لونه
وظهرت عليه مظاهر الاسف والتملل ولبت صامتاً كأنه اصيب بصدمة وكاد الدمع
يتناثر من عيني ثم تهمد وقال الم تعلم الى اين سافر جيلة يا سيدي

قال كلاً ولولا ذلك لمكان الاسر

قال سلمان لا تياس يا مولاي ارجو غير مارك وسيلة لا استخدمها في سهل البحث
عنه وبكفيها الآن اما نخصصا من نعمة

فقال حماد وكيف عرفت ، فقد وهدنا هذا الى مكاني

قال متعلم ذلك من سيات حديثي عن سبب تعبي عنك

قال اقص عليا حرك

قال ترككم في هرج و مرج وهدت ابروك نهدت حرماً وكان جيلة في الا بر جيلة
المحارس من منة نواة مسر لهدس . سلمت ان هذا في دمشق سميت بالمعير
اليكم ثم حدثني بحب من انتصار من حرك وكان زرد مراني من رجاله وهم
ثعلبة فما ائمه سبهم حتي ابرق بالمعير ملافاه المسلمين في احد دين فمرت اليها
وشهدت مؤنة هائلة وقعة بين العرب والعرب هناك قد في اولها الولدان وفي

تلك الجامعة قتل ثعلبة وفشل جند الروم وفر الفجاسة . وكنت قد سمعت بمحصار دمشق فآن لي ان اسير اليكم بالحرم فاسرعت الى بصرى فلم اجد احداً منكم فظننت الراهب الشيخ بنبثني بمنزلكم فدرت اليه فاذا هو قد مات فاسفنت لوفاته لعلي انه لو كان حياً لهداني الى مترككم فمكثت في بصرى مدة ابحت عنكم واسأل كل من عرفته فلم يرشدني مرشد فظننت انكم في دمشق ولكنني استعذت ذلك لما دلت من حصارها ثم ما لبثت ان سمعت بمقطوعها فهبت بالمسير اليها لعلي ارى احداً استطلع من خبركم وفيما انا اهم بذلك رأيت جنداً من المسلمين قادماً الى بصرى فقلت لعلي اتسم من خبراً فلقيت امير مالك بن الحارث بن هشام وقد وجهه ابو عبدة اميراً على حوران بعد سقوط دمشق ^(١) وكان الحارث بن هشام والد الامير مالك قد جاء مع ابي عبيدة اميراً في بني مروم لحصار دمشق ^(٢) فقتل في بعض الوقائع فلما سقطت دمشق تعين امير مالك اميراً على حوران لينتد المجند الذي يقوم من الحجاز مدداً لابني عبيدة في حروبه بالشام ^(٣)

ولما وصل هذا الحمد الى مصرى بمكت بطرق مختلفة من الاحتجاج بالامير مالك
فاخبرني عما كان من زياركم على ابي عمدة في الجابية والهمة التي امكنك بها هذا الامر الى
حاكم دمشق ان انا في بحر وحكك الى بيت المقدس وخروج الامير عبدالله الى العراق
مرولت حتى انتهت هذه المدينة وما رلت ابعث عن مفرك حتى علمت اليوم انك
مقيم في هذا الدير وانك خرجت منذ الصباح فقلت ما في انتظارك حتى انتهت
فاحمد الله على سلامتك وارحوا نالني حبيبي الامير عبدالله قريبا

فقال حماد لقد ندد الصديقا سليمان واحببناك من عبد الرمان ما تعلم واراني
قد مللت من الحياة المحبوبة بالماكاره المروحة بالمشاق ويحال لي ان الله لم يكتب
لي اصيبا بهد مع ما تعلم من تعافى قولا . قال ذلك ونزقرقت الدموع في عيونه .
فشارت الحبة في رأس سلمان حتى كاد ينفذ غرقه . نظر الى حماد وقال دع ذلك
الي يا مولاي واكل على الله واحدا كبرت لك في اني عبوة دالة فلهذه الهو اعلمنا

(۱) تاریخ الامیہ، ج ۵، ص ۳ و ۴، و حارث بن ہشام جو حد

الامراء الشهابيين من عشر - و من - - بين سنة ذرية شهر - ربيع الحوراء
 اعاق بها مالك هذا ذلك ، ذكره تاريخ لاجين بقا عن ثلاث حكمه صيد الشرعيه)

نستطلع منه خبراً

فقال حماد ان لي عليه دالة عطى ولقد اصبح بعد ما تم على يدي من صلح
القام كثير الوثوق بي حتى اشار يوم قدومي الى بيت المقدس الى انه رها يحتاج الي
فيها مثل حاجتي في دمشق فلا اضي اذا استعنت في البحث عن حيلة الا فاعلاً ما اريد
قال سلمان طين هو الآن

قال تركته في دمشق بعث العوث لفتح ما بقي من بلاد الشام

قال اذا اذنت ان يذهب اليه عدنا فعلاً

قال حسناً

فقال سلمان والاهتمام ظاهر على وجهه اتقدم اليك يا مولاي في امر ارجو ان

تطعنني فيه

قال وما هي

قال ارجو اذا نحن ظمنا بحملة هذه المدة ورأينا منه تردداً او سمعنا منه وعوداً ان

لا نضيع الوقت في الانتظار والمماطلة عدنا

قال حماد وما معنى ذلك

قال معنى ذلك يا سيدي ان تأخذ هذا من بين يدي اراد هو او لم يرد

فصحك حماد وكان قد قصي زمناً لا يصحك وقال سترى في ذلك يا سلمان

وفضاً فبه ذلك اليوم في الاحاديث المتنوعة وانا على بية الاهتمام في الركوب

الى دمشق في الصباح

الفصل الحادي والتسعون

❀ حصار بيت المقدس ❀

ولما اصبحوا أحد يومان في الخروج وكان ذلك اليوم من الاحاد فقال حماد هلم
ما ندخل كنيسة القيامة هناك صباح الصلاة قبل ذهابنا لحررا حتى انما الكنيسة مرأياً
جماهير الناس في صحنهم يسطرون قدوم الطير بك لامة الصلاة موقفاً بينهم فلم يسمعا

من احاديثهم الا ما يتوقعونه من قدوم العرب لفتح بيت المقدس ثم ما ج الناس وتزاحموا
بما بق بعضهم بعضاً فعلم ان البطريرك قادم ولم تنص برهة حتى اطل بموكب يتوكأ على
عكازه يحف به الاساقفة والقسيسون وقد اوقدت الشموع وفتح الناس طريقاً في
وسطهم مر بها البطريرك وهم يتبركون بلبس رداؤهم حتى دخل الكنيسة فتبعوه حتى وقف
عند الهيكل فبدل ثيابه بما يلبسه البطاركة اثناء الصلاة وعلى رأسه تاج مرصع
بالحجارة الكريمة وعلى كتفيه قباء مزركش بالذهب والنصه وفي عنقه صليب مرصع
يتدلى على صدره بسلسلة من الذهب وقد اوقدت الشموع واحرق البخور وعلت اصوات
المؤمنين والمصلين ثم وقف البطريرك على عرشه وهو كرسي من العاج مزين بالنسفساء
المجذبة والتفت نحو الجماهير فاعلموا انه بهم بالكلام فاصغى اليه فقال بعد البركة

« اعلموا معاشر الصراية ان رجال العرب الحجازيين الذين قد سمعتم بقدومهم
هذه البلاد واحتيلائهم على بصرى ودمشق قد استنحل امرهم حتى فغول حلب وحمص
وعلمك وقيسارية وقنسرين وانطاكية^(١) وغيرها وقد بلغني في هذا الصباح انهم
قادمون الى هذه المدينة المقدسة بمجد كبير وقد بلغكم على ما اظن خروج مولانا
الامبراطور هرقل من بلاد الشام الى القسطنطينية لاحتلال اقصص ذلك وقد فوض
اليها التصرف في امر هذه الحرب والتي هي احسن فمناوضا حاكم هذه المدينة فرأينا
من الحكمة ان لا ندع لاولئك العرب سبيلاً لتخريب شيء من ادينتها المقدمة فان
فيها كمور الصراية بل يدافعهم بالامر الممكن فاذا رأينا خطراً في مقاومتهم عندنا معهم
صلحاً نحتفظ به الارواح والاموال وسنعتفي كرامتنا لا كما فعل اهل دمشق فاعلموا ان
ان نصلي الى الله ان يؤيدنا بالصبر في الدفاع عن قراية المحلص وهذه حصوننا متينة
وعندنا العدة والرجال فاستل الشقاق والطموح اولي الامر واعلموا ان الله لم يكن هؤلاء
العرب من بلادنا الا لما اردنا من الانفاس في ديارنا والانفصال عن طاعة الله
بالشقاق والانقسام فلنجمع قلوبكم ولنُدافع جهيد طاقنا والله يفعل ما يشاء »

فلما انتهى البطريرك من خطابه وضع الناس وهم بين مصوب وغضبي أما حماد
فلما انقضت الصلاة خرج وهو يقول لسلطان لم تعدت حاجة بنا الى دمشق فاما
لا نملك ان نرى انا عبيدك هذا وياوح لي اني سأجده في هذه المدينة حذمة اعظم

شأنًا من خدمتي في دمشق لان اهلها على ما يظهر اقرب الى الصلح من الدمشقيين -
وسارا الى مرتفع من المدينة يطل على ضواحيها وقضبا بقية ذلك اليوم يتشوقان لعلها
بريان جند العرب قادمين واهل المدينة يتأهبون للدفاع وفي صباح اليوم التالي رأيا
العمار يتصاعد في الافق وبانت من تحته اعلام المسلمين وفي مقدمتها راية العقاب
فعلم حماد انهم رجال خالد بن الوليد وفي اليوم التالي جاءت فرقة اخرى نزلت في
جانب آخر من المدينة وما زالوا يرون كل يوم فرقة تأتي باعلامها ونغماتها وتنزل
في ناحية من المدينة حتى صارت عدة الفرق سعة كل واحدة منها خمسة آلاف وجلة
الجند ٢٥ ألفا عليهم سعة قواد عرف حماد بعد ذلك انهم خالد بن الوليد وشرحه بل
والمرقال ويزيد والمسيب وقيس المرادي وعروة بن مهيمل^(١) فلما تحقق حماد
ومسلمان انحصار المدينة على هذه الصورة جعلا يبعثان عن ابي عبيدة لعله جاء معهم فلم
بريا رايته هناك ولكن حماداً كان يظن ان لابد من حضوره ففتح تلك المدينة

وقضيا ابانما يترددان بين اسوار بيت المقدس والدبر يستطلعان مقاصد الروم
فرايا الخوف مستوليا على الخاصة أما العامة فكانوا لا يزالون مصرين على الدفاع فرموا
المسلمين بالنشاب عن الاسوار فاجابهم المسلمون بمثله وضمت ايام والحرب سجال بين
الجاهلين حتى مل حماد الاسطار وعول على الخروج الى الشام للافاء ابي عبيدة وسؤاله
عن حلة فقال له سلمان ان الطريق لا يخلو من الخطر يا مولاي واخشى اذا خرجنا
من المدينة ان يستغشوا اهلها فيريدوا ما سوءا والافليكن خروجهنا بجيلة فترضا
نضعة ايام وهم في كل يوم يقفان في مشارف المدينة يطلان على ما وراء الاسوار من
السهول والمساكن فرايا يوما جيشا جديدا قادمًا من جهة دمشق عرفا انه جند ابي
عبيدة وفيهم رايته فاستشر حماد وقال قد آن الوقت يا سلمان فليسمع في سبيل الى
الخروج ما الرأي

قال الرأي ان تخضع حاكم المدينة على محاربة العرب لشأن الصلح فلهذه ان
يأذن بخروجها او يخرج احدا للعارف

قال حماد ومن يوصلنا اليه ولما لا اعرفه ولا هو يعرفنا ولا نثق ما

(١) الواقدي وذكر ابن الاثير عن ابن العاص وابن رواحة ورواية الواقدي تاييد

وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة للهجرة

قال سلمان دع ذلك اليّ ما في ادبى ماذن الله . واطلعة علي ما ينوي اجراءه

الفصل الثاني والتسعون

﴿ صلح بيت المقدس ﴾

ورجعا الى الديرولبس سلمان احسن لباس عنك وصار يلتمس المحاكم فقبل له انه عند الطر برك في الكيسة فعار اليو فرأى الحدم والحاشية وفوقاً امام غرفة الاستقبال لا ياذنون لاحد بالدخول فتقدم الى كبيرهم وقال له اني آت بهمة ذات مال الى حصص المحاكم فاستأذنه بالدخول عليه . واستأذنه فأذن له ودخل سلمان فاذا هو في غرفة قد خلا فيها البطريرك والمحكم وعلى وجهها دلائل الغنى وكأنها كانا في جدال مسجد ادخلوا امام البطريرك فقبل يدبو ثم قبل يدي المحاكم ووقف متأدناً فاذن له بالجلوس فجلس فقال له المحاكم وهو مقطب الوجه ما غرضك

قال ان غرضي بامولاي سلامة هذه المدينة من سلاح الاعداء وصيانة قبر السيد المسيح من الاهانة والاحتقار

قال ومن انت

قال اني تابع لامير من امراء العراق كان في حملة من شهد فتح دمشق وتوسط في صلحها بين الروم والعرب ولولا توسطه لامرقت الدماء وخرت تلك المدينة وله مع امراء جند المسلمين معرفة ودالة

فقال المحاكم اتريد ان تلتمس الصلح من عند انفسنا ونحن لم سند دفاعاً بعد فقال سلمان كلاً يا سيدي اما انا اعرض عليكم الامر عرضاً ولا غرض لي بيو سوى حجب الدماء

فقال البطريرك بورك يا سيدي ولكن لا نرضى ان نرضى يا اهل دمشق دن بيت المقدس قمر سوريا ومناصبهم لا نرضى

فقال سلمان اما ان مولاي يسوع ربي لا يدينه الله ربه

قال قل

قال ربي انكم اذا حاربتم هؤلاء لعرب بمر الصلح ان لا ترسلوا مئة على يد حد

منهم اجلاً لتمام هذه المدينة المقدسة وحفظاً لثقلكم ولكتمكم تطلبون ان يتم ذلك على يد امير المسلمين الاكبر وهو ساطعهم وخليفتهم ومقامه في ثرب بالحجاز فاطلبوا ان يكون الصلح على يد فاذا رضوا به وأنى الخليفة بنفسه من كرسي ملكه الى هنا كان في ذلك حفظ لكرامة هذه المدينة واستوارها عن كل ما فتح من مدن الشام قبلها فامعن البطريرك ففكرتوا قليلاً ثم قال ابن هو مولاك الامير

قال هو في منزله هنا فاذا امرتم باستقدامو فعلت

فامر باستقدامو فذهب سلمان وقد سرّ نجاح مهمته حتى اتي حماداً وكان في انتظاره فلما نص عليه ما دار من الحديث تمض فلبس لباس الامراء وسار مع سلمان حتى دخل على البطريرك والحاكم فلما رأياه استأنسا بطلعتو وما يتجلى في وجهه من المهابة والجلال فاذا بجلسو ثم قال البطريرك هل تعرف قائد جنده هؤلاء العرب قال نعم اعرفه جيداً ولي معه صداقة

قال هل اناك تابعك بما استقدمناك بهما بو

قال نعم وهو الامر الذي اراه انا ايضاً وقد شهدت حرب هؤلاء في دمشق وبصرى وغيرها ورأيت من ثنائهم وصبرهم ما لا اقول ان الروم يعجزون عن مثله ولكم قد يفلتون راحة الناس فتتف حركات الاعمال بلا فائدة وخصوصاً بعد ان رخصت أقدامهم في كثير من البلدان وزد على ذلك ان السبيل الذي تطلسون محاربتهم به يحفظ مقام هذا المدينة وكرامتها الى الابد اذ لا يجرى على حصرتم ان امير المسلمين المقيم في ثرب رجل عظيم جداً قد افرط طموحه الفريب والبعيد وهو عندهم في ارفع منزلة بعد نبيهم لانه حليفهم والفاطم ما معه ولم يسبق انه قدم هذه البلاد لمثل هذا الشأن فقدموه بمعه على ما ذكرت امتياري خاص وطرّاً لما لي من الصداقة لدى الامير ابي عبيدة كبير امراء هذا الجند ساء حبس اليه ان يحجب طلبكم ولا اطيه الا واعلاً

فالتفت البطريرك الى الحاكم كأنه يستشير فقال الحاكم لا بأس من ذلك غير

اني لا ارضى ان يهزم هؤلاء ابناء خائفون او انا نطلب الصلح لعجزنا عن القتال فابتدره حماد قائلاً لا تحس يا مولاي فاني اذا حاربتهم انا احمل ذلك من عند نفسي على اسلوب ليس عليكم منه بأس غير اني اتوسل ان يصحني من يخرجني من الاسوار لئلا يستغني احد من رجالكم

فقال الحاكم لك علينا ذلك ونحن نطلب ان يبقى تابعك هذا هنا ريثما تعود
قال لا بأس بذلك وخرج حماد حالاً فركب حواده ومعه بعض اهل القصر
حتى اوصلوه الى باب المدينة فخرج الى معسكر ابي عينة فلما رآه ابو عينة استقبله
باسماً ورحب به وقال له أأملك حثمت بمهمة اخرى

قال اني لا آلو جهداً يا مولاي في كل ما يأول الى محب الدماء

فقال ابو عينة هل جح اهل بيت المقدس الى السلم

قال نعم يا سيدي اظلمهم يريدون الصلح ولكنني مهمت انهم رفعة لمقام هذه المدينة
المقدسة يريدون ان يكون صلحها على يد خليفتم الامام عمر بن الخطاب ألا ترى
انه يقدم اليها سوسو وهي مدينة مقدسة يحترمها كل طوائف الناس

قال لا اطع الا قالاً بذلك . وما بعد قوله

قال اذا اكدت لي قوله جعلت الحاقه في ذلك رأساً يسكن ويبن حاكم المدينة
او يطربركها على مشهد من الناس والي اما حثت توطئة للامر بمهمة حصوية
فأتى ابو عينة عليه وقال له لقد سعت سعيًا حساً سورك فيك واذا تم
الصلح وقدم امير المؤمنين الى هاساً قدمك اليه وادكر له شهادتك

قال ان ذلك شرف كبير احسني سعيه اذا حصلت عليه وانقدم الى مولاي
الامير سؤال ارحوا لا يتقل عليه

قال قل وما هو

قال اتعرف حلة من الامير امير العساسة الذي كان يجاركم مع الروم

قال نعم اعرفه وما حديته

قال ان لي معه امرأً بهمي وكنت احسبه في بيت المقدس فحثت كما علمت فلم
احد ولا احداً من اهله وقيل لي اهم كانوا هناك وحرحو حروح النازين لا يعلم
احد بمقرهم فهل يعلم مولاي شيئاً عن هؤلاء العساسة

قال ابو عينة ان الذي اعرفه من امر هذا الامير انه خرج من بلاد الشام حلة
هو واهله وقد بعثت العيون عليه فاذا عرفت مقره اسألك به او ربما سمعت تقتله
بسيوفنا الا اذا سلم صاغراً

قال وكيف تقتلونوه وهو انما بجارب سيف مولاه الامبراطور ولعله اذا خير لا
يختار غير التسليم

قال اما اذا سلم هو في دمتنا له ما لنا وعليه ما علينا والآن السيف بيضا وبينه
واخشي مع ذلك ان يكون قد قتل في بعض الاماكن ولم يعلم به احد

فاضطرب قلب حماد وحاف ان يبتك المحاربون بحمله واهله اذا التفتل بهم في
مكان موقوع في حيرة ونظر الى ابي عبيدة وهو بهم ان يحاطة في الامر ويوقفه الحذر

فلحظ ابو عبيدة ذلك فيه فقال ما لي اراك تحاذر ان تحاطي فهل يسوءك قتل حلة
قال نعم يسوءني يا سيدي

قال وهل يسكما قرانة

قال وقد تلحج في الحجاب نعم بينما شبه قر

قال واي قرانة يسكما واست من لحم وهو من غسان ناه جرائها قرانة المصاهرة
فقال وهو مطرق نعم يا مولاي ثم رفع نظره اليه في هذا ما لي الامير بأمر

أقدم اليه فيه

قال قل ما بدالك

قال ان امر حلة بهمي كبرها وحياته اهديا بحياتي

قال وما معنى ذلك اي لم اقم السر فادا كانت يسكما

نداع عنه في شيء ولا ذكرته امامي في مثل هذا المعرص قط

قال ان الاحوال لم تلخني الى ذلك قبل الآن اما وقد آتت

الابصاف فأتحاسر في نك امرأ بهمي كمانه الآن ولكي اسطة لد

يعود عني بالنائنة

قال قل ما هو

قال اعزف لمولاي الامبرايك الله ان لي في حلة مأرنا بهمي كثيرا ولا

عك اي خطاس وقد قضيت لبعة اعوام في انتظار وقت القران فحالت الحرو

بيني وبينه وكان آخر عهدي بالامر ان اجمع ووأهله في بيت المقدس فلما حثهم

رايتهم قد رحلوا اني مكان لا تعلم احد فحثت اسبهم عن مكاهم قال ذلك وقد

ظهرت على وجهه علامات الاهتمام باربعها الحياء

فقال ابو عبيدة وهو يظن الى وجهه براعي حركاته « كيف هان على ملك غسان ان يروحك انتة وانت غريب ولست من سلالة الملوك »

فتغير حال حماد وعلا وجهه الاحمرار لما تذكر من حقيقة نسبه ولكنه تجاهل وقال « لقد عاينا في سبيل ذلك مشقة ولعله الست في تأخير الاقتران الى اليوم » فقال ابو عبيدة طب نمسا يا حماد واعلم اني بصيرك في الحصول على مرامك ولا يحق لحمة ان يفاخر بك في السب وانتهم هام قد رفعتك هتلك الى اعلى من مقام الملوك وما اني باث العيون والارصاد للبحث عن جلة وساحلة على ما تريد قهراً

فأتى حماد على غيرته وشكره وهمّ بوداعه على ان يعود الى حاكم بيت المقدس نتيجة الرسالة فقال له ابو عبيدة تمهل ربنا اشاور الامراء في الامر

وامر حماد خالد وسائر الامراء وحرص حماد فعقد ابو عبيدة مجلساً شاور فيه اصحابه فلما انص الحلس استدعي حماد فدخل على ابي عبيدة ولم يكن في الحجرة عينه فراه عاساً فقال له ما مال مولاي مقطب الوجه

فقال ليس في نأس ولكني لفيت من الامراء رعة في احراء الصلح على يدنا استعجالاً للفتح . لان استفدام الخليفة من المدينة يستغرق رسماً طويلاً وقد يمنع عن المحي لما يجول بيته وبين ذلك من المتاعل الهامة

فادرك حماد ان المادي في ذلك الرأي خالد بن الوليد لما يعلم من عجلته ورعته في العفر فقال اطل الامير حالداً اكثر الامراء ميلاً الى هذا

فلم يحب ابو عبيدة في بادىء الرأي فصمت حماد ولست سطر الحوار فقال ابو عبيدة عد الى حاكم ايلياء^(١) وقل له اما قسنا باحرء الصلح على يد امامنا الخليفة امير المؤمنين واداء هم احد من الامراء بغير ذلك هم محبسون في السول او غير

فهمض حماد بودعه واوصاه بالسعي في البحث عن حلة ثم حرج يريد بيت المقدس فلقبه حماد فأحرجه احرسراً لحاج مهمته وقال له هلم بنا الى الحاكم فساروا اليه فلما اقتلا عليه استظلمها احرس ففص حماد ما دار بينه وبين ان يمتنع فقال الحاكم لا يصالح احداً غير الامراء

فقال الطبريك (وكان حاصراً) وكيف نسير بين الامام واحد الامراء لو جاءنا سمو
فقال سلمان ابي عالم بصفة امامهم وقد شاهدته نفسي غير مرة في المدينة يوم شهدت
فتح مكة وكان لا يزال اميراً كسائر الامراء

وفي اليوم التالي صعد الطبريك والحاكم الى اسوار المدينة ومعها حماد وسلمان
مشركين فلتشوا يتطروا ما يكون من امر العرب فحاضهم رسول على حواد خاظمهم من
اسفل السور يطلب اليهم التسليم فقال الطبريك اسأسل بالصلح اذا كان على يد
اعظم امرائكم

فمضى الرسول وبعد رهة عاد ومعه فارس آخر علموا من لباسه وحاله انه من
الامراء فقال الرسول هذا هو كبير امرائنا فصالحوه

فطر حماد فاذا هو ابو عينة فسأله ان رأي امرائه علب على رأيه فحاض
يطلب الصلح فسأله فلما رآه الطبريك استطلع رأي حماد عن الرجل فقال هذا هو
ابو عينة كبير امراء حشد الشام
فقال اليس هو ملكهم الكبير
قال كلاً

فطر الطبريك الى ابي عينة وقال اسألنا لا تصالح احداً غير حليفكم المقيم في
المدينة فاستقدموه واحملوا الدماء

فعاد ابو عينة وفي اليوم التالي جاءهم خالد بن مسيل ذلك فأسبقاً مصالحةً (١)
واصرخوا الا ان يأتيهم عمر بن سعد وكان الفصل شتاء وقد تكاثرت الامطار والعواصف
فامتنع على المسلمين النبات هناك مثل ثنائهم في دمشق الشام لان اهل بيت المقدس
مقيمون في البيوت والعرب في الخيام على اهم صبروا على ملاحزتهم اربعة اشهر بين
حرب وصال ومحاربة والروم مصرثون على ان يكون الصلح على يد الامام عمر فلم ير
ابو عينة بدا من استقدموه فكتب اليه بذلك

اما حماد فكان يتردد الى معسكر ابي عينة يستطلع ما حدث من امر حيلة
ويستحث ابا عينة على استقدام عمر قياً ما سوعه فصحت الاشهر الاربعة ولم ينف حيلة
على حبر

اما سلمان فانه لم يطلق صرخاً في انتظار انجات ابي عبيدة فخرج سمسو يستغفر
الناس من ظن انهم يعلمون شيئاً عن حيلة واهله فلم يسمع الا اخباراً متصارعة فمن
قائل انهم فروا الى العراق او مصر او غيرها وقال آخرون انهم لا يزالون محتبئين في
بعض بلاد الشام ولكن الاكثرين على انهم فروا الى العراق فعاد الى حماد تلك
الاخبار المتصارعة فلم نعه شيئاً فاشتد اليأس وصاقت دونه السبل ولم يكن ير تعرية
الا لقاء ابي عبيدة . فنيا هو عند ذات يوم وسلمان ينتظر خارجاً ادخل عليه رجل
مبسوط الوجه كأنه جاء بشارة فقال ابو عبيدة ما وراؤك

قال ان باللب رسولاً من امير المؤمنين جاء بحبراً يقدمو

قال فليدخل فدخل الرجل واتار السر نادبة على وجهه وعلى ثيابه

فقال له ابو عبيدة اين تركت امير المؤمنين

قال تركته راكناً من دمشق واسرعت لشاركتكم

فقال ابو عبيدة ما ناله ابطاً عليا

قال اما ابطاً لما اعتصره في طريقه من المسلمين يستنوثه وينقاصون اليه وهو

لا يرى الا سماع اقوالهم والعدل بينهم

قال هكذا يكون الامراء يورك سطن حملك يا عمر . ثم بعث الى خالد وسائر

الامراء محاقاً فاسأهم يقدم عمر وقال فليذهب للفائز والتبت الى حماد وهمس في

اذنه هلم بنا لعلنا نسمع من اهل المدينة خبراً عن صاحبك حلة

فركب الامراء وركب حماد ومعه سلمان وقد شعلت ركوبه هذا عن اهمايه محلة

وحده وكان الامراء لباس الديباج والحبر ' ' وقد امتطوا جيولاً فوقها السروح

الفصة (٢) مما عموه من دمشق الشام وغيرها الا انا عبيدة فقد كآب على قلوبنا

(ناقة) ووقوف عاة قطواية وحطام الناقة من الشعر وساروا وقد تركوا الحذر في

مكائهم حول اسوار بيت المقدس وكان حماد مشتاقاً لمشاهدة عمر بعد ان تولى امر

المسلمين وهو يتوقع ان يراه في موكب حافل كما نعوذ ان يرى او يسمع عن ملوك

الروم والعرب مما بهر النظر ويستوقف البصر فكان كلما مشوا قليلاً تشوف عن بعد

لعله يرى الغار او يحوه مما يتقدم الموكب فلم ير شيئاً

الفصل الثالث والتسعون

❖ الامام عمر بن الخطاب ❖

وفيا هو يتشوف رأى هجماً قادمة فقال في نفسه هذه هي طليعة الموكب قد جاءت
بشارة فلما اقتربت رأى في مقدمتها هجماً احمر عليه من الجاسين غرارنان وامام
الرجل قرنة الماء ووراءه حصة للراد وقد امسك بحطام الماقة يدوي ماتس
وعلى الماقة رجل ابص الوجه مع حمرة نعلوه شديد حمرة العيين حس الخدين والانف
حبيب العارضين صحم الكراديس على رأسه عمامة وعلى كتفيه عباءة من صوف عليها
نصع عشرة رقعة بعضها من الحلد والبعض الآخر من الصوف^(١) يحمل بين درة هي
عبارة عن سوط عريض من الحلد . فتخبر حماد في امر هذا الهجان والنبت الى سلمان
فابتدره قائلاً هذا هو الامام عمر يا مولاي ثم ما لست ان رأى انا عينة ترحل عن
ناقتي واسرع نحو وترحل عمر ايضاً ونعانفا فتخفق حماد انه الامام عمر فحب لرهه ثم
ما لست ان سمع عمر يتهر بعض الامراء فتندم لسمع كلامه فادا هو يؤنسهم لما اتحدوه
من لباس الديباح والحريز وقال لهم ما نالكم تمسكنم بالديبا وغفلتم عن الآخرة ما هذه
الملابس امها السة اهل الترف وانتم في سبيل الجهاد قال ذلك وحسا عليهم التراب
فقال ابو عينة اهم يا امير المؤمنين انما اتحدوه كساء خارجياً وتجنه السلاح^(٢)

ثم نادى ابو عينة حماداً فاقبل فقدمه الى عمر وقال له انه شاب من امراء
العراق كان لنا نصيراً في حصار الشام واسطة في صلحها

فرحب به عمر والمنت الى ابي عينة وقال لقد اذكرني بحلة من الابهيم العسافي
ألم يصلحك كئاني نساءً به

قال كلاً يا مولاي وما خدع

قال له حبر طويل سأقصه عليك بعدئذ وهلم بنا الآن الى بيت المقدس
وركبوا جميعاً

أما حماد ولما سمع اسم عمه حلة حتى قلته وناق لسامع حديثه ولكنه لم يحسر على

التماس ذلك فاضطر للانتظار الى فرصة اخرى وما زالوا ساعرين حتى اشرفوا على بيت المقدس وحوّلها معسكر العرب ورأوا الاعلام عن بعد ولما اقتربوا من الخيام سمعوا صييح الناس ورأوا جماعات منهم مهرولين للملافاة عمر مرحب بهم واثى على غيرتهم وشكرهم لحسن جهادهم وذكر ما فتح من المدن على ايديهم حتى اذا وصلوا معسكر ابي عبيدة رل عمر في فسطاط من شعر نصّبوه له هناك وبرل الامراء معه وتراحم الناس للثمين بشاهدته وسماع كلامه . اما هو فجلس على التراب وجلس الجميع معه وحماد يعجب لرهق وتواضعه ثم نهض والقي عليهم خطاً ثم جلس الجميع يتحدثون بامر النخ وما لقوه من الجهد وما كان من فوزهم وكلهم فرحون وامارات الافتخار طاهرة على وجوههم وكان حماد بسطران يجري حديث جلة لعل عمران ينص خبء واشتغلوا عن ذلك باحاديث النخ ثم يودي بالصلاة

فخرج حماد وقد ملّ الانتظار فقال ما قولك باسلمان هل نسأله ليفص علينا خبر جملة قال لا حاجة بنا الى ذلك وانما يكسبنا ان نسأل ابا عبيدة وهو يطلب اليه قال حسناً وساراً الى ابي عبيدة بعد الصلاة فلما وقع بظهره على حماد قال له عدياً سمع حديث امير المؤمنين عن حلة واهل بيته اما الآن فاطلب اليك ان تسير الى حاكم هذه المدينة فتسئله فقدم امير المؤمنين وقل له ليخرج للصلح ومتى عدت من هذه المهمة قدمتك الى مولانا الخليفة فتسال منه ركة وحطوة فخرج حماد وسلمان فاسألا الحاكم والطيريك فقدم عمر فخرج الطيريك على الاسوار وطلب ان يرى عمر رأى العين

فعاد حماد بالحرف فركب عمر ناقته ومرفعته ونقدم نحو الاسوار وابو عبيدة الى حايه وكان حماد قد عاد الى الاسوار وأشار الى الطيريك انه هو الرجل فاسعرب ما رآه من سداحة لباسه وكثرة رهنه واعجب بما اعبس فيه الروم من الترف والرجاء وما اراد الله من حصوعهم لاولئك العربان ثم نصر الى اعيان المدينة وكاتبوا وقبوا معه على الاسوار وقال « اليكم يا اهل بيت المقدس هذ هو الرجل الذي تنفخ لادى على بينه فاحرحو اليه واطلبوا صلحه واعقدوا معه الامن والدمه »^(١) فتخولوا الابواب وكاتبوا

قد ضاقوا درعا عن احمال المحصار وخرجوا افواجا وفيهم الرجال والنساء والشيوخ والاطفال وصاحوا بصوت واحد يستغيثون فلما رآهم عمر على هذه الحالة تخشع لله وسجد وهو على قتب نعيم ثم انماخ ناقته وبرل وقال للناس عودوا الى منازلكم ولكم الذمة والعهد

فعادوا ولم يفتلوا الابواب وعاد عمر الى معسكره وفي صباح العد دخل عمر المدينة والناس يرحبون به وقد رفعوا اصواتهم بالترنيم والترنيل وفيهم القيس في ابدانهم الماخرا حتى اتى سراي الحاكم قرب كبسة القيامة واجتمع اليه الحاكم والطربك وكبار اهل الدولة وعقدوا صلحا افرطوا به على اداء الجزية واوصى بهم الامام عمر حيرا وهذات الاحوال وسكت القلوب ^(١) الأقلب حماد فانه ما زال يتقلب على حجر الانتظار والتردد

الفصل الرابع والتسعون

* جيلة بن الايهم *

ومكث عمر في بيت المقدس عشرة ايام لم يحل يوما واحدا من الوفود من سائر احاء سوريا وخصوصا عطاء الدلاذ التي حصعت للمسلمين فاهم كانوا في اشتياق لرؤية الخليفة وفي اليوم الخامس من دحوله وهو يوم الجمعة حط عمر محراما في المدينة وفي موضعه بني حامه بعد ذلك وفي ذلك اليوم سار حماد الى ابي عبيدة وشكا اليه قلقه ورعته في سماع حكاية حلة عن لسان الامام عمر فاستمته الى المساء وقال له ان امير المؤمنين سيجرح من المدينة بعد صلاة العصر ليصلي العشاء مع باقي الامراء في فسطاطه وستنضي السهرة هناك فينص عليها الحمر

وفي العصر حرح حماد وسمان الى معسكر ابي عبيدة حتى اذا كان العشاء وصلى المسلمون سارا الى خيمة الامام عمر فلقبها الحاحب فاستادن لها فدخلوا وجلسا في بعض حوالم المكان وكانت الخيمة كبيرة وفيها رهاء حمسين رجلا

فقال لهم علي ما تريدون مني
فقالوا نريد منك عيشان وما آتاك

فقال لهم ما تريدون مني
فقالوا نريد منك عيشان وما آتاك
فقال لهم ما تريدون مني
فقالوا نريد منك عيشان وما آتاك

فقال لهم ما تريدون مني
فقالوا نريد منك عيشان وما آتاك
فقال لهم ما تريدون مني
فقالوا نريد منك عيشان وما آتاك

فقال لهم ما تريدون مني
فقالوا نريد منك عيشان وما آتاك
فقال لهم ما تريدون مني
فقالوا نريد منك عيشان وما آتاك

فلما قال ذلك

افترت بما ارتكبت فعبه
فعظم ذلك على الغساني

فقال كيف ذاك يا امير المؤمنين وهو نا ملك
قلت ان الاسلام جمعك وانه فليس لي الا التقى والعافية
فقال وقد خاب طء « كنت ظننت ياومين اني آكون في الاسلام امنع
مني في الحاهلية »

فقلت دع عنك هذا فالك ان لم ترض ، اقدته منك
فقال اذا انتصر

فقلت له ان تنصرت ضرت عناق لالسلات فان ارتددت قتلتك
فلما رأى اس الاهيم ما صممت عنه ، كل لي ابي ما طر في ذلك ليلتي هذه
قلت انظر ما شئت ثم انصرف وم اعدا ادرني مقرة . وقد كتبت اليك
بشأ به والتمست ان نحت عنه مهل علمت به .
قال ابو عينة كلاً يا مولاي انا قصص ، نحن نبحث عنه فلم نقف له
على خبر

الفصل الخامس . . .

مشورة ود

وكان حماد يسمع حديث عمر وهو شاخص بطول بعقه وقلة بحقق في انظار
آخر الحكاية فلما انى عمر على آخر كلامه انقص حماد وعظم عليه الامر وهم
بمحاطة عمر يستطلعون في مصير حلة واهله فاقعد المجلس ومقام الحليفة وما صدق
ان ارفض الجمع حتى حلا سلمان ووقعا بالعرب عسكر ابي عينة فقال حماد
ما رأيك يا سلمان

قال لقد هان الامر يا مولاي والراي عديمت عن حلة في الطريق بين
المدينة والشام اذ لا اطه اذ افر من المحار الآقاد اطراف الشام او اللقاء او
رولا بد له في كل حال من
لدبر واذا اشكل الامر اكدر

فتأفف حماد وتذمر ولكفة فكر في الامر فرأى كلام سلمان معقولاً فظل صامتاً
برهة وسلمان ينظر اليه ويتأمل حاله مرآة غارقاً في بحار الهاجس وقد تولاه الاقشاص
وغلب عليه اليأس فقال له ما بال مولاي لم يعتد بكلامي العلي محطى في ما اقول
قال لا اقول مخطئاً ونعم الرأي رأيك ولكي افكر يا سلمان في هدي كيف طال
هذا الامد ولم يصلي منها علم ولم اسمع عنها خبراً مع علمها ذهابي الى بيت المقدس
بعد فتح الشام

قال لا تلها يا سيدي ألا تعلم انها فتاة لا تستطيع المحاربة بامرها فضلاً عما كان
فيه اثناء فرارهم من الحوف والاهتمام واقاموا في المدينة غرباء ثم عادوا فارس كما قد
رأيت فهل نستطيع هداماً

فقال حماد لا ادري ولكي اراي مقيد الفكر مغلول اليدين والامير عبد الله
يعيد عما لا يعلم حق ولا ما لا فاه في العراق

قال سلمان اما الامير عبد الله فانت تعلم انه من الحكمة والتعقل في ما لا نخشي
عليه معه بأساً ولا يات ان يعود اليها وقد مال حظوة في عيني المسلمين
ولكن . . وصمت

فقال حماد ما بالك صمت قل ما في نفسك

قال سلمان ماذا اقول ونحى كما قلت مقيد الفكر معلول الادي
قال وما داعي

قال اعني يا مولاي اما شعلنا محروب الشام والاماس ملك عسان عن امرنا
اتينا هن البلاد من اجله ولولاه لكان مقامنا في العراق معاً مدافع عن دولة الفرس
دواعنا عن امسا

فاشبه حماد الى حكاية الدر وحقيقة سمه وماله من التأثر على الفرس وقال
لقد صدقت يا سلمان اما بقاعدنا عن نارنا واسعلنا بهام ساسا عن وصية والسي
والله لو اني فرغت من مشاغلنا المتواترة وحولت سمعي بنوم واحد ما نمت في هذه
الديار ل كنت اول شاخص الى العراق لندفع اليه تلك الدولة الضائعة
واي لوانق تقرب سقوطها لما علمه من نص العرب وفساد حكام ارس واقسام
حكامهم بعضهم على بعض

فقال سلمان اذا نسير الى العراق ...

قال حماد بصوت مخنق ونفس صغيرة « وهند » ونظر الى سلمان فكان لظنوه وقع السهام على قلب سلمان فنظر اليه ونبسم ثم همّ به وضمه الى صدره وقال له ان هندا في المقام الاول يا مولاي ثم الثأر

فتنهّد حماد وقال لابل الانتقام للملك العار قبل كل شيء. هكذا اوصانا بصوت المشعث من ظلمات القبر ولكن قال ذلك وترقرقت الدموع في عينيه

فاتدره سلمان قائلاً ان كلا الامرين مستدرك فلنبعث اولاً عن مفر هند فاذا التقينا بها وكان السفر الى العراق مستحلاً وكان احل الفرس قريباً أجلت الاقتران الى ما بعد الرجوع منها وسقوط دولة الفرس والآ فانك نتزوج ثم تسير فقم بها الى بيت المقدس وعداً استطاع اخبار العراق ثم سير للبحث عن جيلة واهله في اطراف الشام وحواران ويفعل الله ما يشاء

فقال حماد حسنا ترى ولكن ذهاها الى بيت المقدس في هذا الليل لا يحلوا من المنفعة فضلاً عن الخطر وقد دعاها ابو عبيدة للمبيت عند طيبها الليلة وعداً لساظره قريب

قال حسناً وتحولوا نحو السطاط وقيل الوصول اليه سمعا اصواتاً عرقاً انها اصوات الفراء ينلون القرآن والناس يصلون فتحبا رهة حتى فرغوا من الصلاة فدخلوا على ابي عبيدة فقال لهما اين دهننا واما ابحت عنكما مدد خروجا من مجلس الخليفة فقال حماد لقد كنا في شأن حلة وحده ولم ردني حديث امير المؤمنين الا تلكما فلا ادري اين هو هذا الرجل الآن

فقال ابو عبيدة سمحت عنه في سواحل الشام لعله يقيم في مكان هناك او اذا كان قد خرج منها الى بلاد الروم او مصر او غيرها عرفنا خبره

فقال سلمان ويحيى ان ننتش عنه في اطراف الشام وحواران لعلنا نسمع عنه شيئاً في بعض الدور . قال ابو عبيدة نعم الرأي رأيت وسيكون بحثنا وبحثكم معاً من استطاع امراً اطلع الآخر عليه

فقال حماد ومادا تعلمون من احبار العراق وفارس فان والدي لم يكتب اليّ شيئاً منذ سنين

فقال ابو عبيدة ان ما اتانا به مولانا امير المؤمنين ^(١) ~~بسر كل~~ سلم فان النصر
 معقود ^(٢) لوائه لجود المسلمين حيثما ولوا وحوهم وقد كان الامام عمر على موعد من
 موقعة هائلة بين المسلمين والفرس في القادسية فخرج من المدينة وهو في انتظار البريد
 يجبرها وقد ابطاً عليه فاورع الى مائتي في المدينة اذا جاء بريد العراق ان يفتك اليه في
 يست المقدس حالاً فحين ينتظر ورود البريد ^(٣) انتظار الظمان لموارد الماء وكلما على
 يقين من نصره رجالها مها تكاثرت حدود الفرس وافيالهم ودوابهم فاهم اشد وطأة من
 الروم بل نض اشد وطأة على الفرس ما على الروم لان هؤلاء اهل كتاب قد اوصبا
 بهم خيراً ولما الفرس فانهم محسوس يعدون النار ^(٤) فضلاً عن اختلال احوال
 ملكتهم وتنازع دعاة الملك على كرسيم فقد توالى على ابوان كسرى بضعة ملوك في عام
 واحد بعضهم ساء والبعض الآخر من الرجال وملكهم الآن يردجرد بن شهر بار
 ان كسرى امشروان وهو ضعيف الرأي لا يستطيع القيادة فهل يعقل ان جند
 يغلب جند امير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلى كل حال ان موعدنا من احبار
 النصر قريب ان شاء الله

ثم امر بعض رجاله فاعدوا خيمة للصبيين فاننا تلك الليلة واصبحنا وقد قام الامام
 للخطابة والصلاة فاذن المؤذنون وصلى المصلون فتخى حماد وسلمان ومثيا خارج
 المعسكر يتحدثان في تلك الشؤن موقع بطرهم على هجين قادم من عرص الافق بسرعة
 الرق فقال سلمان هذا هو صاحب البريد على ما اظن موقفا فاداً به دار حتى اتى معسكر
 ابي عبيدة وترجل عد فسطاطه فاسرعا الى السطاط فرأيا ابا عبيدة خارجاً من حيمته
 ومعه الهمان وهو لا يزال يغاره وقد مشى وهيمته ورائه حتى اتوا فسطاط عمر فدخلوا
 جميعاً ودخل حماد وسلمان معهم فرحب عمر بهم وخطب صاحب البريد قائلاً ما
 ورائك يا رجل فقال ما ورائي الا الخير ومد يده فاستخرج من بين اوائه صدوقاً
 فضحه واستخرج منه ملأ من حلد ماوله الى الامام عمر فمضى ودفعه الى بعض حرسه
 وقال ثلثة عليا لرى ما كان من امر المسلمين في العراق
 فتناول الرجل الكتاب ووقف ياحذ يقرأ بالنار سكوت واذا به



(١) ويقال ان معاوية اول من رتب البريد (٢) بن حدود جزء ٢

الفصل السادس والتسعون

وقعة القادسية

« الى امير المؤمنين عرس الخطاب من سعد بن مالك امير جد العراق اما بعد فاني اكتب اليك تفصيل واقعة القادسية التي فار بها المسلمون على اهل فارس واليك هي . حشا يا امير المؤمنين بمجود المسلمين من تعلم مع ما انضم اليهم من حشد الشام وحملتهم جميعاً ٠٠ و ٢٥٠ و رلنا في القادسية بين العتيق والخذق بحمال القسرة والقادسية يا امير المؤمنين واقعة في راس بحيرة وراءها مصبق من الرينصل بين الحيرة والفرات فاقما هناك شهرين ندافعهم نارة ويطاردهم اخرى حتى ملوا ما فكتسوا الى ملكهم يزدجرد وشكوا ما يقاسوه وقالوا اما احرسا بما يساوين والفرات وبها الدواب والاطعمة فبعث يزدجرد الى رسم كبير قواده والحق عليه ان يقدم هو نفسه لقتالنا فحاء وعسكر في ساباط . وقد كتبت اليك بذلك في حية فكتبت اليها ان لا بكرسا ما يأتيها عنهم فاستعنا الله وارسلنا نرا من المسلمين الى يزدجرد في المدائن يدعونه الى الاسلام او الخزية او السيف فاستقدم رسم اليه واستشاره فيما حاووا من احله فلما سمع مقالهم تهددهم ونوعدهم ثم وعدهم نفوت ومال وكساء فاحابوه بكلام شديد فاخرجهم من المدائن مهايين فلما رأيا ذلك منهم جعلنا نعرفو ما حولنا من اللاد والرى سوق اعمامها واقارها واساكها والها . فلما بلغ رسم ذلك حمل بمقدوده مئة الف وعشرون الفا ^(١) ارعوا منها يفودها رجل اسمه الخاليسوس والاقون يقودهم رسم فحاووا في هذا الحد القليل ومعهم السلة والحيول وكانوا لا يبرون سلة الا اساءوا اهلها وسربوا حمورها واكثرنا من الساد فيها فقم الناس عليهم وقد علمنا من بعض اسراهم اهم قصوا في انتقامهم هذا من المدائن الى القادسية اربعة اشهر فلما وصلوا القادسية عسكروا بحالنا ورأسا معهم فيلة بعضها مشهور عنهم بالفتك كالقيل المسى قيل ساورا لاسن وعين فطم رسم حيث جعل من الافيال ١٨ في الوسط و ١٥ في الحبيين ثم انفرده في مكان مشرف بظرمته الى حدنا وبعث اليها ان

توافية رجل منا بكلمة فارسلت اليه واحداً فاحترني لما عاد انه دخل على رستم فاذا هو جالس على سرير من الذهب وبين يديه البسط والبارق والوسائد المسوجة بالذهب فلما وصل رسولنا بعاءته ودرعه وسيفه لم يبهن ما رآه هناك من بهارج الدنيا فناد جواده فوق السط وشق وسادتين ربطتهما فسأله ان يصع سلاحه فأبى حتى أقبل على رستم فانتدبه برحمته وهو من اهل الحيرة واسم عبود فسأله عما جاء من اهلوه فاحابه بالدعوة التي تعلمونها فعظم ذلك عليهم وقالوا « كيف نطلبون قتالنا او الجرية وقد كنتم في قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً وكنتم اذا قمحتم ارضكم استعطوننا فبأمر لكم بشيء من التمر والشعير وردكم ولا نظكم قادمين علينا الا من المجهد فما امر لا ميركم بكسوة وغل والف درهم ولكل منكم وقرقر وتصرفون عما » فاحابه الرسول بما اسكنه وبعد حلال طويل غصب رستم واقسم ان يهازلا بطلع قبل ان يقتلنا اجمعين فقال له الرسول من يقتل منا يدخل الجنة وارسلت اليه رسلاً آخرين بدعوته الى ما هو خير لنا وله فاجابهم بمثل جوابه الاول فلم يجدوا ذلك نفعاً

« وفي اليوم التالي جلس رستم على سريريه وضرب عليه طيارة وعين الافيال كما ذكرت واتخذ في ايصال خبر الحرب الى ملكه برדרך طريقة اعنتي ولعلي متخذاً في بعض حروني ان شاء الله وذلك انه جعل بينه وبين برذرحد رجالاً على كل دعوة رجلاً او لهم على باب ابوابه في المداين واحرم عند رستم فكل ما فعل رستم شيئاً قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا الى ان ينتهي الى برذرحد في اسرع وقت وكنت يا أمير المؤمنين مصاناً بدمامل وعرق النساء فلا استطيت الخلوس وانما كنت اجلس مكناً على وحيي وصدري فوق وسادة على سطح القصر اشرف على الناس وارى قتالهم ولكن الله اعاسا مو وكرموا فاسا لما رأيا الرس ينهباً و للقتال نعثا الخطاء في الحد وقرأنا سورة الجهاد ثم صلبا الظهر وكربا اربعا فرحف الحد وتلاحم الحيشان والله يا امير المؤمنين لقد كنت ارى حد فارس يهالون كالسبل وفيهم الافيال كالامواح المتلاطحة وهي تتور فتلتفت الرماح والدمال بجراطينها وتدوس الناس واثبول بحماها فهاهي امرها فلتت يا قوم اما من حيلة لها فرماها بعض المسلمين بالمل فتثل ركاها وتقدم آخرون فازاحوا عنها

توايتها فتليكت حركاتها وفسد نظلمها نجاء المساء وقد قتل من الفرس جند كثير وفي
اليوم التالي وصلنا نجدة أهل الشام التي أرسلها أبو عبيدة فهاجمنا الفرس حتى كدنا
تقبض على رستم ولكنه نجأ وفي اليوم الثالث لقي الجند ان شدة وجهنا أما نحن فواصلنا
العمل في الليل وكانت ليلة سمينها ليلة الهرب لان رجالنا لم يكونوا يتكلمون وإنما
كانوا يهرون هراً فقلنا الجند الى مكان يأخذ العدو من خلفهم ففعلنا ذلك وهم لا
يعلمون

« ولما اصبحنا هاجمنا اعداء الله من كل جانب فقتلوا واخذوا نظامهم ووصل
بعض رجالنا الى سرب رستم وقد اطارت الرمح الطيارة عنه فاستطل بظل بغل فقتلوه
وقتلوا الجاليس فاهزم الفرس شر هزيمة فتعقبهم رجالنا وغنمنا اسلحتهم واتصرونا
فصرنا ميماً^(١) ونحس سائرون الآن لنفتح المدائن بعون الله تعالى » انتهى
فما مرغ الفاري من قراءة الكتاب حتى ضح المسلمون بالتكبير والشكر لله على ذلك
الفتح اما حماد فانه صر على سماع الخبر رغماً عنه فلما تفرق الناس خرج حماد وسلمان
فقال سلمان بظهر ان اجل الفرس قريب وستفتح المسلمون عاصمتهم فيندك عرشهم
ويكون ذلك جراً ما كسنته ابيهم من قتل الارباباء
فقال حماد ولكسا لم تستد تبتاً عن الامير عدا الله ولا عن حيلة ألا تظن صاحب
الريد يعلم شيئاً عن ذلك

قال ربما كان على علم فها لم يستطلعه وسارا يبعثان عنه فادا هو قد خرج الى
خيمة بعض الجند للاغتسال والوضوء وتناول الطعام
فقال سلمان اطي صاحب الريد بجناح الى الراحة بعد سن الطويل فلدهه
وشأته على ان يعود اليه في صباح العد
قال حماد لقد احسنت رأياً واصرفا الى خيمة للاستراحة



(١) قيل كانت هذه الواقعة سنة ١٤ هـ مرة وقبل ١٥ وقيل ١٦

❖ فتاة غسان ❖

الفصل السابع والتسعون

❖ ويأتيك بالاخبار من لا تسأله ❖

تركها حماداً وسلمان وقد انصرفا الى حيمة يلتصقان الراحة ريثما يتمكنا من مقابلة
ساعي البريد واستطلاع خبر رحلة وعد الله وفيما هما صائران الى الحيمة رأيا عموراً
حدياء عليها سمات الفروع عار الاسفار قادمة نحوهما تنوكة على عكار وقد لبت راسها
بحمار قطعاًها من المنسولات فلم يعبأ بها وطلاً في طريقها حتى دخلت الحيمة وليس
فيها سواها وما لبثا ان جلسا حتى رأيا تلك العمور قد شئت حجاب الحبيبة بعصاها
ودخلت بلا استئذان فصاح بها سلمان ما غرصك يا حالة

فلم تحم وتطلت داخلة حتى دنت من حماد وحسرت اللثام عن وجهها فادأ هي
خادمة همد التي لقيها في دمشق لمحق قلعة لروينها وشعرها بغطاف نحوها وقد نسم منها
رائحة حبيبتو فبعث وصاح بها ما حرك واس همد

قالت نهمل ريثما استريح فاحرك الحمر وقد حمت البلاد ونحست العباد واما في
هذا الري ابحث عنك فلم اقب لك على حمر وقصيت حول هذه المدسة اياماً لا يحجري
احد عن مقامك ولا انا استطيع الماهرة باسمك لان حالنا تدعو الى الاستتار .
قالت ذلك وهي تحت عن وسادة نخلس عليها وتطر الى خارج مخافة ان سمعها احد
فجلست وعينا حماد تراعيها وقد همد صدى في استطلاع حال همد فقال لها احبريني
عن همد قبل كل شيء هل هي في حير

قالت كن مطمئناً انها في حير وسلامة لا ترحوا الألفاءك

فقال ابن هي

قالت لا ادري ابن هي الآن ولكي اعرف الحطة التي سنسبرمها فادأ قصصت
عليك الخدعت من اوله هان عليك فهم الحقيقة

قال فولي باحصار ولت صامتاً مصعاً لما نقوله

فالت تركني في دمشق بجوار كيسة مريم فاسرعت الى ما بين يديها

يُجمل وأكثريت نغلة ركنها حتى اتيت بيت المقدس . وكانت سيدتي هدد وابتدتها
وسائر اهل القصر مقيمين في دير هذه المدينة فاسألتهم تسقوط دمشق محافوا ولكي طأست
هدئا واملتها قرب محبتك فهان عليها كل عسير ولتسا تنظر ذلك اليوم . ولكن الامر
جاء بالعكس فان سيدي الملك حلة بعث اليها في اليوم التالي ان تسأه للرحيل سراً
ثم جاء هو وامر ان يسر على عمل مما حثت جملة وعلائمة ولم يجسر احد من اهله ان
يسأله عن جهة المسير ولولا ذلك لقيت انا هاهنا لاحتك بمكانهم . رحا وقد اسررت
مولاتي هدد الي انبا حالما تعرف المكان الذي سنقيم فيه نعتت بحسن اليك

فسرنا اياماً وليالي ولم يحط رجالنا الا في المدسة مقام حليفة المسلمين الذي سمعتم
الكتاب يتلى بين يديه الآن وقد كنا في خوف عظيم ولكننا آتسنا اكراماً وحسن وفادة
ولعني ان سبب سلامنا اعناق سيدي الملك ديانة هؤلاء الناجين فلما طسنا المقام
استعزنا لم يبق على سيدتي الا ان تسدد اليك ذلك وقد فاني ان احرك وفاة نغلة
اولئك سمعت به قلاً

قال حماد لقد سمعنا بحسن رحمة الله

قالت ولم نكد نوسم الراحة وبجي الامل حتى جاءنا سيدي الملك نغلة وبعته كما
فعل يوم خروجنا من هاهنا هاهنا وحرقنا في ليل دامن حصاراً فيه خوفاً شديداً ولكن
نعص حيرنا اليهود من اهل المدينة كانوا عونا في مسيرنا الى ما وراء اسوارها وفي
اليوم التالي تحفنا اساقفون بلاد الشام فرأيت في سيدتي هدد ارتياحاً الى هدد
الوجهة على رجاء ان نهرب ملك ففصينا في طريقنا هدد مدة طال امدها ونحن يسير ليلاً
مكرس ونحنى بهاراً ولا نعلم الا في الديور لاهنا اامن مبيت او مقام لاهل النصرية
وكنا نمك في بعضنا اماناً واسابع قالت ذلك وحننت صوتها لئلا يسمعها احد
وحملت نطلع من باب الحمية خوفاً من يحمس او يسمع فقال لها سلمان تكلمي لا
نخرجي فان ليس في هذا المعسكر من يطن سا سوا ولكن احثي صوتك

قالت واأحرمان انما فيه درم خيرا ولا تسأل عن حالنا اطلنا قبل ذلك
على صرح المدبر وسأله وما اسأله عليه اولئك انصار يون من المعارس
والاسية التي باها الملوك العباسية مند احيال وقد رأيت سبه وجه سيدي الملك
علامات العتب والنحل حتى كادت الدروع نسا من عبيد لولا هدد المقدس . اما

سيدتي سعدى وهى فقد مكنا واطى هذا انما كنت لنذكرها امراً وقع لها في ذلك الصرح والحلاصة اسالم بصل دير بحيرة حتى اخذ اليأس من سيدي الملك كل مأخذ لما دافقه من دل التكر في بلاد كانت طوع اشارته لا يمر بها الا محبوقاً بالحدود والاعوان فصب له الاعلام وبجئنا اهلها بقدميه فكيف يمر الآن متكرراً يخاف ان يعرفه احد (قالت ذلك وشرقت بدموعها فمسحتها بطرف حمارها) .
فتأثر سلمان وحماة لكلامها وحلم عليها ما آلت اليه حال العساسة ونصوّر حماد ان حال ملوك الحيرة سنأول الى مثل ذلك فشكر الله في باطن سره لان سقوطهم سيكون على يد غير يد

وامت المرأة حديها فقالت في ذات ليلة دعا سيدي الملك سيدتي سعدى وهذا وحلاهما في حديث طويل وفي الصباح التالي دعني سيدتي هدى واسرت الي ان ابحت عنك في بيت المقدس فما حولها حتى اقف على مكانك واطمئنت عنك واحرك اهم ساروا الى العراق وسيفيرون في دير هدى بعيد عن الشام واللقاء لا هم لا يستطيعون صراً على ما حرج من ايديهم ان يروا كل يوم رأي العين وايدي العالمين فوقه فلما سمع ذكر دير هدى أحبل وقال اي دير تعين

قالت دير هدى في صواحي الحيرة

فطر الى سلمان وقال اعهد دير هدى في الحيرة وليس حارحها فما هذا الدير فقال سلمان ان في الحيرة ديرين سسان الى هدى احدهما الاصغر وهو في الحيرة والآخر في طاهرها اما الاول فقد سمي باسم احنك هدى لما قص كسرى على المرحوم والدك الملك النعمان في اوائل حكمه وحسنه قبل ان تنوالت ناعوام ودرت شقيقتك هدى ان رده الله الى ملكه ان نبي ديرا وسكنه حتى يموت فلما اطلق سبيل والدك فعلت ذلك ومكنت في ذلك الدر (١)

واما الدر الاكبر وهو ما سميته دير هدى الكبرى فقد سته هدى من الحارث بن عمر بن حمر آكل المزار الكندي بطاهر الحيرة (٢) وهي من كنة ولست من لحم والدير كبير اذكراني رنة غير هدى وكان رهانه يرددون على مدخل سيدي المير عبد الله للمداولة شؤن نعلني باملاك هياك يا أم هذا الدير اناس من حيات

العراق وغيره يقيمون فيه اياماً وفيه ما يجتاحون اليه من الراد ونحوه
منظر حماد الى المرأة وقال هل تطيب هداً في ذلك الدبر الآن
قالت لا ادري ادا كانت لا تزال هناك لانها اوصتني بما تقدم منذ بضعة اسابيع
قصبتها في اللحث عك ولكن سيدتي سعدى اسرّت الىّ بعد حروحي من بين يدي
هدان مولاي الملك حلة انما يريد الشخص الى القسطنطينية ليقيم بقرب امپراطور
هرقل معزراً مكروماً وانه سيجعل طريقه في الدرات ومئة رّاً في البلاد التي لم يصل
سيف المسلمين اليها اما سواحل الشام فانها في ايديهم لا تجلو المور وبها من الخطر
وقالت لي انها اقنعته ان يقيم في دير هدمه ليري ما يكون من حال حد العراق
فادا طال عياني عنهم اطعمهم يقصدون القسطنطينية وداك آخر مكان يصدونه
فافعل ما يدولك

فلما سمع حماد ختام الحديث انقصت منه مخافة ان يقصد العراق فيذهب
سعيه ضياعاً وادرك سلمان فيه ذلك فقال لهُ ألا ترى يا مولاي ان مسيرنا الى العراق
رمي حراً فاصيب صيدين الم تكن في حاجة للحث عن سيدي الامير عبد الله في العراق
مسيرنا الى هناك يجتمعنا به وهدان شاء الله

فقال حماد الم نسمع ما تلي علينا اليوم من حروا قعة القادسة وهي بالقرب من
الحيرة الا نضل على الحيرة خطراً

قال سلمان ان الحيرة يا مولاي دخلت في صلح المسلمين مد اعوام وكنت شاهداً
صلحها سمي ورد على ذلك ما تعلمه من صيانة الدور عند المسلمين

فقال حماد وهل تعرف الطريق الى الحيرة

قال نعم

قال وابت ماذا تعين ما حالة

قالت لا اضي استطيع المسير معكم لما انما فيه من الاسمحال ولكني انعمكم في
طرو آء او انني في دير نخيرا ابر حراً من عدم



الفصل الثامن والتسعون

* هند في دير هند *

دير هند الكبرى، واسع شادته هندست الحارث الكندية بمجاعة ضخمة في سنان خارج الحيرة يشرف عن بعد على بحيرة كانت هناك وفي الحديقة انواع الرياحين والارهار وحولها كروم العنب والتين وغيرها من الفاكهة بأوي اليد الرهسان من اهل العراق وفيه سارل للاصيايف هي دار الصياغة تدل فيها الغرباء من المارة او نخوم يقيمون اباناً ثم ينصرفون . ورئيس الدير راهب شيخ سرياني اصله من سانايط . وقد جاء حد المسلمين العراق وحرى ما حرى لهم من الوقائع والدر في مأمن لم يصب سوء واهله آمنون

ومن يستقل باب الدير ووجهه يقرأ على عنقه نقشا هذا نصه « ست هذه البيعة هند ست الحارث س عمرو بن حمر الملكة ست الاملاك وام الملك عمرو المندرامة المسيح وام عند وست عبيد في ملك ملك الاملاك حسرواوشروا في زمان مار افرم الاسقف فالاله الذي ست له هذا الدير يعبر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقل نفومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر » (١)

في ذات ليلة بعد انقضاء واقعة القادسية وسكون الناس الى الراحة سمع اهل الدير قرع الاحراس وهي احراس تعلق ببيان بعض الدور حتى اذا مر عرس دها فيتحول له فيبيت هناك يتناول الطعام او نخوم . فلما سمع حدام الدير الدق هروا بعصم الى الباب وكان الباب تقبلاً مصحفاً بالحديد وفيه المسامير الضخمة فاطل من فوقه من عرفة صعيه فرأى ركناً على افراس ومعهم الخدم والامتعة من الى الباب فتفتحه ورحب بالقادمين واسرع الى قم الدير بحيرة تقدم ركبة كبير فلاحوا ونهت المشاة والفرسان فلما وصلوا الى ساحة الدير ترحل الفرسان وتقدم مصم فامسكوا امة الحبل ووقفوا حاكاً الامتعة احداً سمع بكاء المارة رحباً سيرة فاحسبوا هو لابرال فالتفت نحو د ب ثم اسرعت بهر شدة فسيرت شدة

ورأه لى غرفة ناول فيها تلك الليلة واهل الدبر يتحدثون في من عسى ان يكون هؤلاء الناس الذين لتلهم لا يعرف النساء فيهم من الرجال ولكنهم عرفوا من قيامهم وسروح افراسهم انهم من اهل الشام وكانوا قد سمعوا بحروب المسلمين هناك فخرج لديهم ائهم بعض كبار العساسة وهم بالحقيقة جلة واهلة فاقاموا هناك مستترين اما حماد وسلمان فلما عرفا على العراق سارا لوداع ابي عبيدة فاداهو يتأهب لوداع الامام عمر وقد هم بالرحوع الى المدينة فوقنا ربنا ودعاه فامضى عمر جملة وركب معه بعض الامراء وودع الناس وتحول نحو المدينة وسلمان وحماد بطراب اليه ويبحران بما اوتيه من رفعة المبرلة مع رغبته في الرهد والافتصار على سائط الاشياء ولما توارى الامام عاد الامراء الى معسكرهم وفي مقدمتهم ابو عبيدة فانتظر حماد وسلمان ربما حلا نسو فسارا اليه واستأدناه بالا انصراف

فقال الى ابن

قال حماد اما سائرون الى العراق لعلنا لنلقى والدي فقد طالعت غيبته قال فتناول سلامته وصحبه فانه منيم على الرحب والسعة وهل سمعتم حبراً عن جلة قال لم سمع حبراً بعد ولعلنا نعرف عنه شيئاً هناك (قال ذلك وهو يعلم ان ابا عبيدة اذا علم بمكانه نعت من يقص عليه عملاً نارادة الامام عمر فافكر مكانه)

فقال ابو عبيدة اظنكم نعترا عن علي في العراق فقد سمعت من بعض الناس انه سار الى هناك وربما يقيم في درهد الكرى خارج الحيرة فلما سمع حماد ذلك احبل ولكنه تخلد وتحامل وقال سمعت عنه جهد الاستطاعة وهل تظن عليه ناساً اذا عرف مكانه

قال ان امير المؤمنين كتب الى عماله في الشام ومسلطين والعراق كافة ان يصولوا على الرجل حيت وجوهه لانه اسلم وارتد وخرج من المدينة فاراً فتمكر حماد لنسبه لانه ينجح بكان حيلة ولكنه حاف عليه من الرقاء ومال الى التعمية في السير الى العراق فاستأذن ابا عبيدة وودعه سلمان وسارا الى حال وعين من الامراء ودعاهم وجرحاً ياهما للسير

الفصل التاسع والتسعون

وادي الفرات

وبعد بضعة أيام حملاً ما استطاعا حملة من المتاع وحرماً من بيت المقدس وفيما هما في الطريق قال حماد لاطمأ إذا اتينا العراق عائدين الى هذه البلاد فلأ حد امتعنا التي تركناها في بصرى وخصوصاً الدرع فامها كبرئيين عندي وقد احتاح اليها في دفاع او هجوم فمراً بصرى فبرلا البيت حملاً مة ما طاب لها من حثيف الحمل وعالي الثمن وحرماً الى دير بحيرا ودخلا الصومعة قلاً ايقوباتها فتذكر حماد اياماً مرت به هناك فهاحت فيه ذكرى همد ونهت استعانة وتاقت نسيه الى العراق لملافاة حينئذ قل ان يصيبها سوء ولقيا في دير بحيرة خادمة همد فسألاها عن حالها فقالت انها سنسير في اثرها مع قافلة من قوافل العراق

اما هما فاصطحبا حادماً او دليلاً يسوس الحبل ويدلها على الطريق وسارا وهما نارة يمران نعباص وطوراً رمال وآونة بحال واودية وثارة صحور وعرة وكانت اكثر المفاع مشقة عليها صحراء السام وفيها نعام مدية تدمر العطى وبعد بضعة عشر يوماً اطلأ على وادي الرات من اكمة مرتفعة فاذا هو سهول مسطحة يجترقها الرات وفيها القنات والخيرات سمها المعارس والساتين والمرارح وكان وصولهم الى هناك قبل العروب فوقها والحادم يصب الحبيبة على بية المبيت فوق ذلك الل اما حماد فوقف وهو على متن حواده وانتمت الى تلك السهول الحصنة وما تظللها من القرى والمدن وفيها الماشية عن بعد وتجر الحبل كأنه حد واقف لالقاء الحبة فتذكر والد العار وقال في مسه هذه هي البلاد التي كان يحكمها والدي ومررت بذاكرته حيالات حمة اكثر شها محيف ولكن صورة همد كانت تظللها كلها فتربل المحاور على انه ما لب ان يصورها في حال الصبى همد من اعماق نصوراته وعاد الى قلنته

أما سلمان فكان يساعد الحادم في نصب الحبيبة واعاد معادات الراحة فلهذا خرج من ذلك حاء الى سدة وطلب اليه ان يترحل نترحل لساني الحادم الرية رية في حاد ويهينان يطران معاً الى وادي الفراء

فقال حماد وابن موقع الحيرة يا سلمان
قال ان الحيرة اول مدينة تستملك قل وصولك الفرات واظلمنا نشرف عليها
عدنا وبينا وبين القادسية بضعة عشر ميلاً

ثم جلسنا للعشاء وانصرفا بعد للرفاد لان التعب اخذ منها مأخذاً عظيماً . وفي
الصباح التالي بكرأ وركنا وحماد لا يصدق انه بشرف على الحيرة ويرى دبره وولو
عن بعد وبعد ظهيرة ذلك اليوم اشرفا على بحيرة من الماء كهيئة طها حماد لاول
وهلة سراً فقال ما هذا يا سلمان قال هذه بحيرة الخف يا مولاي وعلى صنامها حرت واقعة
القادسية التي سمعنا حبرها في معسكر ابي عبيد ووراء هذه الحيرة شمالاً مدينة الحيرة مقام
المادرة احداثك ووراء الحيرة شرقاً هـ الفرات واما دبره فهو حارح الحيرة وربما
اظلمنا عيبه بعد قليل ولا يخفى عليك ان معظم الكروم والساتين المحاورة للدر في
صواحي الحيرة هي من املاك الامير عبدالله ولا تدري ماذا جرى فيها بعد واقعة
القادسية واداك كان مولاي الامير من شهدوا الواقعة فاطمة بندي حطها وحمايتها

فقال حماد الانري اذا اظلمنا على الحيرة الآن ان سبت في الدر الليلة
نل لا اظلمنا سميع ذلك والمسافة بعيدة ولا تدري ما هالك من العفقات
... بيت الله في مكان عتي مبرنة من الحيرة وفي العبد سيرا الى الدر

قال حماد وفي العروب ظهرت لها الحيرة ما سبنا ولكن الظلام عشيها قبل ان
ميناها فما تلك الليلة واسمها وحماد لم سم الا قليلاً لثقة قلقه وشوقه فكان كلما تصور
الافاقه قد احلج فائمة فوصلا صواحي الحيرة عد الظهيرة فاطلاً على درهده فلما رآه
حماد ذكرته بعرفته من ذي قبل ولكنه لم يدخله متبها بين الكروم ومعارض الساكنة
والرياح وسلمان ندته على ما ملكه الامير عبدالله منها وحماد يريد استئناسا ولكنه
ما راى هاجس مهدي لا صرته على لقاءهم وصلوا الى قنات من الماء تظلمها تنعق عظيمة
وحومها الامتار يا عنة يترها السيم الطيف فتسرع لا ورافها حبيباً تطرب السمع بما يمارحه
محرير ماء حدي فوق الحصاص فتندم سلمان الى حماد ان يستريحنا ههناك ويتناولوا
الخبز ربي الامير بسا

وهو سمان سوري ثم دلت كيف تكون شرب الدبر ولا يسرع اليه
... لما رآه الامير سمان سوري ثم دلت كيف تكون شرب الدبر ولا يسرع اليه
... لما رآه الامير سمان سوري ثم دلت كيف تكون شرب الدبر ولا يسرع اليه

قال لا اراي قادرًا على ذلك ولا يد لي من المسير معك فلتترك احمالنا تحت
هذه النخلة مع الخادم وذهب الى الدير
قال افعل ما بدا لك فسرنا وعسلا ايديهما ووجهيهما من العار وهما بالمسير

الفصل المئة

﴿ العشل ﴾

ركنا وسارا بين الاشجار والشمس فوق الرؤوس فلم يعمهم ظل الاعضاء الا
فالملاحى انتبيا الى باب الدير وحما قد سد صهونه وكان سلمان عارقا الحرس المعلق
هناك يجذب الحمل فدق احرس ودق قلب حماد معه فوقها رهة لم يخ لها احد فاعاد
الدق وبعد قليل اطل من فوق الباب راهب وقال مستهجا : من انتم

قال سلمان رواد للدير

قال من انتم قادمون

قال من جهات الشام

فقال الراهب للجهة الاولى : لا تسل للرياء عدا « ونحوّل الى داخل الدير
ساداه سلمان فلم يحب فكلمه سلمان اهل الحجرة فعاد الراهب وتذكر ان يعرف
ذلك الصوت فاطل ما من اعلى الباب وقال من انتم

قال سلمان اسما من اهل الشام واما نحن عراسون ملككم افعلوا لنا فتنرس الراهب
في وجه سلمان رهة ثم حذب سائلة مدود بالبادن فتع الباب فدخل حماد وسلمان
ودرسهما وراهما فاحد الراهب يرحبهما وينصر الى سلمان هذا سرف

فقال سلمان يعرفه انك حصونك واسرارك

فالتفت اليه وقال ايسر يا رحمة الله لا مهر عدا

فقال لي هو هبل ريت راع دمداد

فما اؤده ما اذا هو الآو به

ر ر ر ر ر ر ر ر ر ر

فتلما فقد كان لما عوياً ومغماً بورك فيه ومرحاً ما به
وما رالى سائرين حتى اتوا دار الصيافة وحماد يطر يمة ويسرق وقد شاعت
عيابه لعله يرى شيئاً يتسم منه رائحة هدى فلم يرَ إلا رهياً وفعله فدخلوا دار الصيافة
وتناول الفرسين بعض الخدم فساقوها الى الاسطبل وبعثوا من يدعو الخادم
ليأتى بالاحمال

اما حماد فعاظم قلقه ولم يعد يستطيع صراً فادرك سلمان فيه ذلك فاستدر
الراهب بالاستبهم عما سمعه من فتح الباب لها حالاً وما الذي يحاقوه من اهل الشام
فقال نلتهم من الامير حماد عدواً على توفى عن استقاله رهة وما ذلك الا
لانا وقعا مد ايام في ورطة نسب صياف رلوا عدما وكاوا قادمين من الشام
فقال سلمان ومن هم اولئك الاصياف

قال حياء جماعة رلوا في هذا الدبر شهراً ومحى محسهم من اعيان الشام فما لسا
ان عرفوا اهم حيلة من الالهم وارأته وابنته وبعض خدمه
فلما ذكر حيلة واهلة حتى قلب حماد وحاف ان يسمع حراً بسوءه وقد عودته
حوادث الايام ان يسيء البأل في كل مستقبل فاصاح سمعه ليرى ما تم لهم واكتفى
ماصعائه حالاً للراهب عن امام خدمه - وكان بعض الرهائن قد حاووا بالمواغبين
فيها الماء ليعتسل الصياف فم يتب احد منها اليها وظلا مضعين

قال الراهب فاقام الملك حياه يسا اياماً على الرحب والسعة ومحى لا يحسنه الا
من بعض امراء الشام على اما كنا محب لاحتواء في الدبر واحساسه عن العيون
ومحى تنوسم من حواء وخدامه انه محب للصيد والفروسية ولكن الامر انكسف لما
بعضه جماعة من حشد المسلمين في عصارى بعض الايام وفيهم الفرسان والمشاة
وقرعو الباب فتحها لهم ومحى غير حائمين لما تعلمه من اليهود التي حصصوا الدبور
والكائنات بها فخرج الرئيس لمخترم لاستئصالهم فمالوا لا خوف عليكم ولكن عدمكم
عدواً نراً ما في حرب اسام وكان قد سلم تم اريد فلا بد من النص عليه وسوقه
الى الامير سعد بن مالك

فساله الرئيس عن ذلك العدو فقال انه حيلة من الالهم ملك غسان وكان حيلة
قد رأى الرجال وتم ايمهم قادمون ليدخلوا فترخص ولو كان وحده لتمكن من

الفرار ولكنه لم يجد اليه سبيلاً . ففصلوا عليه وساقوه حالاً ولم يملوه ريثما يلتفت وراءه
فقطع سلمان الحديث قائلاً هل ساقوه وحده
قال ساقوا معه امرأةً والخدم

قال حماد ومادا حرى لاسيه . قال ذلك وهو مضطرب المحواس
قال الراهب اما انت هذ فكانت قد خرجت في صايج ذلك اليوم لزيارة دير
هد الصعري في الحيرة على ان تقضي بها رهاهاك ونعود في المساء . فلما اُحد والداهما
لم تكن هي هاهنا جاءت في المساء اخبراهما بما كان فاحتلت ولطمت خديها
وبدت والداه ثم وقفت تنكي تارة وتفكر أخرى حتى قارت الشمس الروال
ومحى بحمف عنها فساء لسا عما قاله لسا والداه قتل دها و فاعندريا مانه لم يستطع كلاماً
لفرط ما الحول عليه بالذهاب فاسرعت الى حواد لها كان باقياً هاهنا فركبت وترملت
بعاءة من الحرير المراكز كأمها فارس معوار واستنهمت عن الحقة التي ساروا فيها
بوالدها فاشربا اليها فمهرت الفرس وحرحت نهب الارض ههنا ونحى لا بعد مثل
ذلك في السات . ثم لم بعد علم عنها حراً

فما اتى الراهب على تمام الحديث حتى انقصت من حماد وانقدت العيرة في قلبه
وتولاه اليأس فالت صامتاً كأنه اصيب بصدمة ثم التفت الى سلمان فادا هو صامت يفكر
فاستعرب الراهب ما ألمّ بهما من العنة وعهد بالخبيث يسرون بما يسوء العساسة
لما يهما من الصعائ القديمة فقال لها ما مالي ارى حديث حلة قد هكنا الى هذا الحد
وهو عسائي العلكا من عسان

فقال سلمان لم يهما حدثه ولا يهما امر العساسة كلهم وكسا مكر في تلك الفتاة
المسكينة فهل مضى على دهاهم منذ طولة
قال لا تريد على بضعه عشروماً
قال وهل سمعتم عنهم تماً بعد

قال سمعنا احداً بصارفة من سائل ان بعد امير حماد المدين قياهم حالاً
وفائل امهم قتلوا قتل وصولهم اليه وقابل امهم لا زالوا احدا
فارداد اصصاب قلب حماد وهم الميوس فاقدره سلمان وقال الراهب متهاذلاً
ومادا سمعتم عن استه المسكينة

قال لم سمع شيئاً عنها منذ حروجهما ولعلها اقتضت آثارهم الى معسكر المسلمين فلم بعد حماد يستطيع صبراً فمضى الى حواده وتبعة سلمان وكان خادم حماد قد وصل الدبر بما معه من الامتعة وجعلها في مأ من . فامردا في مكان فلما حلوا قال حماد دعني يا سلمان اقضي أثر حلة فقد صاق صدري وتحدثني بسبي نسوة اصابهم جميعاً . اهدى هبة آملتي ونتيجة انعابي قال ذلك وحرق اسنانه وتلاأت الدموع في عيني ولكنه تخلص تخلص الرحال وقال عليها السعي يا سلمان وعلى الله التدبير . يا الرأي

قال الرأي ان قصد معسكر المسلمين ودخل على سعد بن مالك اميرهم فمسأله عن مولاي الامير عبدالله وهو عندك من كبار المشيرين كما تعلم فادا لقياه اعانني في البحث عن حلة واهله وادا كان حلة لا يرال حياً وسطاً الامير عند الله بالعنوعة فقال نعم الرأي رأيك ولكن هداً أين هي

قال نظمها معهم وهب ان والدهما قتل فهي لا تقبل لان المسلمين لا يؤذون النساء فقد تكون عندهم في حنط وخصوصاً اذا كان سيدي الامير عبدالله قد رآها او عرف مقرها

وتال حماد الا نظمهم يتحدونها سبية اعوذ بالله قال ذلك وهم بالحواد بركة فقال سلمان بل يا مولاي ربما نلاقي ريس الدروسأله عن معسكر المسلمين لئلا يدل السعي والوقت عتاً . قال حساً وتخلدا ودخلا على الرئيس وكان قد عرف قدمهما فرحب بهما وقبل حماداً وامرهما بمائة فقال لا نستطيع طعاماً لاسا حارحان على عمل لامرهم لنا وقد حشا لوداعك قال انودعاني قبل ان تلتقي قال كذلك قصي علينا وام تعلمون ان سيدي الامير عبدالله في معسكر المسلمين وفي بيتا ان يذهب اليو فاس هو معسكرهم

قال ان المسلمين معسكرهم الآن تجاه المدائن في مـ رتير (١) واطمكم تعرفونها وهي بالحقبة قسم من المدائن فامها في العرب والمدائن في السرق وبها دحلة . فقد برل المسلمون على مـ رتير وحاصروها شهرين ورموها بالنال والحمايق حتي فتحت . فاحبونها وهم عاملون على فتح المدائن (٢)

فقال سلمان ابي أعرفهم شر حيداً ويسهل علينا الوصول اليها اد لا يحول
يسا ويسها الأفرات وبعض المسهل

الفصل الحادي بعد المئة

﴿ فتح المدائن ﴾

مودعا الرئيس ورلا الى العرفة التي أودعا الامتعة فيها فليس حماد درعه ورداء
والملك الملك العمان وحمل حائمه من اتوا وسلمان يطر اليه فسأله عن سبب لبسه
ذلك الرداء فتهد وقال السبا داهيين الى المدينة اني قتل فيها والذي العمان

قال بلى

قال ألسا في شك من فناء هدية

قال الله اعلم

قال حماد ومحي يعلم ايضاً انها قد تكون حية او ميتة اد لا يعرف احد مكانها وقد
سبق والدها الى النبل لا محالة نادا كانت لحقت به فلا يحلو امرها من احد حطرس
اما ان تكون سبية او قبيلة وكلاهما موت فهل اطمع بعد ذلك في الحياة وقد آان الوقت
الذي يحس علي ان يتم فيه لو الذي ومن حود المسلمين على اواب المدائن واني محارب
معهم حتى ادخل الاوان - سي فاقبل كسرى يدي ساداً فقلت فما انا خير من هدد ولا
عشت لي عدوا واد حبيب فذلك امر الله فترة الحكمة لا تعلمها قال ذلك
وقد علاه العصب ونحلت في وجهه مهابة المنيك فاقطع اسرته وما زال بلس درعه
وصلل حدته مسموع الى الحارح فهبت سلمان من مزاج ولست صامتاً لا تدري
مايقول ثم قال ألا ترى ما يولاي ان شكر ربي المله لير انا بسمه يوماً في دار المعركة
فيحسبوا من الفرس او من عرب المدينة احلامهم

قال لقد رامت حسناً وكار به تياب سلمان كيرس ملك الاواب لما كان
يحتاج اليه من التكر فافتخر حبيب لسكن مما مر، وجمه عنه هل تخمار حتى
لا يشك الناظر اليهما في اما سخمارنا

وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل وهم اهل الدبر نهضة طعام المساء فشاهدوا جماعات منهم عائدتين باحمال الاثمار والاحشاش من سائين الدبر ثم ركبوا واطلوا الاعنة للحوادين فقصبا من صامتين وافكارها ساجدة في ما سمعاه يستوقف محاربها اصوات حوامر الخيل وانغام وقعها بين فرقعة على النخارة وهمس على الرمال وهما لا يتكلمان فامسى عليهما المساء وراه الحيرة فانا في كيسة هياك واصحابا راكبين فمرا يحيف بعضها رمم حيول وجمال والعص الاخر جنت آدميين معنقة في تلك السهول لم يبق منها غير العظام الصلبة التي لم تقدر على قصها السور . فتدكرا ما وقع هناك من الحروب الهائلة بين المسلمين والفرس . ثم قطعوا الفرات على حسر من السن وفي اليوم التالي اشرفوا على المدائن وقصورها عن بعد فرأيا فوقها صائاً كثيفاً يكاد يحجبها عن الابصار فقال سلمان لند هي امر هذا الصاب فاني اظنه عمار الحرب وبجال لي ان المسلمين بها حوون المدينة في هذا الصباح . ثم وخرنا الحوادين حتى وصلنا مرسير فاداهي في هرح والناس فيها بين فارس وماش يهرعون نحو الهر فسلأ عن سعد بن مالك ففيل لها انه يحوص الهر فيفتح المدائن والمسلمون يقتلون اثنه ففتننا عن الامير عند الله فلم يثنها محب احد فصعدا الى اكمة اشرفا منها على المدائن ودحله فرأيا المسلمين يقطعون الهر بافراسهم والرماح مشرعة في ايدهم^(١) وبعضهم قد بلغوا الصفة الاخرى يحملون الاعلام . ونظرا الى المدائن فاذا بعض حاميتها قد حرجوا من الاسوار بافياهم وافراسهم واعلامهم يتأهبون للقاء المسلمين وقد علا الصييح حتى استكمت المسامع ونصاعد العمار حتى حجب السماء مهاجت عواطف حماد وحرى دم الملوك في عروقه وتارت الحبيبة في رأسه فطر سلمان اليه فرأه قد احمرت عيائه وهو تنفرس في ساحة القتال كأنه بهم بالوثوب اليها فقال له ما نال سيدي في شاعل

فطر حماد الله وقال « اراني يا سلمان راعياً في رول هذه الساحة فقد آت ساعة الانشام لواندي هؤلاء هم قتلة العمار من المدر قد رلوا لتال المسلمين ولا اراني صاراً عن مشارلهم ووصية والدي حارحة من طلعات القدر ولا ريب عدي يا سلمان ان نقاعدني عن القيام تلك الوصية من اول الامر هو الذي عرقل مساعي

وحرمني من هدى لان طاعة الوالدين واجبة وقد تنهاملنا في هذا الواجب محوزيا
 بالتعب والشفاء والفشل والقنوط . ألم تكن هدى طوع ارادتنا لم يكن والدها راصياً
 في ينتظر ساعة القربان . فما ماله احجم ونعير من يوم قرأنا تلك الوصية المقدسة
 وعولنا على اعمالها ذلك اول قصاص لئلا وما رالت تتوالى عليها الاحز وتنف في
 « سبيلنا العنتات من ذلك الحين حتى حرج النصب من ايدينا او كاد وكأن الله سبحانه
 ونعالى قد حرّمنا الى هذه الساحة ليدكرنا بما ارتكسناه لعلنا برعوي ونصدع بالامر
 وكأني بوالدي يباديني بأعلى صوتيه من اعماق قعره وإطعمه ما املك يفعل ذلك
 مند اعوام ولكسا كما يعيدني عن مدفو لم سمع الداء وتحدثني نفسي يا سلمان ان
 امارل هؤلاء الفرس في حملة المارلين وعليّ رد المعان من المدر ويدي حاتمة
 فاما ان أقتل شهيد النار المقدس واما ان احيا بعد الصر واطفر بحطيتي فيطيب لي
 القربان عملاً بوصية والدي فقد اوصاني ان لا اقضي امراً مثل هذا الا بعد الاستقام له »
 وما اتى حماد على آخر كلامه حتى ارتعشت امامته وثار عواطفه ولم يمالك
 عن ان همر حواده نحو الهر محاص الماء وخاصة وسلمان في اثن حتى انيا الصفة
 الاخرى قرأيا المسلمين يطاردون الفرس حتى دخلوا المداين ودخلوها في اثرهم .
 واولع المسلمون في المداين وحماد في حملتهم حتى اتوا ابوان كسرى ودخلوا حديقته
 وحيولهم تدوس الارهار والرياحيب ورماحهم تحترق اعصاب اللبموس والارد رحت
 حتى وصلوا باب الابوان فكان حماد اول داخل وقد عول ان يقتل كسرى بيده
 والابوان قاعة كبيرة ^(١) طولها مئة ذراع وعرضها خمسون منية بالآخر والحص
 سقها عقد واحد قائم على عمد من الرجام المنقوش وفي صدر الابوان عرش يجلس عليه
 كسرى تعلوه قبة مرصعة في داخلها مروحة من ريش النعام والى حايي العرش
 محاليس الاعوان والورداء من المرارة والكهفة وحدران الانوان وسقفة مرصعة
 بالرسوم وفي حملة ذلك رسم كسرى اموشروا وعيون من الاكاسرة العظام واميات
 من الشعر الفارسي مكتوبة بالحرف الكدائي وفي سقف الابوان رسوم الافلاك والاحرام
 فلما رأى حماد نفسه في وسط الابوان ووقع نظره على ذلك العرش اسرع نحوه
 وهو يحسب كسرى حالساً عليه فادا هو حال وليس في المكان احد من الفرس لزارهم

جميعاً الى حوان^(١) ولم تمص لحطات حتى امتلأ الايوان بالمسلمين وقد اخذوا في تكسير التماثيل ونرقى الصور وكان الدرس قبل حروهم قد حملوا معهم ما خف حمله وعلائمة ونقي مع ذلك ما لا يدر قيمته من الذهب والحجارة الكريمة والثياب المروكشة والاسلحة المدهمة والتيجان المرصعة

اما حماد فحالما تحقق سقوط المدائن لم يعد يشغله شغل عن التماس الامير عبد الله فلم يره بين الهاجرين فاسئل باله عليه فاعر الى سلمان ان يساعده في طلبه وكان سلمان اكثر قلقاً عليه من حماد فقال لحما لا تعدات عن هذا الاوان فاني داهب الى سعد بن مالك امير هذا الجند لعلني اسمع منه خبراً عن سيدي الامير قال حسناً ونفى حماد في حملة الحميد لا يسمعته احد حتى سكنت العوامة وهو يبطر الى ما يحمله الفاتحون من الخف العربية وفيها التيجان والسيوف المرصعة فسمع قائلاً يقول هذا هو سيف النعمان لما سمع ذلك حتى قلته وود لو يباله هو ولكنه لم يحسر على التماس فقال في باطن سر هذا هو سيف النعمان وهذا اس النعمان وهذا رد النعمان وهذا حائه قد شهدوا حرب اعرس معاً ورأوا سقوط دولهم رأوا العين وذلك ما نتمناه والذي ولم يبق لي في امة ما أرب الا اذا طمرت مسنتي ومنتهى اربي ولم يكذبك تذكر هذا حتى عادت اليك امة وسبي موقنة والباس في شغل عنه فمهر حواده واحد في الخت عن عبد الله فتذكر موعده مع سلمان فوقف حتى عاد سلمان فاذا هو مندب النوح فقال له حماد ما وراءك قال لقيت بعض حاشية سعد من مالك وسألتهم عن الامير عبد الله فقالوا انه كان معهم ولكنه خرج من المعسكر اول النارحة ولم يعد

فقال هل سألتهم عن حملة

قال سألتهم فقالوا ان بعد الامر لم يمد فصر عيه

فقال بل علمت اذا كنت هدم معك سد قبوه وما ذا جرى لها

فقال حسنت امها لم يكن معه ولا يدرهم له يصل اليه ففقد قل لي فمهر ان حماله

سبي اسيراً ومعه مائة دية وسبي في حال لا تصماتين الحقيقة الا ان سيدي الامير عبد الله

وتركا المدينة والمسلمون بحسوتها من جملة حدهم لما تنكروا به من الري المحاذي
حتى اذا صاروا خارج الدائن قال حماد لقد قصي الامر يا سلمان وسقطت عاصمة
الفرس وان يكن ملكها يردحرد فرّ ولم يقتل بعد ولكنه مقتول لا محالة فما قد اعدنا
وصية والدي ولكما ما لئنا ان سمعنا بمقتل جملة ونح في ريب من امر اهله ولا تعلم
مقر هـد قال داك وحرقت اسائه واطرق

فقال سلمان لا اطر هـدا الا في بعض الدور وعلى كل حال اسال استطيع
امرا قبل مواجعة الامير عند الله

قال حماد وما العمل

قال اري ان يقتل عه

قال احاف ان يكون قد اصاب حننه ايضا

قال لا اطر ذلك لانه لم يكن في المعركة وقد علمنا انه كان في المعسكر قبل
الهجوم ولعله التجأ الى مررعة من مرارعه حوقا من الحرب
قال أنعرف له مررعة قريبة من هذا المكان

قال اعرف مررعة له على نضعة اميال ما فلنذهب اليها لعلنا نفق على حده من
بعض الملاحين هناك

قال حماد سر انت في هذه المهمة ودعي اعود الى الحيرة احدد البحث عن هـد
لعل احدا من اهل الدبر يثني بحبرها ولنصرب موعدا لثني فيه مكان نعيه
قال لقد رأيت رأيا حسنا وأرى ان لثني في دبر هـد الصعري في الحيرة بعد
ثلاثة ايام من استطاع حرا قصة على الآخر واقتربا



الفصل الثاني بعد المئة

* آين هند *

فاطلق حماد لحواده العمان وعاد محاض دحلة واعرب تلمس الفرات ففقطعه
وسار قاصداً دهرهد الكرى وات في الطريق ليلة ورل على الدر في اصيل اليوم
الباي ففرع المحرس فتحواله وهم مجسونه مسلماً لتكن لباس المحاربين ورحلوا به
ولشوا ينتظرون ما بهيه فلم يكلمهم وطل قاصداً الرئيس وقد عرف غرفته فاستقله
احسن استئصال وبالغ في اكرامه فلم يصبر على تكن فاطلعه على حقيقته فساله عما
لقيه فقص عليه حبر المداين وفقها فذكر الله وقال لقد توسمنا قرب سقوط العرس
مدائمه لانه سبحانه وتعالى لا يبق على عنة البار فان هؤلاء الفاتحين وان لم يكونوا
بصارى مهم يعدون الله ووجودونه ويؤمنون بالاياء والرسل ويدكرون عيسى
ومريم بالخير في انتصارهم نصره للدين القويم

ولم يكن هذا الحدث ليهم حماداً ولكنه صر حتى فرع الرئيس من كلامه فقال
له هل سمعتم شيئاً عن حلة بعد دهاني
قال لم نسمع عنه شيئاً ولكنها سمعنا حراً عن اسو
قال وماذا سمعتم عنها

قال ان بعض رهبانا يملكون الحيرة مرنس في الاسوع محضرون سوقها يستبدلون
ما ينصل عندها من علات ارضاً بما يحتاج اليه من الاسحة او الآيه او محوها
فانق لندس رلوا على اترحروح حلة واهلواهم رأوا ملك النساء في بعض طرق
الحيرة على اهم احتلوا في حقيقته فاكرها بعضهم واصراً الا حروا على انها هي هي نفسها
ولا ندري انها مصناً

ولما سمع حماد ذلك قال الا يتارل حصق المحترم لاسفدام اولئك الرهان لعل
اتحقق الامر سنسي

قال حماداً وكرامه وصنى حنا- راهب فامر ان يدعوراها بين سماها وبعاد هنيهة
جاء الرهان فسالها حماد عن تلك النساء فقال احدها رأياها قبل ان تدخل الحيرة

قرب بحيرة هناك وبحال لي انها امه حلة ولكن اخي هذا يكر علي ذلك
فقال الآخر لا اظنها هي لاني لم اتوسم فيها ما عهدناه من الالة والعرق فقد
عرفناها هنا وفي وجهها مهابة الملوك وفارقتنا على حواد كأنها من امهر الفرسان والفتاة
التي شاهدناها لا اقول انها لا تشبهها ولكنها اشبه نعامه الناس معها بالملوك
او الامراء

فلما سمع حماد كلامها تغير في امره ومال نكيتيه للمسير الى الحيرة يتفقد هنداً
سوسه فظاهر بالاكتماء بما سمعه وهم بالهوى ودعاه رئيس الدير للمبيت عندهم تلك
الليلة فاعندرما يدعوه الى سرعة المسير وودعه وخرج والتمس قد مالت نحو المعيب
وحمل الحيرة وجهته ولم يكذب تنوارى عن الدير حتى اشرف على الحيرة ورأى عديرها
المتصل بالبحيرة وقد عانت الشمس واحدت الكواكب في الظهور فاطلمت الدنيا
في عيبه فالتفت فاداهو على ميل ونص الميل من المدة ثم اشتد الظلام ولم يعد
يرى الطريق فتبين له عن بعد نور مردوح عرف من حقايقه انه وقود عند الشاطئ
انعكس نوره في الماء فظهر مردوحاً مقصداً وقيل ان يصله سمع صوتاً يناديه بلغة العراق
« من است »

فقال عريب لا اعرف الطريق ومن است

فقال يا هلا بالصيف يا هلا بالمارس

ثم رأى حماد الرجل قادماً ويده خشنة مشتعلة يستضيء بها فتفرس فيه فاداهو
تبع طاعن في الس قد استرسلت لحية وشباب شعره ولكنه لا يزال في ساط الشباب
عليه عناية خلقة ويده عصا كبيرة يعرف حماد من محبل مطر انه راع على انه ما
لست ان شم رائحة الرربة وسمع معاء الماعر فتحقق طه ولكنه لم ر حولة ماء ولا حمة
فترحل وسلم والراعي تنفرس فيه ويظهر نارة الى وجهه وطوراً الى لاسه
ثم قال انه ما نالي ارى لاسك حمارياً وكلامك عراقياً

قال لي من كليهما وقطع الكلام فسكت الراعي وتقدم الى الفرس فتاده نعايه
وليس في ذلك المكان غيرها فمتسا لا يسمعان صوتاً غير معاء الماعر وبقى الصنادع
حتى انتهيا الى كوخ صغير مبني من سعف النخل وقد رص عد نابه كلب كبير الحنة
طل راصاً هادئاً كأنه ادرك ان المارل صيف لا خوف منه على القطيع

الفصل الثالث بعد المئة

* أين السبي من الحلي *

أما حماد فلما وصل الكوخ واشتم رائحة الرعاة استسكف من الدخول اليه فقال
 للشيخ دعنا نخلس ههنا فان ذلك امرح لنا
 قال مرحباً بك حيثما حلست واباه بفرو من جلد الماعز جلس عليه وذهب الشيخ
 بالفرس الى عمود وراء الكوخ شدة اليه واحد في ريع السرح وفيما هو يفعل ذلك
 سمعه حماد يتنم ويقول اقوالاً لم يههها
 فاداه فلم يحبه فاعاد الداء فحاء الشيخ واللحم بين فطر حماد اليه فاذا هو يتنم
 فبات لثته ولم يبق فيها الا س ناررة الى الاعلى
 فقال له حماد ما يصححك يا احا لحم
 قال اما اصحكي ما رأيت في عنة هذا الخواد ما يشه عنة فرس تعودت ان اراه
 كل ليلة من ليالي الاسوع الماضي بركة فارس قد اعجني فيه ما اعجني فيك
 قال من هو ذلك الفارس وما الذي اعجك فيها
 قال لقد اعجني فيكما التكر فان دالك كان يا بيبي في كل صباح ملتماً وعليه
 عاءة من الحزير فيكله في صوت النساء وعليه رداء الرجال وابت حثني لباس
 الحمار وكلام العراق فلا ادري تعيرت الارض واحتلظت لباس ام كيف
 فتذكر حماد هدأ وما سمعه من نرمها بالعاءة يوم خروجها من الدر فاستأس
 بحديث الرجل منهم ناسب صاحبه فاذا هو قد تركه ونحوّل نحو الرهبة فاستقدمه
 فاحاب انه آت على عمل فلت حماد كأنه على مقالي الحمر حتى عاد الراعي وفيه
 قصعة من الحشب قد اكمل لونها من نوالي السبين على استخدامهما بالاعسل وفيها لن حلة
 من ماعره وقدمها له ليسرب

فاعندر حماد نانه لا يجتاح الى طعام

فقال الشيخ لقد رلت صيماً فما عليك الا ان نساوّل الطعام واداكنت ملاّ
 الجوف تمهل ربما آتيك بعض الحمر قال ذلك ونحوّل نحو الكوخ وعاد نقصة فيها

خمر فقدّمها لحماّد وهو يقول اليك هذّ الحمر فامها من غلّة كرمنا هذّا العام . فتناول حماد القصعة لا رغبة في الشرب ولكنّه خاف اذا اعتذر ان يأتية الشّبع بشي آخر ثمّ جلس الراعي بجانب كلّو ويدّه على رأس الكلب بلاعب باصيته بين اصابعه وهو يطر الى حماد

فابتدرة حماد قائلاً ذكرت لي الفارس المتكروم نتم حديثك
قال هذا هو كلّ حديثي عنه فانه أُمّي مدّ بصعة عشر يوماً فاقف حواذه عدد
هذّا الكوچ وسألني الذهاب الى در هذّ لاسنهم له على اناس قادمين من الشام هل
رأول الدبرام لا . وكنت اذا بطرت اليه رأيتة فارساً مليماً فادّا تكلم حلتة امرأة
فسألته ان يجسر اللتام عن وجهه فأني ودفع اليّ ديناراً فاطعت امره ووعدته
بالحوّاب في المساء فعاد في المساء وهو بطي دهمت لانا د مهمته ولم يدّر اني لا استطيع
التخلي عن ماشيتي وليس عيدي من اعهد امرها اليّ فلما سألني احتنه اني سألت
اهل الدير فقالوا انه لم يأتهم احد وما زال يكرّر رنارته ودفع الدايير واما احبته
حوماً متشابهاً حتى اذا كان مدّ بصعة ايام استخفي بدرّ الماشية والسيدة مريم ان آتية
بالحمر البقيس فسرت الى الدير فسألهم فقالوا انهم لم يأتهم احد وهب ان احداً من
اهل الشام جاءهم فلا يقلون رنارته . فلما احت الفارس هذّا الحوّاب غصب ونغم
وكاني سمعته يلطم ثمّ تحوّل عني ولم اعد اراه من ذلك اليوم فدمت لاخلاص الخدمة
واما ذ المهمّة بالصدّاقة فلما رانتك وآست ما آستة من المساهمة فكما صحكت
وعوّلت على ان لا اصدّق في خدمك

فلما سمع حماد ذلك تحقّق ان السائل هذّ نعيمها فقال للشّجّ ألم تعلم الجهة التي
سار فيها ذلك الفارس

قال لا . وهب اني اعلم ما انا صادقك

فمدّ حماد يده واستخرج دينارين دفعهما اليه فساوّل لتيج المقدس وهو يفرس
فيها ويصحك ثمّ قال اما اذا شئت ان اصدّقك الحمر فاعلم ان الفارس سار محاداً
لهذا الشاطئ فاصداً الحبر فلما بعد عني وصار على مقربة من المدينة رأيتة ترحل
ووقف مدّة فطنته عائداً اليّ واشعلت عنه رهة ثمّ التمت فلم أره
فاستولى الفلق على حماد وعجب لترحلها ووقوفها ولث صامتاً بفكر ثمّ قال ومتى

حدث ذلك

قال حدث منذ اسوع

اما الشيخ فلما آتس من حماد بذلاً حاول المبالغة في اكرامه ففعل بتقديم له
الحمر واللبن فلما رآه لا يشرب شيئاً وقد مضى بعض الليل دعاه للرفاد في الكوخ
فقال حماد لا احتاج الى رقاد

فقال اذا كنت تحقر كوجي وقد تعودت المام على الاسرة فاني معذ لك فراشاً
من الحرير ودخل الكوخ ثم عاد وفي يده ملاءة مرتبها له ففعل حماد لوجود ملك
الملاءة عنده ففارس فيها فاذا هي عمامة مزركشة فأحل لروثينها ومد يده فتناولها
ونظر اليها بصوء القمر فاذا هي عمامة هدية وكان كثيراً ما يراها عليها اذا ركبت
فصاح في الرجل وأنى لك هذه العمامة . فصحك الراعي صكحة يمارحها خوف ولم يجب
فقدم حماد على ما اداؤه به من الجناء وقال بهدوء لقد اغضي لطفك وحسن
وفادتك فاني يا عمامة لا استطيع القيام بحق شكرك على هذا الاكرام الا تحبرني ممن
انتعت هذه العمامة

فسكن روع الشيخ وأشار الى كلبه وقال انها من صيد هذا الكلب

قال وكيف ذلك

قال افنتدنه ذات صباح فلم احده وكان قد تعود السرح في بعض الايام ثم
ما لست ان عاد وقد عص على هذا الرداء فيه وجاء بجره وراءه

فارداد فلق حماد وقال ومن اي جهة قدم به

قال من جهة الساطي

فقال الا نطلمها العمامة التي كان ذلك الفارس ملتجئاً بها
فتضح وبشاعل عن الحواب وحرك حاحيه وكنفيه كأنه يقول لا اعلم



الفصل الرابع بعد المئة

❖ المناجاة ❖

فتحقق حماد انها عماء هدد فخاف ان يكون لوجودها هناك سبب محزن فتحقق قلبه ونشأه وحدثته نفسه ان يتنعم الشاطئ لعله يقف على اثر آخر ثم تردد مخافة ان يتوه عن الطريق والوقت ليل محاول الانتظار الى الصباح ولكنه نظر الى السماء وتأمل مواضع الارجاج فعلم انه في نصف الليل فاستعد الأجل وكان القمر قد طلع حتى تكبد السماء فانار الخيرة وشاطئها واسية الخيرة . وفي اول تلك الالية قصر الحورنق الشهير فعول على معافاة الراعي والمسير على الشاطئ فتظاهر بالصبر والقلق وقال له اراني لا استطيع رقاداً الآن فاحتفظ بالدرس رتبا أنمشي على هذا الشاطئ مره لعل النعاس ان يأتي وأعطي العماء الخنم فتقبلي من الرد فقال افعل ما بدا لك

فتناول حماد العماء ونرمل بها وسيفه الى حنيه ورفعه وعلفه بمطفئه لئلا يطرق الارض فيحدث صوتاً يعترض محاري تصوراتيه وسار الهوبيا محادياً للشاطئ وقد سكن الهواء وأوت الطيور الى اوكارها فبعد ان متى مره وقف والتفت وراءه فادا بالريية قد توارت عنه فطرا الى ما حوله فعلم انه على مقربة من الخيرة وبينه وبينها المعارس والكروم وامامة الخيرة وقد هذا ماؤها وبور القمر يعكس عن سطحها فيتألا كالرحاج والطبيعة هادئة ساكنة لا يخلل سكوبها الا نقيق الصمادع فجلس على صخر هناك واطلق لصوره العنان ففكر في ما هو فيه من الهواحسن وتصور هذا وعاءتها وما الذي اوصل ذلك الكلب اليها فاعتصره ففكر افشعر منه دمه وحل له ان هذا لما يشمت من لغائه الفت سفسها في ذلك الماء فقيت العماء على الشاطئ حتى حملها الكلب الى الرريية ولما تصور ذلك انقصت نفسه واحسن كالك صنت عليه ماء بارداً وهم بالعماء بقتلها وتنسم رائحة همد منها فعلب عليه الواحد فاحد في انكاء وحمل بمحاطب العماء وهو يكي ويتمهد ويقول

اخبريني يا عماء همد اين تركت هذا هل است خلعتها ام هي خلعتك وقد غرقت في هذا الماء وتركتك تدبراً بمصرها آه من طواري الخدات آه من نملها

الزمان ابن هند الآن ألعها لا تزال في قيد الحياة أم هي غارقة في هذا الماء وقد أكلت لحمها الاسياك . . كيف تموت هند وحماد حي بررق . . وسكت رهة ثم قال العلي قصرت في البحث علك حتى يئست من لقائي من يجري ابن انت . هند هند . . . ابن انت ألسني درعا لقيني ونقتلي بسلك قبح الله رأي والدك وضعف عريته لقد حرّ علينا الشقاء سامحة الله اذا كان لا يزال بين الاحياء . من يجري ان هذا حية او مينة فاذا تحققت موتها استودعت الدنيا ولحمت بها لعلا لتلقي في ظلمة الابد . ثم سكت رهة وسخ دموعة ونظر الى ما حوله فاذا هو مسرد ليس من يسمعه او يراه فاطلق لفسه عن النكاء وعاد الى العادة فلف بها وجهه وحمل يشمها ويقبلها وبشقه في المكاء حتى كاد يعي عليه

ثم رفع العادة عن وجهه ووقف بعنة والنمت نحو الحيرة فاذا سبونها ساكنة هادئة فقال . هؤلاء اهل الحيرة بيا لا برعهم طيف ولا يظلم خيال هل يعلمون ان على شاطئ بحيرتهم ملكا سكي كالطبل هل يعلمون ان ملكهم السمان صب هائم يمت عن حبيته في اكافهم هسوا ايها الراقدون احروني ابن هي هند اس انت يا هند ان قامتك ابن عيبك ابن انت احبيني فاحرك ان دوله الفرس قد سقطت وانت لوالدي تعالي بضميع ويسي الاحراس والانعاب لند آس رمن الراحة . .

ولكن آه اس الراحة من فتى مات والد قبل ان يولد هو وانصت رهة عن وهو لا يعرف نمة حتى اذا عرفه وآس له ان يسرح بكمة الرمان بصياح حبيته آه — يا لنتي لم اعرف ذلك السب فان معرفه حرت علي كل هذا اللاء — ما احلى الحب وما اسعد الحسنيين اذا التقيا ولو عاشا في كوخ مثل كوخ هذا الراعي واوعل في النكاء وهو يلب العادة بين يديه قبلها ويتم راحتها حتى يلبها وقد تعب وحارت عريته فانكأ على الصخر فعقر الدرع فوسد البرى واتى رأسه على حجر فعلب عليه التعب والنعاس فعمست احماة وهويين اليقظة والمنام

ثم استيقظ مدعورا كأنه سمع صوتا ياديه فطرا الى ما حوله فلم ير احدا فعلم انها احلام اقتصنها هوا حسة وشكوكه . ولكن ذلك الصوت ما زال يرن في اذنيه وقد اضطربت حواسه وحبل له هدوا الممان وسكون الطبيعة انه في عالم الارواح وان ذلك الصوت خارج من الثور فاندعمر حسة

وكان البرد قد قرسه والتعب انهكه على اثر ما قاساه من الركوب بهاره كله مع ما لم يؤمن التبع والكدر في ذلك الليل فالت بالعباءة جبداً ونهض ومشى بالشاطئ وهو يحاذر ان تسبح حطوانته كأنه يخاف احداً ثم رأى العوم تتواري رويداً رويداً حتى لم يبق منها الا القليل وقد تصائل صوبها فعلم ان القعر قريب ثم بدا الشفق من وراء الافق يطارد اشعة القمر وهو ساجع في البضاء كأنه يودع الليل على موعد . ورأى الاطيار خارحة من اوكارها بين مغرد ومرغم ومصفق ومرفرف ومخلق فمشى حماد والعمامة على رأسه وقد فسد هدامها لما قاسته من صدمات العباءة اما العباءة فجعلها على كتفيه وشدها على صدره يتقي البرد بها ولم تقص برهة حتى سمع دق الاجراس من كئناس الحيرة وادبرتها فاخذ يتنفس في الشاطئ لعله ينف على اثر آحر من آثار هند ثم خاف ان ينزل احد من اهل الحيرة ليغتسل او يستقي فيراه في تلك الحال مهم بالرحوع وفيما هو يقول سمع وقع حوافر فأجل والنمت ورأى فارساً خارجاً من سور الحيرة كأنه يطلب الحيرة ولم يقع بطنه على الدرس حتى حتى قلته لانه يتنبه درس هند ولكنه لم يبر فوقفه سرجاً وقد ركنه علام يشه ان يكون خادماً فوقف حتى دما الدرس منه فتامله فاذا هو درس هند نعيمه صنعت واستشر وصاح في الغلام فوقف

فقال له الي يا علام

محالما رأى الغلام العمامة المحاربة حاف واسرع نحوه

فقال له لمن هذا العرس

قال هو للامير فلان

قال ومتى افتناه

قال اول النارحة

قال ومن اشتراه

قال من بعض الرهبان عرضه للبيع في سوق الارنعا

فقال واني للرهبان مثل هذا الدرس وهو من حيول الشام

قال لقد تعودنا مشاهدة مثل هذه الحيول يا سيدي منذ قامت الحرب فكل

فتيل لم يكن له وارث وُهمت امتعته واسلانه للاديرة تنمها في سبيل الدركم من

فارس قتل وظل مرسة نائمًا فاستولت عليه الديبور وباعته
 فلما سمع حماد ذلك ايقن موت همد عرقًا في تلك الحيرة ونحوّل عن الغلام خشية
 ان يرى بكاءه واطلق لدموعه العنان والشمس لم تشرق بعد اما الغلام فلم يصدق
 انه نجا من ذلك التحاري نحوّل عمال الفرس وكان قادمًا ليسقيه فعاد ولم يسفه
 فلما حلا حماد فسوه وقف عند الماء والعباءة نطللة ونظر الى السماء وتنهّد وقال
 أأطع بعد ذلك بالنقاء لمن احيا وقد فقدت حياتي أأشرب الماء وقد غرقت
 فيه حبيتي .. ما الذي حملك على الانحار يا همد أيا سلك من لقائي ففصلت اللهاق
 بي الى دار الابدية وقد طبت ابى سفتك اليها . فعص على كل حال لاحق اترساق
 ولكن وبلاءه امترق اعوامًا ونحن في جهاد وشفاء فادا آس اللقاء . ورالت العراقيل
 امتعت عليها الحياة .. ثم سكنت ونظر نحو الشمس فادا هي لم تطل بعد فقال أأنتظر
 شروقك لعلك تأتيني بشارة ام انت لا تحلين الا اللاء والشفاء . دعيني اتوسد
 الماء قل ان ارى وجهك . ونظر الى الماء امامه فادا هو رقيق لا بغرفة فنحوّل الى
 صخر رآه ثائمًا فوق الماء على مقربة منه وقال الاولى بي ان التي تسي من فوق ذلك
 الصخر مثنى نحوّه وبها هو داهب شعر محادث في نسوه يسكه عن الانحار فاعند ذلك
 من قبل الصعب الذي يتولى الاساس اذا تحقّق دنو الاحل

الفصل الخامس بعد المئة

❖ لقاء هائل ❖

فلما وصل الصخر صعد اليه ومشى نحو حافته فركلت قدمه وبعثر ما داله موقع وفيما هو
 يتحير للهبوس جات منه التفاتة فرأى اشباحًا حارحة من صواحي الحيرة تطلب الحيرة فقال
 في نسوه فلا تخلف الاحل قل وصولهم مقدم فاحس بما يسكه عن ذلك العمل واستولى
 عليه الصعب الطبعي فتخلد ونظر الى تلك الاشباح فرآها تنهرب نحو الشاطئ فتأملها
 فاذا هي اشباح نسوة احداهن تحمل حقة والاحرى سلا واحرى تسوق لغيراً وكلهن في
 زيّ واحد فاستغرب السنن المتشابهة وكلها سوداء وعلى رؤوس اغطية سوداء مهممة
 امرهن وعلم ان تلك الالبسة لانكون الا في الديبور . فخيّل له انهن راهبات خرجن قبل

الفر للاستقاء وقطف الاثمار والقول من مروعات الدير محسدين على سداجنهم وحلو قلوبهم من لوايح الحب ورأى حاملة الحبة تقترب نحو الشاطئ ثم ما لبثت ان دست منه حتى كرت راجعة كأن احداً يطاردها فاستأنس بخطواتها لمشاهبتها خطوات هدى ولكنها أضعف منها كثيراً فعلق ذهبة تلك الفتاة وود لو انه رآها لحظة اخرى فطل يتبعها ينطبع حتى رآها وقفت الى رجل يحطب محاطنة وأشارت الى حماد فاشتعل نال حماد ومال الى معرفة سر ذلك الخطاب ثم رآها آتية معاً الفتاة بجرتها والرجل يناسي

فلست ينتظر وصولهما فتندم الرجل اولاً وحيماً حماداً وتلطف في السلام عليه وحماد يطر الى الفتاة وهي مصرفة نحو الشاطئ لعملاً حريتها فقال الرجل لحماد انا ذن لي سؤال قال قل قال من اين استريت هذه العماء قال وما يعيك من امرها

قال لايها مسروقة من صاحبها فاذا احترتها عني باعك اياها طالسة بها قال وما ادراك ان هذه هي نعيمها ان العبي قد نتشاه قال ان صاحبها رآها بعينيه وعمرها وله فيها علامات قال ومن هو صاحبها

قال الفتاة التي رأيتهما الآن فاما حالما رأيتك عادت اليّ بالخبر وقد كفا قصيبا ثلاثة ايام ونحن نبحث عنها

فلما سمع ذلك الكلام طس نفسه في ماسم فمسح عينيها وابتمت الى ما حوله واستشهد وحدانه فتحقق انه في بقطة مضطرب الى حاملة الحق فراها قد ملأت حريتها وعادت الى رفاقها فجعل يتأمل خطواتها فاذا هي خطوات هدى ولكن الحسم يحيل فقال الرجل ما نال صاحب العماء لا يطالب بها بمسوة

قال لان صاحبها من راهبات دير هدى الصعري ولا يؤذن لمن تخاطبة الرجال واما انا فمن خدمة الدير المكاهين بمثل ذلك

فقال حماد (وقلته يكاد يطير من الفرح وهو يسلك نفسه ويتخذ) وهل صاحبة هذه العماء قديمة في سلك الرهبة

قال لانزال حديثة وقد دخلت في طور الانتداء فاذا مضى عليها نصعة اشهر

تحت الاختبار رسوها ولذلك فقد وهبت الدر كل ما كان معها من الثياب والمصاغ والدواب فابقى حماد ابنها هدى ولولا عمامته ولباسه المخازي لعرفته لأول نظرة وهي لولا توبها الاسود وبحولها لعرفها . فلما ابقى ابنها هي سسها ارتعدت فرائضه لما كان فيه من الخطر وحمد الله لنجاته على هذه الكيفية وحدثته نفسه ان يسرع الى هدى فيطلبها على حقيقته مخاف عليها من البغته مع ما آسفه من صعبها فصّر نفسه . وخاف من الجهة الثانية ان تكون قد بذرت العمة فلا ينقذ له اليها سبيل فقال للرجل وهل بذرت العمة قال لا تذرهما قتل ان تنفضي من الانتداء

فاطمان ناله ونظر فادا بالفتيات لارسل في شوارعهن بعيدات لا يسمعن ولا يرين وصاحبة الحق قد سمعت حريتها على الارض وحلست على حجر منبردة تنتظر رفيقاتها ليرجعن الى الدبر معاً
فقال حماد للرجل اذهب الى صاحبة العمامة وقل لها اني لا اعطي العمامة الاّ تسليماً بيدها

قال قلت لك يا مولاي انما لا نستطيع ذلك
قال اليك هذا الرد . وحلج رد العمام عن من العمامة ادفعه اليها بدلاً وقال فتناول الرد وتأملته فادا هوامش من العمامة كثيراً فاسرع به حتى أتى الفتاة وهي لا تزال حالسة وحدها فدفعه اليها وقال لم يعطني العمامة ولكم دفع اليّ هذا الرد . محالماً رأته صاحبة الحال حماد حماد . . ونركت الحق وأسعرت بحوه وكان هو يراقبها ليري ما يدومها فلما رآها بهتت وأسعرت بحوه لم يبق عنده ريب نشأها فاسرع لملاقاتها وقد نزع العمامة عن رأسه فلما انبها وقعت هدى معبياً عليها فاستلقت على حب حماد فاهبها وكان حادم الدبر قد رآها تسرع نحو حماد فلما اعني عليها اسرع بالماء ورشها فافاقت وهي تقول حماد حماد حماد . . . وهو يقول هدى هدى حينتي هدى أنت حبة واما احسبك غرسه في هذا الماء . ولوناً حرق دمول لحطة اخرى لدهب حماد طعاماً للامساك

قالت حماك الله يا حبيبي تم علب عليها الحياء فعطت رأسها بالماء الاسود وحلست منأدنة وقد امتنع لونها وتولاها الهزال فقال لها اس والدك يا هدى قالت اما سمعتم حدة انهم قتلوه واظلمهم قتلوا والدتي آه من ثقلات الايام . واوعلت في المكاء

قال هل تحققت مقتلته

قالت لم اراه ولكني سمعت به ولولا ذلك لرأيتني معه حينما كان لاني لما قصوا
عالي وعلى والدتي انما طبت حواذي ونعتت ابرها فوصلت الحيرة فبت في هذا
الدير وقد كنت اتردد اليه قليلاً فاشارت عليّ الرئيسة ان اتقي عدها وابعث من
يستطلع الحرف بعد الحبرون وقد اكدوا مقتلها فلم يبق لي بصير الا حبيبي حماد ومن
يجري بقدمي فان الخادمة التي كنت ارسلتها للبحث عنك في بيت المقدس لم تعد بعد
فاستخدمت راعياً بالقرب من هذه المدينة كنت اتردد اليه متكررة ليسأل عن قدومك
الى الدير فقطع املي من دخولك الدير لان اهله لا يقبلون فيه واحداً من الشام فصقت
ذرعاً واستولى عليّ اليأس ولم يبق لي في الدنيا مطع بعد فقد والدي وصياع حبيبي
وروال عر الملك وحسرة الاموال والعقار ولا انكر عليك اني هممت بالانتحار غير مرة
ولكن قلبي لم يطاوعني لاني لم اياس من لقاءك بعد فلم اجد وسيلة غير التهرب في دير
اعرف رئيسته وبعض راهباته فطلت ذلك فقلولي متدية تحت الشجرة فوهتهم كل
مالي من الثياب والدرس ولم احط شيئاً غير الاساور وهي عروس المحبة يسا فانها
مخافة بين اتواني وكنت قد اصعبت عليّ في هذه اثناء رجوعي المنع الاحيرة من عند
الراعي لفرط قلقي وهو احسني على اني لم اتر ما اسألني به من خبر الدير فوقعت العناية عني ولم
اشه فحتمت عنها في اليوم التالي ولم احدها وهو اليوم الذي طلبت فيه الانضمام الى
الرهبة فاحترمت اني فقدت هذه العناية فاداء عرواها كانت حالاً للدير وهذا هو
اليوم الثالث من دخولتي وقد كلفوني تحارب كثيرة فحملت الاحمال واشغلت الاشغال
الشاقة فرادني ذلك ضعفاً على ضعف

الفصل السادس بعد المئة

❖ دير همد الصغرى ❖

وكان الخادم واقفاً وقد دهل لما رآه فتقدم الى همد فاولا اليها ان عباها هذا
محالف لشروط الرهبة فقالت دعها يذهب الى الرئيسة فمهمت وبهض حمد ومسيا
لمقاتلة الرئيسة ومباها في الطريق سألته عن سبب تنكرك وما مر به فاحكى لها حكايته

بالاحتمار حتى اتى الى حديث المدائن والبحث عن والدها فلما بلغ الى هناك تهتدت هند وقالت آه يا حبيبي اى سعيذة بلفياك ولكن حظي غير نام لما قاسينته من فقد والدي فقال لها اما لم يتحقق مقتلها وقد كلمت سلمان بالبحث عنها وموعدا الالتقاء في دير هذ في العد وهو اليوم الثالث من افتراقنا ومن عرف خبراً اطلع الآخر عليه فقد مرت نظريدي فعسى هو ان يبور من بحث عنهم والامير عبد الله معهم وكانا ماشيين في وسط المدينة لايتهما استعراب الناس لمسيرهما معاً بل كانا في شاعل من نخاذب القلوب لا يكادان يريان الطريق فلما وصلا الدير اسرع الخادم الى الرئيسة فاسأها بما شاهدت من حراً ذلك التحاري على الراهنة المنتدية مما يحالف اليهود المعطاة من المسلمين فاطلت الرئيسة من باب الدير فرأت هدا وحامداً قادمين وكان حماد قد سرع عامته وعرفت من ملامح وجهه انه عراقي فارادت استطلاع السر فدخلت بها الى عرفة مسردة فهم حماد فقبل يد الرئيسة وعرفت انه مسيحي فسأته عن امره

فقال اذا ادت فاحرك ان هذ الفتاة خطبتي مد اعوام وقصت حروب الشام بافتراقنا لا تعلم احداً مكان الآخر حتى ادن الله باحما عدا على يدك ونأملت الرئيسة بوجه حماد وهو يكلمها فآست في وجهه هينة وحلالاً فقالت الست عراقياً

قال نعم ومن بني لحم
قالت وبجال لي ان هدا شامية من عسان

قال نعم
فقال وكيف اجتمعنا
قال كذلك قدر الله

اما هذ فتذكرت اول معرفتها حماداً وتذكرت والديها وياسها من حياتها فترقرقت الدموع في عينيها

فلحطت الرئيسة فيها ذلك فقالت لها ما مالك تنكين يا استي وكان حماد قد ادرك سبب بكائها فقال اطها تنكي لصاع بعض افارها في اناء حرب الشام فعملت تحبب عنها وتعرفها وتذكر حماد الامير عبد الله وسلمان فصر نيسة ليرى

ما يأتي به الغد وقال للرئيسة على ترين ما بيع خروج همد من سلك الرهبة
 قالت لا اري مانعاً لانها لم تندر العنة بعد
 قال فلتنقِ اداً يوماً آخر في ضيافتك لاني على موعد مع خادمي باللقاء هـا
 غداً وقد ذهب للتغيب عن صائع لنا فاحنطي بها رثما اعود فاني ذاهب الى راعٍ
 في ضاحية الحيرة تركت فرسي عند المارحة
 ثم بهض فليس العامة لثلاً بكنه الراعي وترك العشاء عند همد وهم بالخروج
 فامسكتة قائلة لا تذهب فاني لست تاركك لحظة بعد هذا اللقاء فقد كذابي ما قاسيه
 فلا يهرق نبي وبيلك الا الموت
 قال والفرس
 قالت دعنا من الافراس او ارسل من يأتي به فما انا راضية بدهالك ولا نخرج
 من هذا الدبر الا معاً اما الى القتل واما الى الحياة
 فعذرهما والفتت الى الرئيسة فطلب اليها ان تهد رسولاً من قبلها يستغلب الفرس
 فبعثت واحداً يعرفه الراعي ويتق به واطلعه حماد على علامة يتقدم اليها وبعث اليه
 ديارين ولبث ينتظر عودته
 اما الرئيسة فقالت لحما لا يحى عليك يا سيدي اسأ في دبر راهبات لا يؤذن
 للرجال دخوله الا اذا رلوا في دار الاصياف واما احتتامهم بالراهبات فمخطور فادا
 رأئك الراهبات مع همد وهن لا يعرض علاقتكما ساء والظ هل تنصل فسرل في دار
 الاصياف ريثما تأتي الغد
 قال أفعل ما تأمرين . وودع هداً ورل يصحمة المحادم الى دار الاصياف
 فمرّاً عبرط الحبول فرأى افراساً شاهد بينهما فرساً يشبه فرس سلمان فاستنشر واسرع
 الى الدار فلقبه سلمان فهم احدهما بالآخر وهما يمسلمان فاستنسرا معاً فقال سلمان هل
 طفرسي يا سيدي
 قال نعم ولكنهما راهمة في هذا الدر
 قال وهل بذرت العنة . فصحك حماد وقال لا وامت هل طمرت بالامر عبد الله
 قال طمرت به وبجيلة وامرأه
 قال اي هم

قال سيصلون اليها الليلة او غدا وسيأتون منكربين لانهم كانوا محبسين عند سيدي الامير عبدالله ولولاه لكان حموك حيلة في عالم الاموات ولكن الامير عبدالله حالما علم بالقص عليه استرضى الدس امسكوه واطهر اللباس انه قتل وخبأه في مبركه تلك الممرعة ريتا يمكن من العتور على هدا او الاحتجاج بك فلما وصلت اليهم وأسألتهم بحرك امدي لاطمتك واساعدك في البحث عن هدر ريتا يقدمون هم اليا

فاشرح صدر حماد ايا استراج وحمد الله على اقصاء الائمة التي هي احسن ولم يملك صبرا عن تشير هدا سقاء والدها حيا

وهم بالرجوع الى الدبر مرأى هدا واقفة في الشرفة تطل على دار الصياغة لانها لم بعد برتاج بالها على حماد الا اذا كان امامها فلما رأتها عائدا وعليه امارات الدهشة اوامرات اليه فطر اليها وصحك فصحكت هي وقد اشرق وجهها وسبت كل متاعها وقالت ما وراءك

قال همسا ان والدك فادمان السا عدا

فارت اسرتها واسرعت لانها عدا اليها ولم تعد تعبا نقوابين الدر فلما لفتته مدت يدها اليه وصائحته وصعط كل منهما على يد الآخر صعطة ما ادراك ما وراءها ولا سل عن حديث القلوب وحوادث العيون

فقال هدا هل انت متحقق قدوم والدي

قال هدا سلما قد جاء بالخبر اليقين ولكنهم قادمون ومهم الامير عبدالله مشكور فاحدري ان يلحق احد ما يحس فيه لثلا تقع في شر اعمالها فيكون البلية الثانية شررا من الاولى

قالت وسأحرك حبرا حذرا حدث ساعة حروحك من عرفة الرئيسة

قال وما ذلك

تالت ان حادسا الامسة التي كانت تسعى في اجتماعها ولولاها لا ادري ما تم لما قد وصلت الدبر الآن بعد ان قصت اما بالبحث والتفتيش ولم تكن عالمة بوجودي بها ولكنهما سمعت تنسم لاحار من الراهبات المقتني وسررت بها لانها ذات فضل عليها تال لقد اذكرتني بصل سلمان انهم العيون فلا ادري لماذا اكافئه علي مروني وحسن صبحي ثم قال فادهي الآن الى الرئيسة ودعها علي ان تارقيها عدا بعد

وصول والدك والامير عبدالله واحدري ان تسي اسم احد منهم
قالت لا تحب من ذلك
وتحولت وتحول هو الى دار الصيوف ومكت هناك الى صباح اليوم التالي

الفصل السابع بعد المئة

❖ قرآن سعيد ❖

فاستحسن حماد الحروح للملافاة القادمين في الطريق فخرج وسلمان معه على
الحبول وهدى لا تعلم وقطعا مسافة حتى وصلا عين ماء لا يد للقدام من المدعى الى
الحيرة من الوقوف عندها فترجلا وحلسا ولم تحص رهة حتى رأيا هدا وخادمتها
قادمتين مسرعين على الاقدام وهدى نوبها الاسود الحديد فهتبا وصاح حماد ما الذي
اتى بك يا هدى قالت ساعحك الله الم اقل لك اني لم اعد استطيع العاد عليك لحظة
مخافة ان يعود الى ما كنا عليه من الفراق فشكرها وحلسوا ولم يكذب يستنبهم
الحلوس حتى رأوا العار يصاعد من حفة اليرات فتقدم سلمان للتحق القادمين فعاد
صاحكا مبشرا بهم صولا جميعا وتبهاوا لاسمال القادمين واكر سلمان عاد فاحبر
الركب ان حمادا وهذا ينتظرانكم هنا فقبل ووصولهم الى العيون ترجلوا جميعا وهم حفا
مسرعاً الى حماد فضمه الى صدره وجعل يقبله والدموع ساقط من عينيهِ واسرعت
سعدى الى هدى وجعلت قبلها ونكي ثم تبادل حله وسعدى فقبلت سعدى حمادا
وحلة هدا واما عبدالله فظل واقفا يتأمل في ذلك المصير المؤر فلما اهت سعدى
من يقبل حماد تقدم اليه وضمه الى صدره وجعل يمسك يده ويكسها مرورا بسطح
احد اعاده عنه حتى حاموا عليها وهم لا يعلمون سبب ذلك وبعد رنة انصر عنه
وقد تلمت عيانه وقال لا تلوموني على ما ربه من تنف عني بحادون ما ترو من
دموعي اما هو دموع الفرح فان حمادا مكى وولدي وصدتي وثري وسدي وص
زادني نعلما انه قد انتقم بوالدك وسدد سودة دوة اسرس ومجا اء ارعس حورين سنا
عن عاني حملته مريف وعمر من ستة تم تنم عدد له اى هدى فتمها والحديد يكون
كما اسرح وسلمان ينظر اليهم وقفة كاد يصبر فردد ما سكك حبيب وهداروعه

وقف سلمان وقال اسمحوا لي بكلمة اقولها بين ملكين وملاكين . لقد شاركتكم في
 مرحكم بهذا الاحتفال السعيد فشاركوني مرحي بمقتل ثعلبة الخائن الذي كان سبب كل
 هذه الاتعاب . ثم نهض حلة والدموع لا تزال في عيونه وقال اما انا فلا اقدر اصف
 حجلي من ولدي حماد لما سنته له من الشفاء وما بدله هو ورفيقه او قل والد الامير
 عبد الله من الجهد في انقاده من الموت فضر سلمان الى حلة وقال لا تزال سيدتي
 همد تتمتع على سيدي حماد ومن يا ترى افضل لذلك حماد ام ثعلبة فصحكوا جميعاً
 ثم نهض عبد الله وقال اعطوا ايها السادة اسما في خطر عظيم الآن ولم يعد يحلو
 لنا المقام في هذه البلاد لا ما اعداء الفرس بالطبع واعداء المسلمين بالفعل لما ارتكبناه
 من محالة اوامر اميرهم فلا شك انهم سيحتون عنا ويبدلون كل سعي في القنص علينا
 فقال سلمان لقد نطقت بالصواب واريد على ذلك اسما لا يرح الحيرة قبل ان
 ننفذ للعروسين ثم يذهب حينئذ نساؤهن ولو رعل حماد وهد فصحك الجميع
 فقال حلة ذلك هو الراي الصواب واذا استحسنتم فلتكن وجهنا القسطنطينية
 دار الامبراطور هرقل نفسي بقية العمر هناك اذ لم يبق لنا مقام في الشام ولا العراق
 قالوا حسناً ومهصوا الى كنيسة قرب الدبر عندوا للعروسين بالاحتمار
 ولا بجناح الفاري الى تقدير قيمة تلك الساعة السعيدة فاما من ساعات العمر
 وبعد الاكليل ركب الجميع وساروا متكربين نحو القسطنطينية فوصلوها بعد بضعة عشر
 يوماً واقاموا فيها حتى قضى الله بما شاء



تمت الرواية

* فتاة غسان * (تابع ما قبله)

وكانت الفرسان قد وصلت فحول جيلة عن جواده وعليه لباس السفر من العباءة والكوفية وقد تقلد الحسام ومشى بلفت ذات اليمين وذات الشمال يبحث عن حماد حتى اذا وقع نظره عليه دنا منه فتقدم حماد وهو يندم قدماً ويؤخر أخرى ليرى ما يبدو منه . اما جيلة فاسرع اليه وسلم عليه مصافحة وقبلة فلة الوالد لولك والباس ينظرون . وكانت همد تراقب حركات والدها فلما رأت منه ذلك رقص قلبها طرّاً وتناثرت دموع الفرح من عيها وكذلك والدتها اما حماد فانه قبل يدي عمه وقد تحقّق رضاه عمه . فقال له جيلة اهلاً بولدي وعريزي نحمد الله على عودتك سالماً فاجابه حماد (وملاح الامتنان ظاهرة على وجهه) له الحمد على كل حال ولكنني احب ان اسمع عليّ رضا ملك غسان فانها نعم لا اقدر على نقديها يا عمّاه

ثم تحوّل جيلة نحو همد فقبلت يده وقلها وحماد ببطر فخركت فيه عاطفة الغيرة عليها حتى من والدها ثم حباً سعدى ومشى الجميع نحو القاعة وعيا حماد على همد كأنه يريد ان يلتفتها بنظره وقد شق عليه مفارقتها بعد ان تقرر له الحصول عليها وكان سلمان في حملة اهل النضر الوقوف في انتظار حملة ولم يندأ دخول المديقة على حماد عند اول مجيئ مراعاة لما قد يدور بين الحبيبين من عبارات العتاب ما لا يهون النفوس هو امام احد

ودخل جيلة وسعدى وهمد وحماد القاعة فسأل حماد عن سلمان فجاء فدهاء للجلوس هناك فوقف توقيراً للحكمة فبهض حماد وامسكه بيده وقدمه الى الملك قائلاً اقدم لكم يا عمّاه ريفيني وصديقي سلمان فانه كان معتمدي في اسماي وهو محب غيور للملك حلة وسائر آل مرلو

فرحب به حملة وامره بالجلوس مجلس والجميع جلوس ثم التفت جيلة الى حماد وسأله عن والدته فقال اني تركته في دير محبّاء علي ان يحظى بمناولة مولاي في فرصة اخرى

قال لقد سررت كثيراً باجتماعكما بعد طول التشتت بسبب ذلك العلام الغرّ (يريد ثعلبه) وقد كمت في غيلة عن امره الى ما بعد وفاة والدته فتدثر اصدقاؤه فاخبرني بعضهم بما ارتكبه هذا الخائن في سبيل الفلك لك على اثر ما اظهرته من

الشهامة وكرم الاخلاق ويكفي انك عنوت عن قلبك في حلبة السباق بعد ما عاينت من عدوه وسوء قصده ولكن ذلك الحاش قد نال حراء ما جنته يده وكان الناس انما يرمقونه بعض الاحترام مراعاة لمصعب والى ما كاد تنوى الحارث حتى نذرت الدواة وصار مضعة في الاموال ومن اتفل المصائب عليه ان يعلم تحببك ونبيل مرامك ولا اظنه يسمع باقتربك حتى يقع ميتا لشدة لؤمه وحمده فبجته الله وكان حيلة بتكلم والحينة تهتز وعينه تنقدان غصبا مع محاولته اخفاء ما في نفسه وتخبف ما به فلما انتم كلامه اخذ يتلاهي بتمشيط لحينه باصابعه وبشاعل نظره بالالفتات الى خيل مرسوطة خارج النصر كانت تتزاحم وتنصارب

اما الحضور فانهم لشوا بعد انتم حديثه سكوتا تهيئا من غصوه ولكن قلوبهم كادت تطلع سرورا بما قاله عن تعبته . ثم وجه جملة خطابه الى سعدى قائلا استقبينا شيئا نرطب به اجواما وبشرته نحب اجتماعا فرحا بقدوم صهرنا سالما . فقالت الا ترى ان نجلس الى المائدة فنناول الطعام والمداام معا
قال حسنا تعالين

فصنعت فجاء علام . فقالت هل تمت معدات الطعام

قال نعم يا مولاتي

فمض جملة ومتى فزعة الجميع حتى دخلوا عرفة مدت فيها الاسمطة وعليها الاطباق والملاعيق وكلها من الذهب او الفضة^(١) محاسن باكلون وبشربون والفرح شامل لهم

فلما مرغوا من الطعام وفاموا عن المائدة تقدم حيلة الى حماد وأشار اليه ان انعنى فسمعه حتى حرجا من القصر وجعلوا يتمشيان في بعض طرق الحديقة فلما حلوا قال حيلة اعلم يا حماد انك الآن بهالة ولدي وقد قسم الله ان تكون صهرا لي وهذا امر احسن من حظ همد لانيك شهم يتفخر شهام ويتخاضع ما يربو على الافخار بالحسب والسب . وقد تركت اليك تعيين رسم الافتران ولكمي اوجه المائتك الى امر واحد وهن ان همد كما تعلم وحيث ليس لنا ولد سواءا فبشقي علينا مراهاها فاشترط عليك اذا تم الافتران ان نقيم عندهما است ووالدك وهر تربك من ذويك فسرولون على ارحب

والسعة فان البلاد تحتاج الى من يتولاها وليس لي واد ذكر فاذا احسنت السياسة مع القائل اجتمعوا بعدي تحت المائت وكنت ملكاً عليهم
فلم يعد يعرف حماد كيف يشكر لعمه ولكنه وقف وكانا ماشين موقف جبلة فقال حماد ان هذه النعم وهذه الشئمة ما ينصر لسان الناس عن اداء الشكر عليها . ان شرطاً اشترطوه يا عمّاه ان هو الا نعم اعمت بها علي جزاك الله عني حبراً اما وقت الاقترا لا يمكننا تحديده الا ان لدواع لا اخفيها عنك
قال وما هي

قال لعل مولاي رأى طول شعري لما لست الدرع يوم السباق
قال نعم اذكر ذلك وما سبب طوله

قال ان والدي يدراي اذا عشت لا ينص شعري الا في السنة الحادية والعشرين من عمري في دير مجبرام وصرب لذلك اجلاً يوم الشعابين فان ذلك اليوم مبدع عام وبسعة اشهر فحسنا اللقاء محدث ما حدث من سعي تعلقة ضدي واقنص على والدي ثم لم يحض على من امد قريب في المدينة فيرى والدي ان يتطرب يوم الشعابين القادم وينص شعري في الدير وقد احبرني ان عند حكاية سينصها علي في ذلك اليوم وواعزالي ان لا اقطع نامر من الامور المهمة الا بعد ذلك اليوم فما رأي مولاي
فمعجب جبلة لذلك السر وقال لا ارى مانعاً من تأجيل الاقترا الى ما بعد الشعابين فجعلته في يوم القيامة ولكنني استغفرت هذا السر الا تعلم ما موضوعة
قال كلاً يا عمّاه لا اعرف عنه شيئاً ولا يعلم به احد سوى والدي وقد احبرني انه لما وقع في المحطمة وخاف الموت لم بأسف على شيء اكثر من اسفه على صياح ذلك السر

قال حلة فله طرب يوم الشعابين وكل آت قريب
ثم تحولوا نحو القصر وكانت همد والدمها وسلمان حاليين في القاعة فدخل حلة وحماد وقصوا بقية ذلك اليوم في الاحاديث المسوعة
ولما كان العصر التمس حماد العود الى الدير لئلا يستنطفه والد فيشغل باله عليه فقال له حله اعمل ما بدا لك ولكن اعلم يا ولدي ان صرح الغدير وسائر قصور اللقاء مفتوحة لاستقبالك متى اردت القدوم . فهم حماد بيد عمه فقلها وكذلك

فعل سلمان وودع هذا وسعدى وكان قد امر فاسرجت الحميل وأراد الامراع في
الشغوص الى دير بجبراء ليغير والك بما لاقاه من الاحشاء وما عرضه عليه جيلة من
الاعام لعله يرغب في القدوم على جيلة

فركبا وسارا وهند تشيعها نظرها خلسة حتى تواریا فعاد اهل الصرح فاحكى
جيلة لسعدى ما دار بينه وبين حماد ولما عاد هو الى اللقاء احكت ذلك الى هند
فكادت تطير من الفرح

اما حماد فانه وصل الدير في مساء ذلك اليوم وكان والك في انتظاره فاستقبله
ودخلا الغرفة فاحكى له حماد ما لاقاه من الاكرام والاحشاء وما دار بينه وبين جيلة
مما لم يكن يرحوه . وكان حماد يتوقع ان يرى من والك بعد هذا الحديث اعجاباً او
انبساطاً فلم ير وجهة يرداد الا انقباضاً ولم يحب بكلمة فلتك حماد ينتظر يوم الشعابين
فأفزع الصر

الفصل التاسع والخمسون

* قص الشعر *

وكان عد الله كلما دنا ذلك اليوم زاد انقباضاً حتى قيل عداً يوم الشعابين
فعلم ان المدرس يكون مردحاً في ذلك اليوم وهو اما يلمس الاسراد بحجاد ليتلو عليه
الحكاية فسار الى رئيس الدر واطلعه على قصه
فقال واي العرف تريدون

قال يريد صومعة بجبراء نسها فاما مسردة وفيها كرامة وبركة
قال ولكن الناس يقدمون اليها في مثل هذا اليوم راعين
قال يورومها بعد خروجها منها وربما مكثا فيها ساعات قليلة من الصباح الى
الظهر . وكان عبد الله جليل الطلعة محترباً فادعى له الرئيس
ثم قال عبد الله اعرف راهباً شيحاً من تلامذة بجبراء الراهب صاحب هذا الدير
كان يقيم في الصومعة فهل هو باق هنا

قال انه ماق ولكم بشكو شدة الضعف للشيخوخة فلا يخرج من غرفته الا نادراً
قال الا تظنه يخرج في صباح الغد اذا توسلنا اليه ان يرافقنا الى الصومعة ويقص
شعر غلامنا

قال لا اعلم ولكن عندما من الرهان والقمص كثيرين يفعلون ذلك
قال صدقت ولكني افضل ذلك الراهب الشيخ لاني اعرفه
قال هلم بنا اليه سأله فعساه ان يرضى

وسارا الى غرفة من غرف الدبر مغلقة الباب ففرعاه وانتظرا ريثما ينهض الشيخ
لنفيو وبعد هنيهة فتح الباب وبان من وراءه شيخ هرم قد ابيض شعره بياصاً باصعاً
واسترسل من رأسه ولحيته وحاجبيه وشاربيه حتى لا تكاد ترى من جلد وجهه الا بعض
وجنبيه وقد تمعدنا وثبتت حبيته وبرزانه اعقف واحدودب ظهره حتى لا يستطاع
الطير الى واقف امامه الا بجهد وعناية فتقدم الشيخ ويدك الهاحدة على الباب ويدك
الاحرى بنوكاً بها على عصا قديمة العهد ربما رافقته في صباه وقد قص عليها ما نامل
لم تترك الشيخوخة عليها لحماً فلفص الجلد بالعظم حتي كان اعرض ما في الكف عقد
الامشاط عند اتصالها بالاصابع

فلما فتح الباب رفع الشيخ نظره وحدث رائبه وكان قد عرف الرئيس من
محمل فيانته ولكم لم يعرف ريفته فطر اليه بظر المتأمل وشعر حاجبيه المسترسل
بحجب معظم الطرعة فارسل بك يرفع بها شعر الحاجبين وهي ترتعش لصعب
الشيخوخة فابتدره عبدالله بالسلام وهم تنقيل بك معرفة الراهب فقال اهلاً
بولدنا الامير عبدالله اس الوطن العزيز تفصل يا ولدي ادخل فدخل ودخل
الرئيس معه وجلس كل منهما على وسادة وهما لا يحصران على فتح الحديث احتراماً
للشيخوخة الراهب

ثم تكلم الرئيس فقال ان ولدكم الامير عبدالله يلتبس حضوركم الاحتمال بعض
شعر ابيه وفاء لدر بذر مد نصع وعشرين سنة

فتأمل الشيخ رهة ثم رفع نظره الى عبدالله لعنة والور بهت من حدة في
خلال شعر الحاجبين كأثر الرمن لم يوتر على حديثها وقال ما اسم علامكم
قال حماد

قال نعم حماد اذكراني رأيت في الصومعة منذ عامين واخبرني انه جاء لنص
شعره وكان يوم الشعابين قريباً ألم عمل النذر بعد
قال لا يا مولاي لم نستطع ذلك لاسباب مرقمت بيننا اعطاماً فلما اجتمعنا جئنا
لسي النذر فهل تريد ان يكون وفاؤه على يدك
قال اني شيخ ضعيف لا استطيع الوقوف لتأدية الفروض اللازمة أثناء
الصلاة

قال يؤديها النفسيس وتكون است معنا بعد الصلاة فنفر دانا وانت وحماد
لكلام افضة عليكما
قال حساً يا ولدي ومتى يكون ذلك
قال عدأ صاحاً ان شاء الله
قال سلني اذا صاح الغد في الصومعة قال داك وهو يتلاهي بمسبحته وبداء
ترنجات

ثم نهض عبد الله فودع الراهب وخرج تَوّاً الى عرفته وجلس ينتظر عودة حماد
وكان حماد يختلف الى صرح الغدير مراراً في الاسوع يمنع روثية همد فينصي
النهار عدها مع والدتها واحياناً لثمان وقد شعر ان ملاك السعادة بحرسه وخصوصاً
بعد ما قصة عليه جلة مما يبوي له في مستقبل حياته واصبح لا هم له الا مجيء يوم الشعابين
ابني الدر ويقترب همد على انه كان اذا جلس اليها ودار الحديث بينهما لسي النذر
وغفل عن مستقبل الايام . اما والده فلم يجتمع بحملة وكان حماد يلتبس ذلك منه
احياناً فينخل انداراً يغلص بها من المسير

فلما كان آخر يوم كما قدما عاد عبد الله الى عروءه وجلس ينتظر حماداً وكان
قد سار الى صرح الغدير في صباح ذلك اليوم وسلمان معه فعاد في الاصيل على فرسه
وسلمان وراءه على فرس آخر فلما وصلا الدر ترحلا ودحلا وهما يتوقعان ان يكون
عبد الله في انتظارهما مرحب بجماد وقال له الا تعلم يا ولدي ان عدأ يوم الشعابين
قال نعم يا اناه واني في استعداد لوفاء الدر

قال جعله الله نذراً . مقولاً . وقد حاطت الراهب الشيخ الذي كان يجلس في
صومعة بجيرا هل تذكره

قال نعم اذكر اني جلست اليه مرة وقص علي خبر الراهب مجبرا استاذ
قال قد خاطبته في ان يقص شعرك ويسع ما اتلوه عليك بعد ذلك
وكان سلمان لا يزال واقفاً بالعرب من الباب يصلح كوفيته وعقاله وكاما قد
انحلاً وهو يتحول عن جواده فلما سمع ما قاله عبد الله نهدم نحوه ونظر اليه قائلاً الا
تظن خادمك سلمان يستحق الاطلاع على هذا السراب
قال بلى انك اولي الناس بذلك وستكون انت ايضاً معنا
وقضوا بقية ذلك اليوم يعدون انفسهم وخصوصاً عبد الله فانه مال الى الافراد
بعد بعض الثياب

وفي صباح اليوم التالي ساروا الى الصومعة مكرراً مرأوا مصيبة الشموع وهي
كما تعلم عبارة عن غرفة كل من جدرانها الاربعة حجر واحد والسقف حجري الارض
حجر وبايها حجر واحد يتنج ويغلق^(١) وهذا هو شأن اسية حوران حتى الآن نظراً
لكثرة صخورها وقلة خشبها فيبسون البوت من الحجر ويجعلون دفر بها مدها ويطاها
وسقومها من الحجر ايضاً

فدخلوا الصومعة فرأوا الراهب الشيخ ومعه قديس آخر وشماس فلما اجتمعوا
جميعاً احدثوا في الصلاة فاحرقوا الخور وحلوا شعر حماد حتى استرسل على ظهره وكثيف
وطافوا به بالترابم والتسايخ على جاري العادة والنفس يحملون الصلمان والمساخر
يتربعون حتى تمت الصلاة وقرأوا فصلاً من الكتاب المقدس وكان الراهب قد نصب
مجلس على مقعد الحجري ليرتاج فلما انقضت الصلاة تقدموا نحوه واعطوه مقراضاً ودنا
حماد منه وشعره بحلة عبد الراهب بك وامسك حصة من شعره وبارك وقصها اسارة
وفاء الدر وفي الشعر مسترسلاً على بية ان يقصه عند عودته الى المنزل

فلما انقضى الاحتفال اشار عبد الله الى الراهب انه يريد الحلوة فاوعد الى الحضور
مخرجاً وفي هو وعبد الله وحماد وسلمان واطننت الشموع ولم يبق من الانوار
مصابيح اليريت المعلقة امام الابقوات فاشار عبد الله الى سلمان ان اعلق الباب مهم
باعاقيه وهو لا يجيب نفسه قادراً على ذلك اصحابه فاداهم طوع بك لار لاس
حوران صاعقة دقيقة في تركيب تلك الاواب حتى تعلق سهولة^(٢)

فلما ألقى الباب وضعف الدور أحسوا بانقطاعهم عن عالم الأحياء وخيل لهم
أنهم في عالم آخر وخفق قلب حماد تطلعا لما سيسمعه من غريب الأحاديث . فتزع عبد الله
حنئة وهم بصرة كانت معه فحملها واستخرج منها رداء مزر كشتا بدمية الطيلسان كان قد
أذخره واحتفظ به . إذ أعلمهم فة لمة ثم بسطة وجعله على كتفيه ونشر على الأرض امام
مجلس الراهب جلدا حنا عليه وجلس حماد وسلمان امامه والجميع سكوت برا
حركات عبد الله وسكانه وينتظرون ما يبدو منه

الفصل الستون

* كشف السر *

فلما استتب لهم الجلوس التفت عبد الله الى الراهب وقال اعلم يا مولاي انا الآن
في بيت الله وقد اجتمعنا فيه لعمل مقدس فلا يعلم بنا سيدور نيسا الا الله وحده
وساقص عليكم حكاية أوثقت عليها مد تصع وعشرين سنة فارحوا ان تصفوا الي حتى
آتي على آخرها ونبي فرغت منها . من مسكم كتمانها عن اهل الأرض كافة فهل
تهدوني على ذلك

قال الراهب نعم ما ولسي ان سرك من ينشأ روحا وان هذه الصومعة

من من مدسكم ن تبارك الله الصلاة الربانية قبل الشروع في الكلام

الاسم من من تبارك الله الصلاة الربانية قبل الشروع في الكلام

وبلا الراهب « يا الذي في السموات الخ » واقسم كل منهم بالصلب والمعصية
كتمان ما سيقلى عليهم

ولما تم القسم نظروا الى عبد الله فادابو ينأدب في فعوده كانه في مجلس رهب
وقد استنع لونه بها وايا مطن . وما رادهم هبة ضلالة الأنوار واختلاؤهم في ذلك المكان
صبره الله الى حماد ووجه الخطاب اليه قائلاً

« متأن في البقية »



☆ ضحية النيل ☆

إسماعيل بن عبد الله

☆ رواية تاريخية غرامية . الطبعة الثانية ☆

« تأليف حرجي ريدان مؤلف هذا الكتاب »

تشتمل على أهم حوادث التاريخ الإسلامي وأكثرها تعلّقاً بالقطر المصري اغني ظهور الإسلام وفتوحاته وخصوصاً فتح مصر وبيان حقيقة اسباب ذلك الفتح وما كان من حال القطر مع الروم وشرح أحوالهم وعوائدهم وأخلاقهم وملاهم من ثلاثة عشر قرناً وهي سرية عن تاريخ فتح مصر في صدر الإسلام مع تمثيل حركات الجند وملاحمهم ومدد أولات

القواد في خيامهم وقصورهم وما جال في خواطرهم مكتوباً على أسلوب حكاية
 يقرأها المطالع ولا يمل بل يزداد اشتياقاً لمطالعتها وهو يحسب أنه يقرأ قصة
 فكاهية فلا يأتي على آخرها إلا وقد فهم تاريخ الفتح وحوادثه كأنه شهده
 بنفسه ومن أبطالها عمر بن العاص والمقوقس حاكم مصر والاعيرج قائد جند
 الروم فيها وغيرهم وفي هذه الطبعة فضلاً عما في الطبعة الماضية فتح
 الاسكندرية وخروج الروم من القطر المصري مدحورين ثمنها ١٠ غروش
 مصرية واجرة البريد غرشان ولا بأس من ارسال القيمة طوامع بواسطة



اسْتَبْرَأَ الْمَمَالِكُ

✽ رواية اديبة تاريخية . الطبعة الثانية ✽

تأليف حرجي ريدان مؤلف هذا الكتاب

تضمن هذه الرواية حوادث آخر القرن الماضي وقد مثلت فيها
 احوال الاسراء الممالك ومعاملتهم للرعية وعلاقتهم بالدولة العلية وداخل
 الروسية ومن اطالها دلي بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب والشيخ ضاهر
 العمر وغيرهم ثمنها ٨ غروش مصرية واجرة البوسطة غرش واهصف

6404

S/A

